رواية

مُذكراتي مَعَ الإله

شريف سامي

دار اكتب

مُذكِّراتّي مع الإلَه

الفصل الأول

(الرقيب والطبيب)

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير

(الشورى:11)

بِمَنْ تُشَبِّهُونَنِي وَتُسَوُّونَنِي وَتُمَثِّلُونَنِي لِنَتَشَابَهَ؟

(سفر إشعياء 46: 5)

أَمَّا وجهي فلا تقدِرُ أنْ تراهُ، لأنَّ الذي يراني لا يعيشُ

(الخروج 23: 20)

الرقيب :

في البدء، كانت الكلمة حُرة، بلا أي قيود، أو ضوابط، وكانت القوانين تُبيح لكُل مواطن أن يقول ما يشاء، وقتما شاء، ولكن البعض قد أساء استغلال هذا الحق، واساء استخدام الكلمة، واستغل الكلمات التي هي حمالة أوجه، وقرر العبث في ثوابت هذا الشعب، فقررت الدولة التدخُل بهدف حماية الشعب من تأثير الكلمات الرنانة البراقة التي تُشبه السُم في العسّل، والتي تبدوا على شكل حق، ولكن مُراد به باطل

فمؤخرا، قررت الدولة انشاء هيئةٍ رقابيةٍ، للرقابة على الاعمال الأدبية المطبوعة، حيث كانت دُور النِّشر من قبل ذلك، تقوم بنشر أي كتاب، من دون الحصول على تصريح من الدولة، وكان ذلك تحت شعار حُرية الفكر والابداع، ولكن البعضَ من الكُتاب، قَدْ أساء إستغلال هذا الحق، فحاولت الدولة تقنينه من خِلال إستحداث حِزمة من القوانين، التي تبيح للدولة مُصادرة الكُتب، بالإضافة الي تعديل بعض بنود قانون الإجراءات الأمنية، بحيث تتمكن الدولة من حماية قيمها ورموزها من عبث العابثين، ولهذا فقد كان القرار بإنشاء الهيئة القومية للرقابة للأعمال الأدبية

لم تكن لدى الدولة أى مشكلة مع الكتب الصادرة للكُتاب المغمورين، حيث كان قُرائها لا يتجاوزون الخمسين قارئ علي أقصى تقدير، ولهذا فقد كان الكُتاب المغمورين، لا يجدون من يخاطر بطباعة أعمالهم، أما بالنسبة لكِبار الكُتاب اللّذين تُحقق أعمالَهم مبيعات كبيرة، فقد كان أغلبهُم من الحُكماء،

اللذين يعرفون ما يُقال وما لا يُقال، ولهذا كانوا لا يمثلون كذلك أي مُشكلة بالنِسبة للدولة، بل أن الدولة كانت حريصة على تكريمهُم بشكل دائم، وذلك مع الاحتفاظ بحقها في سحب هذا التكريم في أي وقت

إن المُشكلة الحقيقة كانت فيما هو ما بين السطور، حيث يقوم بعض الكُتاب بدسّ السُم في العسل، من خلال استخدام كلمات حمالة أوجه، بحيث يتنصل الكاتب عن المُسألة في أي لحظة، أو من خلال استخدام الكُتاب لأسماء دول وهمية مثل دولة أراب ستان التي تقع في قارة "ساكسونيا " أو يقوم الكاتب بالعودة بالزمان الي زمان ما قبل الزمان، وذلك ليتمكن من انتقاد الملك "شهرا بيل" ورئيس حكومته الطويل، أو يقوم الكاتب بالتحدث عن الحيوانات التي يحكُمها خِنزِير وتعاونه الكلاب في الحُكم، أو يقوم الكاتب بتشبيه العالم بحارة او زُقاق، ويشبه الحاكم بالفتوة مثلاً، وغيرها من التشبيهات التي يلجأ اليها الكُتاب للهروب من المُسألة القانونية

كانت الدولة تغمض عينها عن الكُتاب، وذلك لأن الشعب لا يقرأ، وحتى من يقرأ فإنه لن يجد ثمن شِراء الكتاب، ولكن مع انتشار الإنترنت، وظهور الكُتب الالكترونية، وتتطور وسائل التواصل الاجتماعي، فقد استشعرت الدولة بالخطر، حيثُ أن المسكوت عنه بداخل الكُتب قد تحول الي وحش يحاول تدمير هوية الدولة وقيم مُجتمعها، بل ان الأمر بات يُشكل خطر على أمنها وسلامة مواطنيها

لقد عقدت الدولة، العديد والعديد من الإجتماعات مع رموزها من الكُتاب والمفكرين والنُاشرين، وذلك بهدف وضع معايير يلتزمُ بها الكاتبُ نفسه، ويطبقها على اعماله، ويراقبها النّاشر من أجل ضمانِ عدم تَدخُل الدولة، ولكن كُل المحاولات قد بائت بالفشل، وذلك لعدة أسباب، من أهمها هي أن الكتابة تُعد للكاتبِ صنعتهُ وهوايته، ومصدر دخلة، والدولة فقيرة ولا توفر لهم الحياة الكريمة التي قد يوفرها له مبيعات بعض الكُتب الجريئة، ولهذا فقد كان من الصعب علي الدولة ان تضبط له أفكاره ومصطلحاته واستعاراته وتشبيهاته، بشكل ودي، وفي حال محاولة ضبطها بقوة القانون، فإن المُنظمات الحقوقية الدولية، كانت كفيلة بحماية الكاتب، ولهذا فقد كان القرار بإنشاء تِلكَ الهيئة لمُراقبة الأعمال من قبل السماح بنشرِها

وبالفعل تمكنت الدولة من السيطرة على كُل ما سيُنشر، ولكن تبقي مُشكلة الكُتب التي كان مُصرح بنشرها من قبل، والتي نُشرت من جانب مؤسسات دينية شِبه حكومية، حيثُ ساهم تطور وسائل الطباعة الي انتقال تلك الكُتب من ايدي العُلماء الي ايدي العامة والغوغاء، وأصبحت تِلك الكُتب مراجع للتطرف الديني، الذي بات يُهدد أمنِ الدولة وسلامة أراضيها، ولهذا فقد قررت الدولة بمساعدة المؤسسات الدينية، من التَخلُص من تِلكَ الكُتب .

وقد تم وضع قاعدة خَفية للتعامُل مع الإصدارات القديمة من تِلكَ الكُتب، وقد كانت تنصُ تِلكَ القاعدة على أن لعن الله كاتبها وطابعها وناشرها وموزعها وبائعها وشاريها، ولهذا فلم تكن تِلكَ الكُتب مُتاحة بشكل مطبوع على الورق، ولكِن الخطورة أنها كانت مُتاحة بِشكل منحوت في العقول، والأخطر من كل هذا، هو أمهات تِلكَ الكُتب، والتي لن تتمكن المؤسسات الدينيةَ نفسها من المَساس بها، أو حتى محاولة شرح فحواها للناس، لأنها كانت تحتوي على ما يشبه الألغام الأرضية .

إن ضوابط النشر الجديدة واضحة للجميع، وهي ألا يحتوي الكتاب على أى مخالفة لقوانين الدولة، بما فيها قانون ازدراء الأديان، أو التُهكم على السلطة، أو التشجيع على مُخالفة القوانين الرسمية للدولة،

وكذلك ألا تحتوي تِلك الأعمال على أى محتوى قدْ يؤثر على وحدة النسيج الاجتماعي، من خِلال الحديث عن نقد الأديان، أو أى محاولة للخروج عن النص الذي أقر به المُجْتَمَع من قبل، أو أى محاولة للتعرض إلى الألغام الأرضية الموجودة في الكُتب التراثية .
بإختصار شَديد إن المعايير التي وضَعَتهَا الدولة مُتمثلة في الهيئة واضحة وسَهلة وهي ألا تكون وجهة نظر الكاتِب مُخَالِفَة لِوِجهَات نَظر الجِهَات الأمنية والسِيادِية في الدولة، وكَذلك ألا يَتَعَرض إلى أي وجهة نَظر مُخالفة لأي من المؤسَسَات الدينية وَذَلِكَ لِتبعيتَها غير المُباشرة للجِهات السيادِية والأمنية السابق ذكرها، وفيما عدا ذلك فلا توجد أي موانع للنشر، ما دام لم يكن هنالك حظر على شخص بعينة لإتهامه في أى قضايا سابقة .

إن جِهاز الرقابة على الإنَتَرنِت قَدْ تَشكَل هو الآخر، وبدء القيام بِمَهام أعماله مُنذ وقت قصير، ومع ذلك فانا على يقين بأنه لا جدوى من الرقابة على المحتوى المنشورَ على الإنَتَرنِت، إلا في حال قيام المؤسسات الدينية، بإصدَار فتوى أو توصية، بتحريم القراءة، وتحريم الدخول على الإنَتَرنِت، ولكن اعتقد بأن تحريم الانترنت لن يُزيد الا من اعداد المُستغفرين الي الله، واعداد المُعترفين الي الآباء، وفي حال إصرار المؤسسات الدينية على تحريم الانترنت، فأعتقد بأن الزيادة ستكون في اعداد المُلحدين

اما عن إجراءات الحصول على تصريح بنشر كتاب فإن دار النشر يجب ان تتقدم بخمسة نُسخ مطبوعة من الكتاب، ويَتمُ تَحويل النُسخ للمُراجعة من أربعة أشخاص، مِنهُم شخصان من الهيئة، وشخصان من خارجها، وفي النهاية يَقُوم كل مُراقب بِكتابة تَقرير عن الكتاب، وتَقديمة الي مُتخذ القرار الذي يمتلك النُسخة الخامسة من الكتاب، وفي النهاية يُقرر هو ان كان العمل يستحق النشر أم لا "والامر لصاحب الامر، فهو وحده الذي يقرر ".

توجهت اليوم الي العمل بمقر الهيئة، وبعد تناول وجبة الإفطار، بدأت في تدخين سيجارةٍ، إمَتَزَج تبغِهَا بِنَبتةٍ مُخدرة، وَهَبَتها الطبيعة لنا لِتَهبَنَا المقدِرَة على التعامُل مع باقي ما وَهَبَتهُ لنا، وقد وجدت على مَكتبي قِصة مَطلوب مِنى مُراجَعتُها وكتابة تقريرٍ عنها، فنَظرت الى القِصة وبدأت في قراءة عِنوانِها الذي صَدَمَنِي كثيراً فقد أسمَاها الكَاتبُ بإسم "مُذكراتّي مَع الإله "

انهُ إسمُ صادمُ بالنسبة لي، وكما يقولون في الامثال الشعبية "الجواب بيبان من عنوانه " ومن هذا العنُوان، وهذا الاسم، يبدو أن الكاتب سيقع في أحد المحظورات، وهو التعارض مع المؤسسات الدينية، ولكن لا مانع من الإطِلاع على المُحتوى، فقد يكون مُختلف عن العنوان، كما أن لفظ إله لا يتنافى مع أي من الشرائع السماوية ولكنه لفظ غير متداول، حيث غالباً ما يستخدم المُسِلمين لفظ " الله " للتعبير عن الإله ويستخدم المَسِيحِيُون لفظ "السيد أو الرب " للتعبير عن الإله نفسه ولكن كلاهُما لا يستخدمون لفظ " الإله "

أعتقد أن السبب وراء عدم إستخدامهم لهذا اللفظ هو ما قَدْ تم تشكيلة في وجدان المُجْتَمَع، وعقله الجَمعِي، وذلك من خِلال الأعمال التليفِزيونية التي أظهرت من يعبدون الأصنام يذكرون لفظة " الإله " ولهذا فقد أكون شعرت بفظاظة إسم الكتاب، نتيجة لانتمائي لنفس المُجتمع ولنفس العقل الجمعي، ولهذا فلن أتعجل بالحكم قبل الإطلاع على النص كامل .

بدأت لتوي بالقِراءة، وقد كَان مَكتوبُ على أول صفحة عنوان " الميراثُ المحمول "

وكان النص هو الآتي :

الميراث المحمول

لقد ورثت عِبَادةُ الله الواحد الأحد الفردُ الصمد. وَرِثتُ لقب مُسلم سُني، وَرِثتُ قِراءةِ كِتابِه الغير مُنَفصِل في الميراث، عن كُتب التفَاسير، وكُتب تفَاسير التفَاسير، وكُتب الأحاديث النبوية والقدسية، لقد ورثتهم جميعاً، وكأنهم باقة واحده أنزلُها الله لهدايتي، ولا عجب في هذا، ولكن العجب كُل العجب، يتمثل في وجود بعض الأشخاص يتعاملون مع تِلك الباقة، كما يتعاملون مع باقات شَركَات الهواتف النقالة، فإما أن تحصل عليها كاملة، وتستفيد من العرض كامل، أو تترك تِلك الباقة وتبحث لنفسك عن باقة أخري .

ولا أجد حرجاً في استخدام شركات المحمول كمثال لهذا الميراث، ففي أحد بلاد العالم على سبيل المثال، تجد أن هنالك ثلاثة شبكات تحتكر العمل في مجال الإتصالات عبر الهواتف المحمولة، وتعمل تِلكَ الشركَات الثلاثة على مُنافسِة بعضُها البعض بِشكلٍ فردى، ولكنها تعمل بِشَكلٍ جماعي على منع أى شركَة أخرى من الظهور على الساحة لتقديم نَفس الخدمة التي يقدمونها،

إنهم يعملون بِشكلٍ جماعي على أن يظل الفرد دائما في حاجة الى الإتصالات المحمولة في كل المواقف الحياتية، وَذَلِكَ ليظَل الفردِ دائماً في حاجة الى الإتصال من خِلالهم، وعلى الرغم من ان لكل منها اسم تجارى مختلف عن الأخر، إلا انهم جميعا يدعون الافراد إلى شيء واحد، ألا وهو الاتصال المشروط من خِلالهم فقط .

ولم تكن تِلكَ الشَركَات هي أول من قدم خَدَمَات الإتصال، بل أن هُنالك العديد والعديد من وسائل الإتصال التي ظهرت مُنذ ظهور الإنسان، حيث أن الحاجة إلى الإتصال موجودة على الارض مُنذُ أن تواجد الإنسان، ولكن إختَلَفَت طرقِها وأشكالُها، حيثُ تَطورت لِتَتَنَاسب مع إحتياجَات البشر، وسَتستَمِر في التطور لأن البشر دائماً في حاجةٍ إلى الإتصال

لقد كان العقل وسيلة الاتصال الرئيسية ما بين المخلوقات وبعضها، وذلك من خلال امتلاكه لجميع الحواس التي يحتاج الانسان اليها ليتواصل مع كل ما حوله، كما ان العقل كان هو ايضاً وسيلة الاتصال ما بين المخلوقات وخالقها، حيث كان الانسان يسعي للتعرف علي خالقه والتواصل معه من خلال العقل، ولهذا فإن العقل البشري يمتلك أفضل وسائل اتصال على وجه الأرض، بشرط ان يظل العقل قادراً على القيام بوظيفة أبراج الشبكات في الإرسال والإستقبال، وأن يظل العقل دائماً يقظاً ليبحث عن الإشارات والعلامات التي أرسِلت اليه، فيستقبلها ويحلل شفرتها بشكل صحيح

لقد ظل العقل يُرسل ويستقبل الإشارات بهدف البحث عن إجابة التساؤلات التي كانت تشغل تفكيره في وقتها، ولكن ظهرت فجأة بعض الإجابات التي حثت العقل علي العمل كمُستقبل فقط، يستقبل الإشارات من بعض المخلوقات وليس من الخالق، وذلك لأن الخالق اصطفي تلك المخلوقات ليتواصل معها دون عن باقي الخلق، ولهذا فإن اغلب العقول توقفت عن محاولة الاتصال مع الخالق، وهو ما يتضح في الديانات القديمة مثل ديانة الحضارة المصرية والفينيقية والاغريقية، وغيرها من الديانات التي اقتصر الاتصال فيها مع الخالق، على بعض المخلوقات

إن الأمر لم يقتصر على عدم التواصل مع الخالق فقط، بل ان الأمر امتد ليشمل التواصل مع المخلوقات كذلك، حيثُ ان بعض الديانات قد اصطفت اتباعها عن العالمين، بحيث يكون اتباعها هُم الأعلون، بينما يُصنف كُل من سواهم كمخلوقات درجة ثانية او مخلوقات خارج التصنيف، ولهذا فإن المُنتمين الي تِلك الديانات لن يحتاجوا الي التواصل مع المخلوقات التي تحتل مرتبة متأخرة في ترتيب المخلوقات

شيء أخر تسببت فيه بعض الديانات القديمة، كالزرادشتية على سبيل المثال، والتي أخبرت اتباعها عبر رسولها المُصطفي عن العالمين، بأن الإله اهورامزدا قد خلقهم ليختبرهُم، ولهذا فإن اتباع تِلك الديانة توقفوا عن جميع محاولات التواصل، وذلك لأنهم ليسوا في مرحلة التعليم، بل في مرحلة الاختبار، وشتان ما بين دور العقل في المرحلتين، حيثُ يكون العقل يقظاً دائما في مرحلة التعليم، ويكون مُستعداً لاستقبال المعلومات، ويكون مُتقبلاً أن يُخطئ ويتعلم من اخطأه، فهو لازال يتعلم، ولكن في مرحلة الاختبار فإن العقل لن يُفكر إلا في المعلومات المكتوبة في كتاب ال أفستا الخاص بالديانة الزرادشتية، والذي يحتوي علي جميع الإجابات النموذجية التي سيحتاج اليها الانسان من اجل اجتياز الاختبار

وبالعودة الي شبكات الاتصال الثلاثة، والتي نجحت في إقناع عُملائها بأنها تمتلك أفضل الحلول التكنولوجية لتوفيرِ أفضل خدمات الإتصال في العالم، حتى وإن حدثت بعضِ عيوب التغطية في بعض المناطق لإحدى تِلك الشبكات، فإن هذا لا يهُم، حيثُ أن باقي الشبكات يحدُثُ بها نفس عيوب التغطية، ولكن في أماكن أُخرى،

إننا لا نستطيع ان نُجزِم بأن هنالك شبكة تُغطى كل المناطق بنفس القوة، ولكن القائمين على الشبكات الثلاثة يُجاهدون دائماً لإصلاح وتغطية تِلكَ المناطق وتقديم الخدمات واحدة تلو الأُخرى، لكي يظل عملائها سُعداء بإنتمائهم لهذه الشبكة والتي توفر نفس خدمات الشبكات الأخرى

ثلاثة شبكات توفر نفس الخدمات مع إختلاف المُسَمَيات، ثلاثة شبكات تَتَنافس فيما بينها وتَضَع إشتراطات للإتصال ببعضِها البعض تحت مَظلة قَانون الدولة الذي يُنظم الإتصالات ما بينهم، ويحمى المُنافسة الشَريفة، ويمنع أي منهُم من التعرُض للأخر، أو محاولة القضاء عليه، ليظل التوازُن قائم، وتَظلُ المنافسة مُستمرة، وتَظل الشَركات الثلاثة تُحقق المَكاسِب، وبالتالي يظل أحد مَصادِر الدخل

الضريبي قائماً، وَذلِك لخدمة الوطن والمواطنين .

اِعودُ إلى ميراثي حيث ورِثت حُب الصالحين اللّذين لم أعرف معَايير صلاحهِم بعد، حيثُ أن المُجْتَمَع قَدْ قَرر أن يَضِع معايير غير معروفة حتى الآن للحُصول على صفة الصلاح، أو بمعنى أدق، فإن المُجْتَمَع قَدْ وضع مجموعة من المعايير النسبية للصالحين، وبسبب نسبيتها فهي غير مفهومة، ولكن المهم ان يجتمع المُجْتَمَع على وصف الشخص بالصلاح،

ومن ضمن المعايير، هو ان تكون رجل دين، دائم الاتصال مع الإلَه، وتفهم كلامه القديم، وتنقله إلى البشر اللذين أصبحوا لا يفقهوا للإله قولاً، وذلك بعد ان طوروا لغتهم لتختلف عن اللغات التي قَدْ كان يخاطبهم بها الإلَه منذ الاف السنين، ولهذا فقد زاد الاعتماد على الملازم الجاهزة، والتي تشمل الاختصارات، والاسئلة والاجوبة بشكل مُبسط يراعى مستوى الطالب الضعيف

ان الصالحين يتشابهون مع العاملين في شبكات المحول، حيث تجد منهم من يعمل كمندوب خدمة عُملاء ويجتهد في الرد على استفسارات العُملاء، وغالباً ما تكون مشاكل العُملاء ناتجة عن سوء استخدامهم او عدم إلمامهم الكامل بكل قواعد الشبكة، ويوجد كذلك من يعمل على تسويق الشبكة وتقديم العروض والتخفيضات والهدايا والبِشارات، بإختلاف أشكالها وصورها، وفى شهر رمضان تتنافس الشبكات على تقديم أفضل العروض، وكذلك في اعياد رأس السنة، وغيرها من المناسبات

إن نظام التسويق الرئيسي الذي تعتمد علية شركات الاتصالات، يعتمد على تجميع النقاط، فكلما ازداد اتصالك، زادت نقاطك، وكلما زادت نقاطك ازدادك فُرصتك في الفوز بالجائزة الكُبرى التي لن يفوز بها إلا عُملاء شبكتنا الكِرام، ولهذا فلا تحزن عملينا الكريم إذا ما انقطع الإشارة عنك، فنحن سنعوضك أي اضرار تُصيبك بألاف النقاط، وسيأتي يوماً ما وتعرف قيمة تِلك النقاط التي عوضناك بها عن كل ما أصابك، ولكن انتظر واصبر

كما انه يوجد نظام أخر للتسويق، وذلك من خلال ابراز عيوب الشبكات الأخرى، بحيث ترضي عميلنا الكريم عما نقدمه لك، وذلك لأن باقي الشركات تُقدم خدمات سيئة، ولهذا فإنك يجب ان تكون فخوراً بأنك تنتمي الي أفضل شركات المحمول في العالم، وذلك لأن عُملائنا يزدادوا في كُل دول العالم، بينما اعداد عُملاء الشبكات الأخرى في تناقص شديد، وهو الامر الذي دفع عُملاء كُل شبكة للشعور بالتميُز عن باقي عُملاء الشبكات الأخرى

إن شركات المحمول تعتمد في تسويقها على خلق العلامة التُجارية، ولهذا فإن كُل شركة من الشركات الثلاثة تتخذ زياً للعاملين بها، بحيث يسُهل التعرف على من يرِي أي موظف من الشركات الثلاثة، وهو نفس ما قام به المُجتمع مع الصالحين، حيثُ وضع المُجتمع زياً يُميز الصالحين عن غيرهم من العباد، وهو ما قررت القيام به، حيث أطلقت لحيتي من بعد سنوات قضيتها في البُعد عن الله، وعفا الله عما كان، وعما سيكون

ولم تكُن اللحية وحدها هي وسيلتي للعودة الي الله، بل انني كُنت مواظب على الصلاة في المُسجد، وكُنت حريصاً على حضور كل دُرُوس العِلم لجميع مشايخُنا الكِرام، وحتى لو لم أستطع حضور أحد الدروس،

فقد كَنت استمع اليه عبر المُسجل، حيث كانت الخَطب تَسجل وتَباع في الأسواق فور انتهاء الدرس او الخُطبة، فشكر الله القائمين بهذا العمل العظيم، فكم كان رائعاً أن تحصل على تعليماتُ الله عبر شرائط الكاسيت، وبسعر مميز

تَعلمتُ قِراءه القُرآن وأحكامُ التِلاوة كَالإدغّام والإقّلاب وغيرها من الأحكام، بل وعلمتها إلى آخريين، وكنت أبكي مع الباكيين كُلما تذكرت ذُنُوبي، وكنت أستمتع بالقُنوت والدُعاء على اليهود الكفرة ومن والاهم ومن شايعهم، وبالطبع كنت لا أنسى الدعاء للمُجاهدين في مشارق الارض ومغاربها، وكنت أستمتِع بالإستِماع إلى قَصَصِهم وبطولاتهم، ومن هنا بدء القلب يشعُر بالرغبة في الإنضِمام إليهم، وهو دليل علي انَني لم أكن من المُنافقين، فما دامت نفسي تُحدثني بالجهاد، فأنا لن أموت على شق من النفاق

كانت تستوقفني بعض العباراتُ الفجة في الدُعاء، مثل الدُعاء بتَرميل النِساء وتَيتيم الأطفال، وحرق قلوب الأمهات، وغيرها من العِبَاراتُ الفجة، التي لم أستَطيع التأمين عليها رغماً عنى، ورغماً عن كُرهي الشّديد للكفّرة واليهود، ورغماً عن رغبتي في القضاء عليهم والإنتِقام للمُسلِمين في مَشّارق الأرض ومغارِبها، ولكنّني لستُ قادراً على نطق تِلك الأدعية، ويبدو أن إيماني لايزال ضعيفاً.

تَمنيتُ الشهادة بصدق، فما أجمل من أن تنول الشهادة في سبيل الله، فتُقتل فتدخُل الجنة بعد دقائق فقط، لتسَتمتِع بكل ما في الجنة من أنهار وخمور وحور عين، واشجار ونخيل وغيرها من المُتع، وليس للمُتع فقط، بل لِضمان عدم الحِساب، فان خوفي من العذاب، أكبر من رغبتي في النعيم، ولهذا فقد كُنت اتمني الشهادة لكي آمن العقاب

ومن مِنا لا يتمنى أن يأمن العقاب، مع العلم بأن من آمن العقاب فقد اساء الأدب، ولِهذا كُنت أفكر كثيراً فيما كُنت فاعلاً لو بُشرت بالجنة، وحصلتُ على صكوك الغُفران، وضَمنت الجنة في عهد الرسول الكريم، فهل كُنت سأكون مثل الفاروق عُمر بن الخطاب ولا آمن مكر الله؟ ام كنت سأنضمُ الى صُفوف الجيوش في القِتال لِنصر أحد المبشرين على حساب الأخر؟

أستغفر الله العظيم؛ ان مُجرد التفكير في أمر كهذا يُعد مدخل من مداخل الشيطان كما أخبرنا عُلماؤنا، وليس من الأدب التفكير في مثل تلك الأمور، فالحروب ما بين الصحابة لم تزيد عن كونها مُجرد فِتنة، وقد إستغلها أعداءُ الإسلامُ، ولهذا فلا يجب علينا التفكير فيها، ولا يجب الحديث عنها، حتى ولو كُنا لانزال نعيش آثار انقِسَام قد حدث بسببها .

لم تكن أمنيتي بالشِهادة في سَبِيل الله مُجرد كلام، حيثُ إستَعدَدتُ لها إستعدادٍ جيداً بممارسة الألعاب الرياضية وفنون القتال، سواء كان في الأندية المُرخصة، أو الأماكن الغير مُرخصة، سواء كانت على أيدي أشخَاصُ يحترِمُون القانون، أو أشخَاص خَارجون عنه، فالغَاية تُبَرر الوَسِيلة دائماً، والأهم هو أنَنى حصلتُ على بعض الخِبرات في إستِخدام بعض الأسلِحة بإختِلاف أنواعها، وقد علّمني بعض الإخّوة بعض المعلومات الكَيميَائية التي تُساعِدُ على تَصنِيع القَنابل الصوتِية، بأقل إمكانيات، وغيرها من الأدَوَات والتي قَدْ احتاج اليها في أوقات الجِهاد، وأتَمَنَى ألا يُساء فِهم كلامي، فأنا لم أكُن سوى طَالِبُ للشَهَادة ضِد أعداء الله، وأعداء الإسلامُ .

إن أعداء الله هُم اليهود ومن والاهم ومن شايعهم، ولكن القضاء عليهم سيحتاج الي توحيد صفوف

المُسلمين، وهو الأمر الذي لن يتحقق الا بتطهير المُسلمين من كَل الفِرق الخارجة عن مذهب أهل الجماعة والسنة، ولهذا فإن القضاء على اليهود مشروط بتوحيد الصّف، وهو أمر لن يتحقق إلا بالقضاء على خوارج هذا الزمان .

أنا لا أعرِف عنهُم شيء عن اليَهود سوى كراهِيَتِهم، فهُم مُجرد خَنازيرِ وقَردَه، حتى وإن قَادوا عَالم يَعِيش فِيه البشر، ولكِنهم سيظلون أبناء القِرَدَة والخَنازير كما أخبرنا مَشايخنا، حتى وإن كُنت لا أعرف شيئاً عن كيفية تحويلهم من بشرٍ إلى قِرَدَة وخنَازير؟ ولكن قَدْ يكون لدى دَاروين الإجابة على هذا التساؤل، حيثُ أنه مِن الوَارِد أنّ تتَعَرض بعض المخلوقات إلى إنتِكَاسة في صِفَاتِها الوراثية، مما يؤدى الي إيجاد مخلوق تَتَطابق صِفَاته مع صِفات الإنسان بِنِسبة تَتَخَطى الخمس والتسعُون بالمائة، وقد يكون هذا المخلوق هو نوع مِن أنواع القردة، لم لا؟

أنا بِصَراحة غير مُهتَم بكيفية تحويلهم الي قردة وخنازير، المهم هو ما سَيَتَعَرَضُون له على أيدِينا نحن المُسلِمين، حيثُ سنُحارِبَهُم في آخِر الزمَان، وسَيَنطق الجّماد، ويقول لي: يا مُسلِم إن خلفي يَهودي، إلا تِلكَ الشجرة اللعينة التي يزرعُها اليهود الآن، فلن تنطق ولن تُخبِرَني بِشيء، ولم أكُن أعرِف سَبَباً يدفع تِلك الشجرة تحديداً لإخفاء اليهود. أهي الأخرى قَدْ عَصّت الله مثل الشيطان؟

كنت أتَعَجب حينما أفَكرُ في أعداد اليهود، فهُم أقل بكثير مما كُنت أظُن، والامر لا يستدعي أن يَتَحِد عَليهم المُسلِمين والمسيحيين والجَمَاد والحيوان لِقتلِهم، على كل حال أعتقد انهم يَستَحِقون ذلك وعلى الرغم من أنه تّعالى قَدْ إصطفَاهُم على العَالمَين ولازال إصطِفَائِهم قائم حتى تِلك اللحظة، ولازالوا هُم مَن يتَحَكَمون في الأرضِ ومن عليها، ولكِنَة يبدو لي انه قَدْ إصطفَاهُم عن العالمين لكي نقتُلَهُم.

المهم هو أننا سَنقتُلهم، وسنتحد مع النصارى عليهم، فالنصارى هم الأقرب لنا من اليهود، وقد أمَرَنَا الله من قبل التمكين، أن نَقُول لهم قولاً ليّنا، وَذلِكَ لان إلَهنَا وإلَهُهُم واحد، وهو نفسه إله اليَهود، ولكِنَنَا سَنَتَحِد مع النَصّارى على اليهود في تِلكَ المعركة، حتى نقضي على اليهود سوياً، وبعد ذلك سنُحارب النصّارى ومن والاهم ومن شايعهُم

ان لا أكره النصارى، حيث كانت ابنتهم هي أول حُب في حياتي، ولكن هذا القسيس الشاب كان أول من حرمني من حُب حياتي، لقد كان قاسياً معي الي أقصى حد، لقد هددني بالسجن، وأجبرها على قطع علاقتها بي، وذلك لأنها اعترفت له بعلاقتنا، واعترفت له بخطيئتنا، لكي يغفر لها

ومن يكون هو ليغفر لها أو لغيرها، ومن وهبه صكوك الغُفران، أهيَ دِراسَةُ جامعية ام دورة تدريبية تؤهل الإنسان لكي يغفر لغيرة؟ أم هي تدريباتٍ وممارسات تؤهل الإنسان لِذلك؟

لقد حرمني من فُرصة إصلاح ما أفسده الشيطان ما بيني وبينها، لقد حال ما بين حُبي وحُبها، لقد كانت يتيمة، وكَانت ستترُك الدُنيا من أجلي، وكُنت سأترك الوطن واسافر معها إلى الخارج بِدعم من أهل الخير والصلاح، ولكنه كسر قلبي وقيد قلبها

ينفطر قلبي حينما أتذكر تِلكَ الواقعة ولهذا فانا سوف أتوقف عن الكتابة عنها، لانشغال عيني بالبكاء

التطور

في وقتٍ قياسي حصلتُ على اللقب، أنه لقب الشيخ

فأنا الآن رجلُ صالح، أو على الأقل يراني الناس هَكَذَا، ولم لا؟ فلحيتي أوشكت على الوصول إلى صَدري، وها أنا ذا أرتدى الجِلبَاب الأبيض، وأضع المِسك لأُخفى رائحة السجائر التي كنت أُدخِنُها سراً وذلك حرصاً منى على مظهري، وحفاظاً على هيئة رِجَال الدّين، فالناس يَتَقَبَلون أى الأفعال مِن أى مَخلوق إلا المُلتَحي فيتصيدون له الأخطاء وكأن اللحيةَ تعصم المرء من الوقوع في الأخطاء، وعلى كل حال فنحن قوم إذا ابتلينا بالذنوب فعلينا أن نَستَتِر عن أعيُنِ الناس

اخترت مَسجِداً صَغيرٍ كَانت لا تُفتَح أبوابه في صلاةِ الفجر، حيثُ كان يقع هذا المسجد في منطقة تَسَوقّ وأغلب روادِه قد كانوا من التُجار والعاملين في هذا السوق، وكانوا يأتون الي المسجد بهدف الصلاة، وكذلك لقضاءِ حاجتِهم والإغتسال، والراحة قليلا من تعب اليوم، وخاصتاً في وقت صلاةِ العصّر ليستظلوا قليلاً من حرِ الصيف تحت مراوحه الأسقفية، أو للإحتِماء بِجُدرانِه من بردِ الشِتَاء .

كان المسجد بلا خادم، وبلا امام، وكانت ابوابه لا تُفتح في وقت صلاة الفجر، فقررت الحصول على مفاتيح ابوابه، ودخلت الي المسجد وبدأت في تنظيفه، وقررت ان أقوم بدور الخادم والمؤذن والإمام، وقررت كذلك أن تُفتح أبوابه في وقت صلاة الفجر

في اليوم الأول ذهبت الي المسجد في وقت صلاة الفجر، واشعلت البخور، وتأكدت من نظافة المسجد، ثُم بدأت في ترديد الآذان في مُكَبِر الصوت، وآذنت للناس بالصلاة فيه، وانتظرت حتى موعد الإقامة ولكن لم يأتي أحد، فأقمت الصلاة، وصليت في اليوم الأول مُنفرداً، وبعد الصلاة الفجر مكثت في مسجدي حتى صلاة الظهر، وبدأ التُجار يتوافدون على المسجد لقضاء حاجتهم، وفي وقت الصلاة، رفعت الاذان، وبدأت في صلاة السُنة في مكان الأمام، وبعد ذلك كبرت للصلاة، وكان من الطبيعي أن أكون أنا إمامهم، فانا من أذنت وانا من أقمت وأنا أكثفهُم لحية وإن كُنت أصغرهم سِناً، ولكنني أقف في مكان الأمام، وكأن وزارة الاوقاف قَدْ إهتَمَت أخيراً بِالمَسَاجِد، وقررت ارسال أماماً لهذا المسجد .

لم اترك المسجد في هذا اليوم قبل صلاة العشاء، وحافظة على إمامتي للناس، وفي اليوم الثاني فتحت المسجد في وقت صلاة الفجر، ولكن لم يأتي أحد للصلاة كذلك، فكررت نفس احداث اليوم السابق، وفي اليوم الثالث فتحت المسجد في وقت صلاة الفجر، فجاء رجل كبير في السن، فصليت به، واستمر الحال على ما هو عليه، واستمرت الأيام، حتى اكتمل الصف الأول في صلاة الفجر وبدأ الصف الثاني يتكون، وهو عدد جيد في صلاة الفجر، وخصوصاً وأن المُربع السكني هذا يعُج بالمساجد

في وقت الصلاة كانَ الناسِ هُم من يقدموني للإمامة عليهم، ولم لا؟ وانا هذا الشابُ قوى البِنيَة، كَثِيفُ اللحية، واضع المِسك، مُرتَدِياً للثوبِ الأبيض، ساتراً رأسي بالغُترة، وفي قَدَمِي الخُف، وقراءَتي واضحة وصَحِيحة كما تَعلمت من مَشَايخي، وكما تعلمتُ من فترات عملي كعازف موسيقي، حيثُ كُنت أعمل كعازف في أحد الفرق الموسيقية من قبل الهداية، ولكنى تركتُها في الله وإبتَغيتُ الأجر منه وحده سبحانه وتعالى .

كنت أحب الموسيقى وكِتابه الشِعر والغِنَاء، ولكنى فقدت الأمل في أن أحصِل على فرصَتي، فتركتَها لله، وها هو الله يعوضني عما تركته من اجله، وها انا أقف وأعلو بِصوتي، وأتنقل ما بين المقامات، وألعب بعُرُبِ أوتَار صوتي بأعلى إحساس، ومن خلفي الكورال يردد. أمييييييييين

اعرفكم جيدا ايها المصليين فأنتم مثلى تحبون البكاء، فعقلي وعقلكم واحد، وقلبي وقلبكم واحد، وميراثي وميراثكم هو الاخر واحد، فنحن متطابقون، وأعرف انكم مثلى تحبون البُكاء في هذا المكان تحديداً، لأنه المكان الوحيد المسموح لكم بالبُكاء فيه، ولهذا فسوف أُبكِيكُم على حالكُم، وضعفِكُم وهوانَكُم على الناس، ولسوف أُذكِركُم بِضعفِكُم أمام اليهود ومَن والاهم ومَن شايعهم ومن عاونهم

انا أعرف كيف أصطَنِع البُكاء، كما امرنا الرسول في قوله: إن لم تَبكوا فتَبَاكوا، كما انني أحفظُ مِن آيات العذاب ما هو كفيلٍ لإغراقكم في البُكاء، وأعرِف مِن آيات الرحمة ما أهونُ بِه على قلوبَكُم، ولكِنَكُم لا تُحِبُون الرحمة، وتُفَضِلون إسمه المُنتَقِم الجبار على إسمه الرحمن، وذلك لأنكُم لا تَعرِفون الرَحمة، وإن كانت رحمة الله قَدْ سبقت غَضَبُة، فقد سَبَق غَضَبَكُم وقسوَتِكُم كُلَ شيء.

حَرِصتُ على الإلتِزام بالهيئة والمظهر، وكان في التزامي هذا سبيلاً للتقرُبِ إلى كُل المنُتَمين لهذا الزّي، وهو أمرٌ طبيعي، فالقساوسة لهُم زِيَهُم ويَعرِفَهُم النّاس مِنهُ، ورِجال الأزهر لهُم زِيَهُم ويَعرِفَهُم الناس مِنهُ، ولكُل مِهنة زِيَهَا الخاص، وما المانِع مِن أن نَرتَدي زياً موحداً لِنَتَعَرَف على بعضِنا البعض، ونُحَيِي بعضِنا البعض، ونُميز بعضنا البعض

فقد كان لِهذا الزي، وتِلك الهيئة، إمتيازات وخصومات من أصحاب المحلات التي يرتدى أصحابُها نفس الفكر، كما أن المُجْتَمَع يرى أن هذا الزي هو زي الصلاح والصالحين، حتى وإن كان هذا الزي لا يُعبر عن ثقافة المُجتَمَع الأصلية، ولا يُمثل أى شيءٍ بالنسبة للدين، وإنما هو زيٌ يُعبر عن ثقافة مُجتمع بدء الدين فيه.

كان بالمسجد صندوقٌ كَبير، وكُنت لا أعرف فَحواه، ولا أمتَلِك مفَاتيحه، ولهذا طلبت من أحد العاملين بِمهنة النِجَارة كسرُة لي، وقد فعل، ولكنه قبل ان يفعل هذا فقد حذرَني مما بداخل هذا الصندوق، حيثُ كان يحتوي علي كُتب الرجال اللذين سَبَقوني في إعمار هذا المسجد، وحينما سألته عن عناوينهم لأذهب إليهم واستأذنهم في الاطلاع على تِلك الكُتب، فأجابني قائلاً بأنهم جميعاً مقبوض عليهم بواسطة أحد الأجهزة الأمنية، وأنهم أخفوا تِلك الكُتب بعيداً عن منازلهم لكيلا تُستخدم كمُستندات ادانة ضدهم، ثُم سألني الرجل عما ان كُنت لازلت راغباً في فتح الصندوق، فأجبته، بأنني لا أخاف إلا من الله، ففتح الرجُل الصندوق لأجد كُل ما احتاجه للإبحار في صحيح الدين.

ابحرت في كُتب التُراث، أبحرت في تاريخنا الإسلامي المُشرف، أبحرت الي فترات العزة والمجد، وكم ساعدتني تِلك المراجع في خُطب الجُمعة، ودروس ما بعد العِشاء، لقد أصبحت اماماً وخطيباً ومُفتياً للناس في أمور حياتهم، فالجميع يسألني، وأنا أجيب

كان الناس يسألونني عن كل شِيء في حياتِهم العامةُ والشخصية، يسألونني عن كل شيء، كل شيء، يقصُون لي أدقِ تفاصيل أسرار حياتِهم بالكامل حتى تِلكَ المُتعلقة بغُرف نومهم، من دونِ أي حياءٍ أو إخفاء لأي تفاصيل، فلا حياء في الدين، وبالتالي فلا حياءُ من رِجُل الدين، وكم كانت تِلك الأسرار تُثير شَهَوَاتِ هذا الشابُ المُلتَحِي، ولكِن المُتَنَفسُ السّري كان موجوداً .

إن الإستِمَاع إلى الشرائط، وقِرَاءه الكَتب، وحِفظ القرآن، والإعتِكَاف في المسجد طوال شهر رَمَضَان، يُساعد على تقوية العِلاقَات ما بين الأفراد، ويُشَكِل الجماعات، وقد إلتحقت بإحدى معاهِد إعدادِ الدُعاة، وتَعَرَفتُ على المشايخ بشكل شخصي، وتعرفت على تاريخهم وماضيهم ونشأتهُم، فكم عانوا من الفقر حتى أعزهم الله بالهداية، والرزق، فأصبحوا عُلماؤنا وسادة المُجْتَمَع، من بعد ما كانوا في شبابِهم يعملون في المهن الحرفية أو الوظائف الحكومية

لقد كانوا اذِلاء حتى أعزهُم الله بِهذا الدين، ولهذا فإنهُم إن إبتغوا العِزة في غيره لأذلهُم الله، وهذا أمر طبيعي لأنهم لا يعرفون في أى علم آخر من علوم الحياة سوى علوم الدين، ولِهذا فلا تِجد مشايخُنا يَتَحَدثون في أى أمر غير أمور الدين، وخاصتاً الأمور المرتبطة بالسياسة، وَذَلِك لأنها مفسدةٌ للدين، ولأنها تَتَسَببُ في خلَق العديد مِن المشاكل مع الدولة، والدولةَ لا تتردد في إعتقال مشايخنا ومنعهم عن القاء الخطب والدروس وإلحاق الضرر بهم في مصدر رزقهم.

على الرغم من إضطهاد الأجهزة الأمنية لمشايخُنا، إلا انهم يمتلكون أفضل السيارات وأحدثها، ويسكنون في أرقي الأحياء السكنية، حيثُ القصور والمنازل مُتعددة الطوابق، وفي كل طابق تعيش زوجة، حيث أن مشايُخنا يعملون على عِصمة وعِفة نِساء المسلمين بالزواج منهم، وأيا ما كان مقصدهم من تعدد الزوجات، فالشرع أحل لهم هذا، كما ان رسولنا الكريم كان يجمع ما بين العديد من الزوجات، وذلك من بعد أن عاش ما يزيد عن الأربعين عاماً، مع امرأة واحدة، ولكن مع ازدياد مسؤولياته، ازدادت اعداد زوجاته .

كُنت اتسأل عن السر وراء تعدد زوجات الرسول، وخاصتاً من بعد الهجرة، حيث كان الرسول مشغولاً مع وفود القبائل ومع زيادة اعداد المُسلمين، ومع حرب اقاربه من قُريش ومع حرب اليهود، وغيرِها من الأمور الخاصة بالدعوة، فكيف وجد الوقت ليجمع ما بين كُل هذا العدد من النساء، ولكن مشايخُنا يقولون بان الرسول الكريم، لم يتزوج شهوة للنساء، وانما تزوج لأسباب دعوية وسياسية، في حين ان كُل زوجات النبي لم تكُن لأي أسباب دعوية او سياسية

تزوج الرسول من سودة بنت زمعة في نفس عام وفاة خديجة، وكانت أرملة السكران بن عمرو، الذي هاجر في الهجرة الثانية الى الحبشة من بعد إسلامه مع زوجته، ثم تزوج من عائشة بنت ابي بكر، وقد كان عُمرها وقت زواجها محل بحث وخلاف وجدال، ثم تزوج من حفصة بنت عمر بن الخطاب وذلك من بعد وفاة زوجها خُنَيْس بن حذافة والذي توفى متأثراً بجروحه في غزوة بدر، ثم تزوج من زينب بنت خزيمة وذلك بعد وفاة زوجها عبيدة بن الحارث في غزوة بدر، ثم تزوج من أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية، وذلك بعد وفاة زوجها أبو سلمة بن عبد الأسد والذي مات متأثراً بجروحه في غزوة أحُد، ثم تزوج من ابنة عمته وهي زينب بنت جحش وذلك من بعد ان تم طلاقها من زوجها الأول زيد بن حارثة، والذي كان تبناه رسول الله قبل تحريم التبني، ثم تزوج من جُورية بنت الحارث، والتي قُتل زوجها مسافع بن صفوان بن أبي الشفر، علي يد جيش المُسلمين، كانت جُورية من ضمن غنائم المعركة، وكانت من نصيب الصحابي ثابت بن قيس بن الخطيم، ولكن تضاربت الروايات حول كيفية انتقالها الي زوجات النبي،

ثُم تزوج من الجارية مارية بنت شمعون القبطية، والتي أرسلت له كهدية من مقوقس مصر، ثُم تزوج

من رملة بنت أبى سُفيان والمُلقبة بأم حبيبة، والتي كانت أسلمت هي وزوجها عبيد الله بن جحش، وهاجرا سوياً الى الحبشة، ومات زوجها في الحبشة، وقد أرسل مُحمد بن عبد الله الى ملك الحبشة ليستأذنه في الزواج منها، ثم تزوج من صفية بنت حيي بن أخطب، والتي قُتل زوجها كنانة بن أبي الحقيق، علي يد جيوش المُسلمين في يوم خيبر، ثم ميمونة بنت الحارث

انني لم أجد زيجة واحدة كانت بهدف نشر الإسلام، فلماذا يحاول مشايخنا اوهامنا بأن الرسول تزوج من اجل نشر الإسلام، وهل ينتشر الإسلام بالزواج، ام بالسيف، ام بالدعوة الحسنة، لقد كانت اغلب زيجات الرسول مع بنات أصحابه بهدف توطيد العلاقات فيما بينهم، وليس لنشر الإسلام

لماذا نحاول دفن رؤوسنا ونُخفى حقيقة أنهُم كانوا رِجالٍ مثل باقي الرِجال، وكانوا يشتهون النِساء مِثلما نشتهي نحن النساء، وَذَلِكَ لأنهم بشرٌ مثلُنا، وأكبر دليلٍ علي كلامي هو كلام الرسول الكريم حينما قال: حبِّب إليَّ من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة .

ألم تقل أم المؤمنين عائشة: كَانَتْ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَاشِرَهَا أَمَرَهَا أَنْ تَتَّزِرَ فِي فَوْرِ حَيْضَتِهَا، ثُمَّ يُبَاشِرُهَا؛ ألم تقُل: وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْلِكُ إِرْبَهُ .

ألم تُخبرنا السيرة بأن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ فِي غُسْلٍ وَاحِدٍ، ألم تُخبرنا السيرة بأنه أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ رجلاً، ألم تُخبرنا السيرة بأنه كان يُباشر أحدي عشر امرأة في غُسل واحد، فلماذا نحاول انكار أدميته، وهو خير خلق الله، ولماذا نحاول الكذب بدون أي مُبرر؟ هل نشعُر بالحرج لأنه كان مزواجاً؟ وما العيب في هذا؟

الم يكن كل الانبياء بشرٌ مثلُنا، فهذا يوسف كاد ان يهوى أمام محاولات تِلكَ المرأة وبالتأكيد قَدْ تَزَوج بعد أن إمَتلك وظيفة جيده وكل الانبياء تزوجوا لأنها طبيعة البشر حتى عيسى ابن مريم الم يكن رجل أو على الاقل كان إله في صورة رجل وإذا كانت صورة الرجل تدعوه للأكل والشرب والاخراج الم تدعوه إلى الزواج وجماع النساء

لقد كانت طبيعة عصرِهم تُتيح لهم هذا من دون أى انتقاص لهم، ولكننا نحاول الحُكم عليهم من خلال منظور عصرنا، وليس من خلال منظور عصرهم، وشتان ما بين عصرنا وما بين عصرهم، ولكننا لا نُريد الاعتراف بوجود تناقضات ما بين زماننا وزمانهم، وذلك لأننا نرفض تجديد الخطاب الديني، ونرفض تطوير شريعة القرون السابقة، لتتوافق مع عصرنا الحالي

وفى النهاية وإن كان الرسول والصحابة لا يشتهون النساء فلم تشتهونها أنتم؟

لا يوجد رجل طبيعياً لا يشتهي النساء، وعلى كُل حال، فإن لم يكونوا كذلك، فأني قَدْ كنت، وسأتطور كما تطور كُل رجال الدين في كل الأديان، اللذين لم يكُونوا شيئاً فأصبحوا ولم يكن لهم قدرٌ، فأصبح لهُم قدراً ومكانة وسيرة في التاريخ

سأتطور كما تطور الدين نفسُه، فقد بدء باللين وبجذب البُسطاء والمقهورين ولهذا فقد كان يدعو إلى

إطلاق سراح العبيد، ولم يكن يُحرم أي شيء، حتى ازدادت أعداد أتباعِه، وإمتلكوا القوة، فتطور، وبدء يُحرمُ ويجرمُ، وأصبح لا يُمانع في امتلاك الجواري وأسر النِساء، على الرغم من انه يحُث على إطلاق سراح العبيد، ليُصبح العبد الهارب كافر

فتش في كل الأديان، ستجد رجالاً يتمتعون بمزايا لا حصر لها، فمِنهُم من يقوم بتوزيع صُكُوك الغُفران، ومِنهُم من يمتلك صكوك الجنةِ والنار، ومنهم من يمتلك تفويض من الله بإدارة شئون الأرض وما عليها، ومنهم، ومنهم، ومزايا لا تنتهي، ولهذا فإن المُنتفعين من تِلك المزايا لن يتوقفوا عن التسويق لبضاعتهم لكي يزداد عدد العُملاء، فتزداد الأرباح، ولن يتوقفوا عن التسفيه من كل الطُرق التي تؤدي الي الإله من دون طريقهم، وسيظلون يقاتلون تحت شعار مكتوب علية (اننا نمتلك الحقيقة المطلقة وما دونها باطل، ونمتلك الأيمان، وغيرنا كافر، وقتلانا في الجنة، وقتلاهُم في النار)

بعد فترة من الإطِلاع بدأت أشعر بأنني أسير في الطريق الخطأ، وأبذل مجهودات بلا أي نتائج واضحة، فأنا احتاج الي فُرصة عمل براتب جيد، واحتاج الي شِراء مسكن خاص، واحتاج الي شِراء سيارة مُكيفة الهواء، واحتاج الي امرأة علي أقل تقدير، لتكون زوجتي وشريكتي في الطريق الي الله

فهل يكون الدين هو طريقي لتحقيق تِلكَ الرغبات المشروعة؟ نعم، إن الدين سيحقق لي رغباتي، ولكن يجب أن أجد من يرعاني، ويدفعني الي الأمام، ويجب أن يكون الراعي يمتلك المال الكافي للإنفاق على الدعوة في سبيل الله، وبالفعل انضممت الي جماعة مُنظمة، تمتلك الفكر، والمنهج، والعلاقات، وطرق التمويل، وقد وعدني اخواني في الجماعة بإيجاد فُرصة عمل في أحد المحلات التُجارية الشهيرة، ولكن يجب أن أصبر قليلاً، وأعمل كثيراً، واتعلم فنون الدعوة الجديدة، بداخل الجماعة القديمة

اننا ندعو إلى دين الله بالحسنى، ولكن لا يوجد ما يمنع من ان نعُد لهم ما استطعنا من قوة، كما اننا يجب أن نعمل على خدمة المُجْتَمَع، ومساعده الفقراء، اللذين هجرتهم الدولة، ويجب ان نكون رموزاً للخير، يجب ان نوسع قاعدة المُحبين لنا، والمُنتفعين منا، كما يجب ان نجتذب صدقات الأغنياء لكي نُنفقها نحن على الفقراء، وهو ما بدأت العمل فيه فوراً

لم يكن الجيران من حولي، أو مِن رواد المسجِد، يعرفون العدد الكافي من الفُقَراء لِتوزيع صدقَاتِهم، ولهذا كانوا يستعِينون بي لأداء هذا الدور بالنيابَة عنهُم، ولهذا كُنت أنا من يقوم بتوزيع الصدقات وكأنها من أموالى وأموال جماعتي، والناس لا تعرف إلا من يعطيها .

وفي عيد الأضحى كان الناس لا يجدون أماكن للذبح، ولهذا كُنت اوفر لهُم الأماكن، والجزارين من المُصلين، بل وأوفر الذبائح نفسُها من رواد مسجدي القديم، ثم أقوم بتوزيع اللحوم على الفقراء، حتى أصبحت رمزا لفعل الخير، ومساعده الناس في منطقتي، وأصبحت اذهب لزيارة المرضي، واذهب لتغسيل الموتى بدون أجر، وتوفير الأكفان من أموال المُتبرعين

أصبح أهالي الحي من الجيران يتمنون أن يكون أبنائهم مثلي، وهو ما ساعدني على العمل الدعوي بشكل أكثر تنظيماً وأكثر ذكاء، حيث تمكنت من هداية أغلب أصدقائي واغلب جيراني، وانقلبت أحوال كُل من اعرفهم، وانتقلوا من الظُلمات الي النور، وتحولت هيئة أصدقائي الي هيئة الصالحين، صلاح اللحية والزي، وتحولت انا من مُجرد عاطل عن العمل، وأصبحت فاعِل الخير، الذي يُنفِقَ بيَمِينه، ما لا تعلم عن شِماله، وأصبحت داعيةً إلى الله، وحامِل مفَاتِيح الإيمان الى القلوب.

بعد دعوة الأصدقاء والجيران من الرجال، قررت ان أوسع قاعدة عُملائي، وقررت دعوت الفتيات من الجيران والاقارب الي الالتزام والهداية، وبالفعل بدأت في خطتي الدعوية، وكانت الخطة تعتمد على ان يبدأ الشباب بالتحدث الي اخواتهُن، وفي نفس الوقت كُنا نتعمد أن نوحد خُطب الجُمعة في مساجد الحي، وكُنا ندعو الأهالي الي حث بناتهُن على الاحتشام، كما كُنا نُهدي الفتيات شرائط مُسجلة عن أهمية ارتداء الحجاب، وبالفعل نجح الجُزء الأول من الخُطة

الجُزء الثاني كان يعتمد على مشاهر الغيرة لدي الفتيات، حيثُ يكفي ان تتحجب فتاة واحدة من ضمن مجموعة صديقات، وبعد أيام ستكون باقي الفتيات يُفكرن في اختلاف مظهرن في حال ارتدائهن للحجاب، وبالفعل اقنعت الفتاة الاولي، ومن بعدها واصلت حديثي مع باقي الفتيات من الجيران والاقارب، وبدأت في تنفيذ فكرة أشبه بالتسويق الشبكي، حيثُ دعوت كُل فتاة بأن تدعوا فتاتان، حتى تتكون الشجرة فتكون الفتاة الداعية لهم هي المسؤولة عن جماعتها

ما أجمل أن تقوم بالتسويق لله على الأرض، وما أجمل من أن تُتَاجِر مع الله وتقرضه قرضاً حسناً فيضاعفه لك، وها أنا قَدْ تاجرتُ مع الله، وسوقتُ لهُ سِلعته، وإبتكرتُ من الأفكار ما زاد مِن أعداد الإخوة والأخوات من حولي، وبدؤا هُم في استكمال خطة التسويق بأنفسهُم، وبدؤا يعقدون الدروس من غيري، ويجتمعون على ذكر الله .

إن الشيطان اللعين، لن يترك الشباب يبتعدون عن طريقة، ولهذا فقد كان من الخطر ان يجتمع الشباب والفتيات على صِراط واحد، حيثُ ان اللعين لن يتركهُم من قبل أن يسقيهم من حلاوة بَشرِيَتِهِم في كل صورها، إلا من رحم ربى. ولكنى الآن اعلم بأن ربى لم يرحم أحدٍ منا وقتها .

إن زواجي من فتاهٍ يمتلك أهلُها المال سيكون فرصة لي لتحقيق احلامي ورغباتي، ولا يوجد في الدين ما يمنع من زواج الرجُل بِالمرأةِ من أجل المال، وإن كان الدين يحثُ على أن تكون المرأة ذات دِين، ولكنه لم يُمانع في امر الزواج من اجل المال، وهو ما دفعني الي الارتباط بأحد الصالِحات، والتي قَدْ انعم الله على أهلِها بِنِعمَةِ المال والدين معا .

وقد كُنت أظن أن أهلِها لن يرفُضُوني بالمرة، حيثُ كُنتُ أبدو لهم ملاك تجسد على صورة بشرٍ سوياٍ، وكُنت أظن بأن هُنالِك من يُزوج إبنته لرجل كل ما يمتلكه هو ما يحفظ من كتاب الله، وكنت أظُن أن هُنالِك من يزوج إبنته لمن يرضى عن دينة وخلقة

لقد كان مُجرد ظن، أما الواقع هو انهم كانوا يبحثون عمن يتناسَب مع مكانتِهِم المالية

لقد كُنت أظنهم على دين، كما كانوا يظنوني على خُلق، كما كانتٍ هي تظُنني ملاك، وإن بعض الظن إثم، وإن استكمال الكتابة عن علاقتي بها سيكون فاحشة وساء سبيلاً

في النهاية اعترف بأني أقذر مخلوق على وجه الأرض

في الأسر

إمتدت علاقاتي بالكثير من الجماعات التي كانت نشِطه، أو بمعنى أدق، كانت على خلاف مع الأمن، ولا أعرف ما الذي جعلني أترك عرشي في المسجد، وأذهب لأكون مُجرد فردٌ يَتبع لأمير، فقَدْ يكون السبب هو رغبتي في فِهم كيف تُدار العِصَابَات، وما هي أنشطتها؟ وكيف تستطيع أن تستمر بالتواجد على الرغم من الاضطهاد الأمني لها، وقد يكون السبب هو أنني دُفِعت للتواجد بينها دَفعاً، بهدف استخدامها في حالة الإحتياج لها (والأمر لصاحب الأمر) وهذا ما طُلِبَ مِنى وكفى.

حصُلت على تكليفات بزِيارة أُسَر الاخوة المقبوض عَليهم، وَذَٰلِكَ للإطمئنان عليهم، وإرسال مبلغ شهري ليعينهم على الحياة، وبناء عليه فقد كُنت مسؤول عن تِلك الأسر مسؤولية كاملَة، وكنت في بادئ الامر اطمئن عليهم من على الباب وأسلمهُم المبلغ ثُم أنصرف، ولكن مع الوقت ومع طول الحديث على الباب، أصبحت ادخل الي داخل البيوت، وبدأت نوعية المُناقشات تختلف، وبدأت، الشكاوى تختلف، وبدأ الحديث يتخذ طابع شخصي، وبدأت مشاكل غياب الأزواج تُحكي، وبدأ الشيطان في الظهور مُجدداً، حيثُ لم تكن كل نساء الأخوة الأفاضل، أخوات فاضلات؛ ولم تكُن كل النساء مريم ابنه عمران؛ ولم يكُن كل الرجال يوسف بن يعقوب، ولكني أنا كما أنا

أفعل يا أبن أدم ما شئت، فكما تدين تُدان، فكما انتهكت حُرمة البيوت، انتهكت حُرمة بيتي في مُنتصف ليل بارد، حيثُ استيقظت في تِلك الليلة علي يد رجل مُقنع من قوات الشرطة، وبعد تفتيش المنزل، وتحريز كل الكُتب والأوراق، قيدوني وألقوا بي في سيارة الترحيلات، التي كانت تقف مُحاطة بقوات الامن، وبداخل السيارة التقيت ببعض الإخوة، والتقيت كذلك بصندوق الكُتب الذي كان في المسجد

لم أشعر بالحُزن، ولكن شعرتُ بالقهر؛ ولم أشعُر بالخوف، ولكن شعرتُ بالعجز الذي كان واضحاً على وجه أبي وهو غير قادر علي مُساعدتي، وشعرت بقلب والدتي الذي انفطر علي أبنها الوحيد، وشعُرت بكُل ذنوبي التي اقترفتها، وكأنها تجسدت على شكل امرأة جميلة، وتحتفل بوقوعي في الأسر، فتُراقص الرجال وتضاجعهُم، وتشرب معهم في نخب سقوطي

تذكرت ذاك القسيس الشاب وهو يتناوب ويأكل قطعة من الخُبز ويشرب بعض النبيذ ثُم يقول لفتاتي الاولي، ألم أقل لكي؟ هل اقتنعتِ الان بأن البتول قد انقذتك من هذا الشيطان الذي تجسد في صورة انسان؟ هل اقتنعتِ الان؟

تذكرت الأمانات التي خُنتها، وتذكرت ذلك الشاب المسجون الذي اعتديت على حُرمة بيته، فأنا في طريقي لمُقابلته والنظر في عينه، فكيف سأنظر في عينه؟ وكيف سأرد عن سؤاله عن أهل بيته؟ هل سأطمئنه عليهم؟ هل سأكل معه من اكلها، ومن نفس الطبق؟

فكرت في كُل ذنوبي، وفكرت في هذا الشيطان الذي رفض أن يسجد للرحمن، وكأنه رفض السجود من اجل ان يغويني وحدي عن العالمين؛ فكرت في الملاك الذي هو عن يميني، فكيف كان يدون أعمالي؟ هل كان يدونها بواسطة الورقة والقلم، أم كان يدونها بواسطة جهاز حاسب ألي؟ فلو كان يدونها بواسطة جهاز حاسب آلي، لكان كتب كُل اعمال الخير، ثُم نسخها وقصها وأرسلها كما هي الي الملاك الذي هو على يساري؛ ولو كان يدونها بالورقة والقلم، لكان يجلس الان وسط اكوام من الورق المُقطع المشطوب

انني الأن اجلس بجانب صندوق الكَتب، وكأن تِلك الكَتب إمرأة مُتَزوجة، وأبلغ عنها زوجها في قضية إثبات زنا، وها هُم قد حضروا ليثبِتوا واقعة الزنا ويضبِطونَنَا في وضع التَلبُس، وها انا مُتلبس بقراءة تِلك الكتب التي سأسأل عن علاقتي بها بعد قليل، فبماذا سأجيب؟ وماذا سأقول عنها؟ هل سأعترف بأنني احببتها لأنها كانت مثل الأرملة الجميلة، التي تهب من يجامعها كُل ما تمتلك من خِبرات وحقائق؟ أم سأعترف بأنني ندمت على علاقتي بها، لأنها أفسدت صورتي الذهنية عن رجال الرحمة والخير والدعوة

كُنت أحب خالد بن الوليد، حتى فتحت أحد تِلك الكتب، وهو للطبري، والذي ذكر أن خالد بن الوليد قد قتل سبعين ألف أسير في معركة أليس، أو معركة نهر الدم، فهل أمرنا الإسلام بقتل الاسري؟ أم ان سيف الله المسلول كان يُحارب لدين غير دين الإسلام؟ هل كان خالد ابن الوليد قائداً عسكرياً عظيماً، مثل الاسكندر الأكبر على سبيل المثال؟ أم كان قائداً لجيوش دين الرحمة؟

هل حقاً أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قد قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلاه إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى؛ هل حقاً هذا ما أمر الله به؟

هل حقاً أن عبد الله بن سعد بن أبي السرح، كان من كتبة الوحي ثُم هاجر الي المدينة ثُم ارتد وعاد الي مكة؟ هل حقاً كان من اخوة عثمان بن عفان؟ هل كان سبب ردته هو انه توقع ما سيقوله الوحي لرسول الله، وصح توقعه، فشكك في صدق القُرآن وارتد؟ هل حقاً أسماه رسول الله مع المطلوب قتلهم في يوم فتح مكة؟ ولو كان اسماه فكيف تراجع عن قراره؟

هل كان الرسول يُقرر القتل من منظوره أم من خلال وحي يوحي اليه؟ ولو كان القتل بأمر وحي، فكيف يتراجع رسول الله عن تنفيذ أوامر الوحي؟ وكيف يتجرأ عُثمان بن عفان ويشفع لمن أمر الله بقتله؟ استغر الله العظيم؛ يبدوا ان عقلي يحاول إيجاد السبيل للهروب من تِلك الأزمة بالتشكيك في الدين، يبدوا ان لا فائدة في عقلي، فهو لا يتردد بالتجارة بأي شيء، بهدف تحقيق المنافع، استغفر الله العظيم

وصلنا الي قسم الشُرطة، وبداخل الحجز المُمتلئ على اخره، طالب الأخوة بالتيمم لصلاة الفجر، ولكن رجال الامن أدخلوا لنا الماء للوضوء، فتوضأ الجميع، وسط عيون رجال الامن اللذين كانوا ينتظرون ان يتعرفوا علي الإمام، وكانت المرة الاولي التي اتراجع فيها عن لصف الأول، محاولاً الهروب من الامامة

بعد ساعات انتقلنا الي مقر أمن الدولة، وهُنالك بدأت التحقيقات، وبدأت المُناقشات، وفي تِلك الفترة كان مشايخنا العظماء، يدونون كتب تصحيح المفاهيم والمراجعات، وهي عبارة عن كُتب يقر فيها شيوخنا بأنهم كانوا مُخطئين، وانهم كانوا لا يفقهون كلام الله، وانهم ارتكبوا العديد من الأخطاء تحت شعار الإسلام، وغيرها من الأفكار التي دونت ووقع عليها العديد من شيوخنا الأجلاء

لم تكُن تِلك الكتب تدل على أي تغير فكري، ولكنها مُجرد وسيلة للخروج من الأسر، والضرورات تُبيح المحذورات، والامن يعرف هذا، ويعرف ان أصحاب هذا الفكر لن يتركوه، ولكن الامن لم يكُن يرغب في تعديل فكر هؤلاء، وانما أراد الأمن ان يمنع الشباب من اتباع هذا الفكر، ولهذا فقد وافق الامن على عقد صفقة تشمل الافراج المشروط عن بعض المشايخ، في مُقابل الحصول على تِلك المراجعات، وذلك لاستخدامها في كبح جماح انتشار الأفكار المُتطرفة

انا ارغب في الخروج من هذا المكان بأي مُقابل، ولهذا يجب ان أفكر جيداً في كل ما سأنطق به مع المُحققين، وما دام الأمن يرغب في حماية عقول الشباب من التطرف والمُغالاة في الدين، فيجب ان أكون نموذجاً يدُل علي نجاح خطتهم الأمنية، وبالفعل بدأت التحقيقات، ولكني لن أكون متهم، بل سأكون تاجر، وسف ابيع لهم المُنتج الذي يرغبون في شراءه

سألوني عن علاقتي ببعض الأسماء، فأجبت بأنني اعرفهم جميعاً، كما اعرف بعض اصدقائهم، ثُم سألوني عن علاقتي بأحد التنظيمات، فأجبت بأنني على علاقة بأفراد هذا التنظيم، وانني كُنت ارغب الالتحاق به، ولهذا فقد كُنت أقوم بتنفيذ جميع المُهمات التي يطلبونها مني، ثُم سألوني عن الكُتب التي ضبطت في حوزتي، فأجبتهُم بأنني قراءتها جميعاً، بل وقرأت العديد من الكتب لم تُضبط، وذلك لأنني اعرتها لبعض الأصدقاء، وابلغتهم بأسمائهم وعناوينهم

مع كُل سؤال واضح، كانت الإجابة واضحة، وتعمدت ان لا أخفي أي معلومة، وان لا اكذب، فهُم يعرفون كُل شيء، والتاجر الشاطر هو الذي يُقنع العميل بأمانته، وهو ما حدث بالفعل، وبدأ المُحقق يتحول الي عميل مُحتمل، وكان هذا واضحاً من نبرة صوته، حيثُ لم أكن اراه، ولكني كُنت استمع اليه، وذلك لارتدائي قناع اسود على وجهي

اخبرت المُحقق بأنني أبحث عن الله، وابحث عن الدين الحق، وابحث عن سبب وجودنا في تِلك الحياة، وانني حاولت فهم صحيح الدين، وهو ما دفعني الي قراءة تلك الكتب، والتقرب من هؤلاء الافراد، والعمل مع تلك الجماعات، ولكنني حتى الان لم أجد الإجابة، بل ان تساؤلاتي قد زادت، وأصبحت في حيرة ما بين ان كُنا نعيش ما أراده الله لنا مُنذ ان خلقنا؛ ام نعيش ما أراده الحُكام لشعوبهم مُنذ مئات الأعوام؟ هل هي فتوحات بدافع نشر كلام الله؛ أم هي حروب بهدف الاستعمار؟ هل هو دين؛ أم هي سياسة؟ هل نعتق العبيد؛ أم نأسر الاحرار ونحولهم الي عبيد؟ وغيرها من التساؤلات التي تحدثت بها مع المُحقق، ويبدوا انني تقمصت الشخصية الي درجة الصدق؛ وقد أكون صادقاً ولكنني تقمصت شخصية التاجر

وبعد فتره ليست بالطويلة ولا بالقصيرة، وبعد وقوع العديد من الاحداث التي لا داعي لذكرها الان، ولكن التحقيق الأخير كان بدون غطاء الوجه الأسود، وكانت المرة الاولي التي اري فيها وجه المُحقق، وكانت المرة الاولي التي انظر فيها الي عينه، وكانت المرة الاولي التي اري فيها خبر جيد، فقد كانت عيناه تُشير الي اقتراب نهاية مُدة الأسر، وهو ما أخبرني به بالفعل

لقد نشأت علاقة صداقة ما بيني وبين المُحقق، لقد كُنا نتناقش في أمور كثيرة، لقد كان مُختلف عن جميع المُحققين، وكانت لدية ثقافة لم أعتقد بوجودها في رجال الأمن، ولهذا فقد تحولت جلسات التحقيقات الي ما اشبه بالصالونات الثقافية، لدرجة انني كُنت انتظر موعد التحقيق بشكل يومي، وذلك على عكس الجميع، وقد تعلمت منه الكثير، كما أنى قد علمته الكثير

طلب لي صديق المُحقق كوب من القهوة، ثم اعطاني سيجارة فأشعلتها، وبدأت اشعر بالدوار من تدفق النيكوتين في عروقي، فهي السيجارة الاولي لي مُنذ شهور، وبعد ان شربنا القهوة، قال لي صديقي المُحقق، بانه سيتم الافراج عني، كما انه سوف يقوم بتقطيع ملفي، بحيث لا يعاد طلبي مرة اخري،

وبحيث لا تظهر تِلك الفترة في صحيفة حالتي الجنائية، ولكنه اشترط ألا اتخذ من الدين وسيلة للتحقيق الطموحات، واشباع الرغبات

لقد اعطاني صديقي المُحقق درساً في الاخلاق، ووبخني ونعتني بتاجر دين، ولم أكن مُعترضاً على كلامه، ولم أحاول مُقاطعته، لقد كان شخصاً رائعاً، وكم تمنيت ان ارتدي بدلة أنيقة مثله، وأن اجلس على مكتب مثل مكتبه، وان اضع مفاتيح سيارتي امامي، كما كان يفعل، ولكنه في النهاية لا يزيد عن كونه حالة شاذة وسط بني مهنته، فأغلب المقبوض عليهم كانوا يعذبون بأسواء الطرق، ولكني كنت محظوظ بالوقوع في طريق صديقي المُحقق

أصبحت حُراً بداخل سجون الشك، وبداخل متاهات الوهم واليقين، لقد حصلت على الحرية، ولكنني فقدت الطريق، وفقدت الهوية، وفقدت الطموح، وفقدت الحقيقة التي كُنت أظن بأنني امتلكُها، لقد عُدت عاطلاً عن العمل كما بدأت، لقد عُدت كبواقي حُطام مركب تحطم، فتناثرت اجزاءه علي وجه الماء، كما بدأت

استطيع أن آري نظرات الإعجاب في أعين كُل من حولي، فقد شاهدوا تِلكَ القوات التي أُرسِلَت للنّيل من حُريتي، وشاهدوا لحظة توقف سيارة مملوءةٍ بِجنودٍ مُسلحِين، وقد قامت تِلك القوات بمنع الجميع من المرور، سواء مُترجلاً ام راكباً، وأمروا كُل من يشاهد المشهد من شرفته بإغلاقها، وكأنهم جاءوا للقبض على أحد قيادات المافيا، فقد كانوا مِثل قوات الأمن التي تُشارك في الأفلام السِينمائية، تِلك الأفلام التي كانت تبدأ برسالة شُكر، للسيد وزير الداخلية، والسادة اللواءات، على ما بذلوه من مجهودات لإنجاح العمل، وانا ايضاً يَجب أن أتَقَدَم لهُم بالشُكرِ، وذلك علي مجهوداتهم لإنجاح هذا العرض الذي خلق منى بطلاً في جميع الأعين ، إلا عيني

وبدأت الحرب في المنزل، وأعلن قانون الطوارئ، وصدرت أوامر أسرية بالتَخلِى الفوري عن اللحية، والتوقف عن الصِلاة في المسجِد، وقطع جميع العلاقات مع جميع الإخوة والأخوات، وقد كُنت أحترم شعورهم، ولكِنَهُم يجب أن يفهموا بأن الامر لم يكُن يتعلق باللحية ولا بصلاة الجماعة، وإنما كان يتعلق بطريقة تفكير، وأسلوب حياة

هل سأتخلى عن لحيتي؟ هل سأتخلى عن مظهر الصلاح، وأهم أسباب احترام المُجتمع لشخصي؟ هل سأتخلى عن أحد مؤهلاتي للعمل؟ لقد كانت الحية هي أحد مؤهلاتي للعمل، حيثُ كُنت لا أمتلك أي مؤهلات او خبرات تُساعدني على الإلتحاق بوظيفة مُحترمة، فمؤهلي الجامعي في تخصص علم النفس وعلم المُجتمعات، وهي اخر علومٍ قَدْ يحتاج اليها المُجْتَمَع، أو تحتاج اليها أي شركة

انني لا امتلك أي خبرات سابقة في العمل سوي خبراتي في العمل كعازف، حيثُ بدأت العزف في الأفراح، وبعدها انتقلت للعزف في أحد الملاهي الليلية، والتي كانت تبدأ عملها في الواحدة صباحاً، وتستمر حتى العاشرة، وكان رواد هذا الملهي من صفوة المُجتمع، وعلية القوم، وكانوا يُنفقون في سبيل مُتعتهم ما يكفي لإشباع سُكان جُزر القمر، حيث كانت تملء صندوق أسميناه بصندوق (الكيت) وهو الصندوق الذي توضع فيه (النُقطة) وقد كان صندوق الكيت أكبر من صندوق لجان الزكاة في أكبر مساجِد وزاره الأوقاف، وكان يُملأ على آخرة كل ليله، وكأنه صندوق من صناديق الزكاة، التي تمتلئ فَي العشر الأواخر من شهرِ رمضان، إنه مُجتمعٌ مُتَدّين بالفِطرة ودائم العطاء .

كان يقسم الكيت الى ثلاثة أقسام، كما تقسم الذبائح في عيد الأضحى، فالثُلُث للرَاقِصة، والثُلُث للعازفين،

والثلث الأخير للملهي، ولكن الراقصة التي كنت اعمل معها كانت لها قسمة أخرى، حيث كانت تتحصل وحدها على الثُلُثين، وتعطي لأفراد الفِرقَة ما يبعث على الفُرقة بينهم، ولكنها وللأمانة كانت تُميزُني عن باقي أفراد الفِرقَة، لقد كانت من أطيب الناس، وذلك على الرغم من لسانها الزالف، والمرفوع عنه غطاء الادب، وعلى الرغم من إن الملائكة كانت تعجز عن إحصاء ذنوبها، إلا انها لم تكن تَتَرَدد في مُساعده النّاس، وفعل الخير

لقد كانت تُوقِف نَشَاطُها في شهر رمضان الكريم، وذلك بُناء على تعليمات وزارة السياحة، وكانت تستغل فترة التوقف في السفر لتأدية مناسك العمرة برفقة بعض رواد الملهي، كما أنها كانت حريصة على تقديم القرابين إلى الله، وإطعام المساكين، ولم ترد سائلُ قط، حيثُ كانت تعطي بدون تفكير، وكانت حينما تُعطي، تُعطي بسخاء وكرم

انني لن أنسي كيف كانت تساعد إحدى الفتيات اللاتي كانت تعمل في ذاك الملهي، حيثُ قد كانت تِلك الفتاة تعمل بدافع ظروف مأساوية، لا فائدة من ذكرها، لأن تِلك الظروف لن تُعبر عن قسوة الحياة، وإنما ستُعبر عن قسوة هذا المُجْتَمَع، وغلاظة قلوب أهله، وقذارة أفعاله، وإن كان في هذا المُجتمع المُتدين شخصاً يستحق الاحترام لطيبة قلبه، فإن هذا الشخص لن يكون إلا تِلك الراقصة، التي كانت تساعد تِلك الفتاة من دون شروط، ومن دون أن تلمس جسدها، كما كان يفعل الجميع

لقد كانت تأخذ ما في صندوق الكيت، وتصل به الى حيث كانت لا تصل أموال صناديق الذكاة، وكانت تسعي لإبقاء خيطاً موصولٌ ما بينها وبين ربها؛ ولم أكن اعرف دوافعها للقيام بهذا، كما انني لم أكنٍ اعرف دوافع المُجتمع للتخلي عن رحمته وإنسانيته، ولكنني أعرف أن وجود هذه الراقصة، كان دليلاً علي رحمة الله بتلك الفتاة

لا أستطيع ان انسي تِلك الراقصة، فعلي الرغم من انها كانت راقصة، وكانت تُبدل ملابسها في وجودي، وفي الغالب كانت تتعري أمامي بكُل حرية، إلا انني لم اشتهيها قط، ولم أحاول ان اتخيلها كما يتخيلها كل رواد الملهي، وذلك لأنني لم اكُن أري مفاتنها الجسدية، ولكني كُنت اري مفاتنها الإنسانية، وهي الأخرى كانت تُحبني وتثق بي ثقة عمياء، وكانت تُغدقني بالأموال والهدايا

كُنت خلال فترة عملي في هذا الملهي، أكسب ما يزيد عن حاجة أي شاب في عُمري، بل كُنت اكسب ما يزيد عن حاجة أسرة، ولهذا فقد قررت ان اخوض تجربة المُخدرات، وكانت تِلك التجربة هي ما انهت علاقتي بعالم الموسيقي، وذلك بعد ان وسوست لأقرب أصدقائي بتجربة المُخدرات، ويا ليتني قد مِت قبل هذا وكنت نسياً منسياً، فقد مات صديقي، وقد كُنت انا السبب في موته، وكفي

العلامات

في اليوم التالي للحرية، كُنت اجلس في غُرفتي، وفي الناحية الأخرى من المنزل كانت غُرفة استقبال الضيوف، وبينما انا أفكر فيما سأفعل، انتقل صوت أحد الجالسين علي شكل موجات صوتية، انتقلت في الفراغ، ثُم اصطدمت بأحد جُدران المنزل، وإستكملت رِحلتها حتى وصلت إلى أذني، التي أرسلت الموجات إلى عقلي، الذي بدأ في مُطابقة هذا الصوت مع قاعدة البصمات الصوتية التي يحتفظ بها، فأظهر نتيجة تطابق هذا الصوت مع صوت أحد أقارب والدي

ان ضيفنا الذي يجلس بالخارج، يُعد من أقرب الناس الي قلب والدي، وبمُجرد استماعي الي صوته، فقد تذكرت ذلك اليوم الذي كُنت اجلس فيه مع جدتي، وكانت تحكي لي عن صداقة والدي بهذا الرجُل، حيثُ كانا لا يفترقان إلا للنوم، وكان أقرب الى والدي من إخوته، وكان منزل أسرته في القرية، بِجانب منزل أسرة والدي، وحتى حين نَزِحَان سوياً إلى العاصمة، فقد كانا يتقاسمان المسكن،

انني أتذكر وجه جدتي وهي تحكي لي من بعد أن عادت بظهرها الى الخلف، وإبتسمت، وكأنها تُريد إخفاء ضحكتها، ثُم تحدثت لي قائلة: بأن جدي قد سافر في ذات مرة الي زيارة والدي، فوجد علي وجهه علامات الارتباك، وبعد دقائق من أكتشف جدي وجود نِساء في الشقة، والعديد من زُجاجات الخمر، التي تكفي لتروي قيراط ارض مزروعة بالبرسيم

ثم ظهرت ضحكة جدتي التي كانت تُخفيها، وأكملت حديثها قائلة: لقد كان والدك يُحب النساء، ويُحب الحياة، وكان يستمتع بكل ما فيها، لأنه طيب القلب، ولا يقدر على أذية أي مخلوق، وكانت الضحكة لا تفارق وجهه، حتى تزوج من أمك، ومُنذ تِلك اللحظة، وهو يحمل هموم الدنيا والأخرة، ثُم اقتربت جدتي مني وضمتني الي صدرها وقالت لي: وانت الآخر ستكون مثل أبيك، وذلك لأنك تُشبهه في كُل شيء، سواء ملامحه او طيبته او ضحكته، أو حبك للحياة، ولكن حاول ان لا تؤذي أحد

كُنت اشعر بالراحة والسعادة حينما أُجالس جدتي من أبي، حيثُ كُنت استمع الي قصصها عن الحياة، وعن صفات الناس التي انقرضت، وعن الاخلاق والشهامة، وكانت تنصحني بأن أتحلي بالشهامة، ولكني لم أفهم حديث جدتي في وقتها، ولم أفهم معنى حُب النساء، إلا من بعد بلوغي، ولم أفهم نصيحتها بعدم إيذاء الناس، إلا بعد فوات الأوان

رحم الله ام ابى وام أمي فكِلتاهُما كانتا لا يعرِفان الإلتِزام الذي أعرفُة اليوم، ويبدو أن مُجتمعهُما مان لا يعرف شيئاً عن الالتزام الذي أعرفه اليوم، حتى كبار رجال الدين في هذا الوقت، لم يُجبرن نِسائهُن بارتداء الحجاب على سبيل المثال، وهو ما كُنت الاحظه في صورهم المنشورة في المجلات القديمة، كما أن جميع الأفلام وجميع الصور الخاصة بوالدي ووالدتي وجميع اقاربي، كانت تدُل على انهم لم يكونوا يعرفوا أي شيء عن الالتزام الذي أعرفه اليوم

على كل حال فانا احمد الله على أننى لم أحيا في تلك الفترة، وذلك على الرغم من أن الجميع يؤكدون على أن الحياة في تِلك الفترة كانت أفضل بكثير من الحياة في وقتنا الحاضر، حيثُ كانت الأخلاق واضحة، وكانت التصرفات راقية، وكان الجمال واضحاً في كُل شيء، وذلك على الرغم من انهم لم يعرفوا أي شيء عن الالتزام الذي اعرفه اليوم، في عصرنا القبيح

لقد قطعت والدتي حبل ذكرياتي، ونادتني لمُقابلة صديق والدي، فحاولت التحجج بالنوم، ولكن حجتي سقطت امام نظرات امي الحادة، فتذكرت كلام جدتي عنها فضحكت؛ وأخبرتها بأنني سأستعد وسأخرج لمُقابلته، وذلك على الرغم من انني لا أحب هذا الرجل، حيثُ انه يتقمص شخصية الدرويش، وينتسب الي الجماعات المتصوفة، ويعيش حياة الرحالة، فيختفي فجأة، ويظهر فجأة، ولكن ظهوره دائما ما يحمل علامات

لقد ذهب لزيارة أحد اقاربنا من دون موعد مسبق او حتى اتصال، ودخل بيته وبشره بان الله سيرزقه بمولود من بعد أن عاشت زوجته عاقر لمُدة عشر سنوات، ثم انصرف، وبعد عام زاره ثانية في عقيقة مولده، ثُم اختفي وانقطعت اخباره، ثُم يتصل بآخرين ويُبشرهم بأمر حميد، فيتحقق، ثم يعاود الاختفاء، وتنقطع اخباره، وعلى هذا الحال حتى زارنا اليوم

انا انتمى الي مذهب أهل السُنة والجماعة، ولهذا فإنني أعتبر أصحاب الطُرق الصوفية مُبتَدَعَه، ومنذ سنوات دعاني أحد أصدقائي للسفر مع أُسرَتِه الى رِحلة، وكنت أعتقد بأنها الى أحد الشواطئ، ولكنني إكتشف يومها بأنها رحلة لزيارة أضرحة أولياء الله الصالحين، وقد شاهدت العجب في يومها، وراءيت من تصرُفات الناس في المساجد ما يكفيني لاتخاذ قرار ينهي عن تكرار تِلك الزيارات، حيثُ تحولت المساجد في هذا اليوم الى ما يشبه الشواطئ المجانية، والحدائق العامة في عيد الفصح

وبعد عدة سنوات من تِلك الرحلة، وبعد فترة من الالتزام، التقيت بصديقي الذي رافقني في رحلة زيارة الأولياء، وأخبرني بوفاة والده، ثُم سألني عن منظور الإسلام لأهل الطرق الصوفية، فأجبته بأنهم مُبتدعه، ثُم سألني قائلاً: " هل تعني بأن والدي كان على ضلال وعلى بدعه، وذلك على الرغم من انه عاش عُمره يحاول القُرب من الله ورسوله، فهل يعني هذا بأن والدي كان يسير في الطريق الخاطئ؟ وهل يعني هذا بأن والدي ليس من أهل الجنة؟

لم أستطيع ان أُخبر صديقي بوجهة نظر أهل السُنة في الصوفية، لم أستطيع ان أقول له بأن والده كان من المبتدعة، لم أستطيع ان أخبر صديقي بأن والده الذي عاش يُحب الله ورسوله سيكون من أهل النار لأنه عاش على بدعة، وكُل بدعة ضلالة، وكُل ضلالة في النار،

حاولت مراعاة مشاعر صديقي، واخبرته، بأن الطُرق الى الله كثيرة، وبأن والده قد اختار إحداها للوصول الى الله، وفى النهاية، فإن الله يعرف نوايا عباده، ويعرف الظروف التي دفعتهم لكي يختاروا هذا الطريق، ولكن بعد فترة زار صديقي أحد المشايخ وكرر عليه نفس السؤال، وفي هذا اليوم قرر الشيخ هتك عرض مشاعر صديقي، وأخبره بكل أمانة عن منظور اهل الجماعة والسنة لأهل التصوف

توجهت الي غُرفة الاستقبال، وبعد التحيات والسلامات، وتقديم الأطعمة والمشروبات، فقد دخل علينا وقت صلاه المغرب، وطبعا نظرت الى والدي وكأنت نظراتي تطلب منة السماح لي بالذِهاب الى المسجد، ولكن نظراته أرسَلَت ردِ الطلب بالرفض، وفي تِلك اللحظة استأذن الرجُل والدي للذهاب الي المسجد للصلاة، ولكن والدي طلب مِنه أن نُصلى جماعه في المنزل، فوافق الرجل، وتوضأ والدي وتقدم الصف ليأمنا في الصلاة، وكعادته بدء في قراءة القُرآن بدون أى إلتزام بِأحكام القراءة الصحيحة، وقام بقراء سورة الصمد في الركعة الأولى، ثم سورة الفلق في الركعة الثانية، وكأننا نصلى في مسجد المدرسة، ثم

نقر الركعات وسلم وقام، من دون صلاة ركعتي السُنه

صلى الرجل ركعتي السنة وردد وِردَه من الأذكار سِراّ، وحينما حاولت القيام، جذبني من يدي، فنظرت له فوجدته مبتسماً، وطلب منى مساعدته في القيام، فمددت لي لأساعده، ولكنني وجدت واقفا فجاءة، ثم أقترب منى وقال لي: سنُصلى العشاء سويا في المسجد، فأجبته قائلا: بأن والدي لن يسمح لي بالنزول الى المسجد، فأجابني قائلاً: أعرف، وقد جئت لمساعدتك

توجهنا الى غرفة إستقبال الضيوف ثانيتا، وقدمت والدتي لنا نوع من أنواع الحلوى، تتكون من قمح ولبن وسُكر، وتُسمي " عاشورة " وهي أحد أنواع الحلويات التي ارتبطت بيوم عاشوراء، ذلك اليوم الذي أنجى الله فيه موسى وقومه من فرعون، ونحن قومُ إعتدنا على ربط جميع المناسبات الدينية بأصناف الطعام، والغريب في الأمر هو اننا سنحتفل بعد ايام بعيد شم النسيم، وهو عيد من أعياد دين فِرعون، الذي نحتفل اليوم بذكرى غرقه وهلاكه، إننا شعب جميل، ومتدين بطبعه

تعمّد والدي أن يحكي لصديقة عما حدث لي، وعن اصراري عدم طاعتي له، وعن رفضي لحلاقة لحيتي، وكان رد صديقه غير متوقع، حيثُ قال له: دعة وشأنه، دعه يبحث عن نفسَه حتى يجدُها فيجدُه، دعة يبحث عن الله حتى يجِدَه فيَجِدُه

ثم نودى الى صلاه العشاء، فطلب منى الرجل الإستعداد للذهاب الى المسجد للصلاة، فنظرت الي والدي فوجدته مُستسلماً لكلام صديقه، فتوجهت لتجديد وضوئي، ثم انطلقنا الي المسجد، وفي طريقنا كان الرجل يُردد ورده في صمت، ولكن كلامته التي قالها لوالدي كانت تتردد في عقلي

إن الرجل يقول لوالدي ان يترُكني ابحث عن الله؛ أهو يتحدث عني؟ إلا يعرف من أنا؟ ألا يعرف ماذا قدمت لدين الله؟ ألا يعرف مدي التزامي وطاعتي لدين الله؟ ألا يعرف كم الكُتب التي قراءتها؟ ألا يعرف كم الشباب اللذين هديتهم الي طريق الله؟ على كل حال، سأصحبه الي مسجدي ليعرف من انا، وليعرف علاقتي مع الله

دخلنا الي المسجد، فتجمع الجميع حولي من الأصدقاء والجيران، فالجميع يرغب في الاطمئنان عني، وكأنني ولي من الاولياء، واظهر كرامة من الكرامات، فتهافتت عليه الجموع من المريدين، فنظرت الي الرجل وكأنني أقول له: هل راءيت من ذا الذي يبحث عن الله، انظر يا مسكين

ذهب شاب لإقامة الصلاة، وقد قدمني الجميع للوقوف في مكاني المُفضل، ذلك المكان الذي افتقدته لشهور، فها انا أقف فيه ثانيةً، وأشبع حنيني للإمامة، وكالعادة، نظرت خلفي، ورددت ما احفظه من تعليمات الصلاة للمُصلين قائلاً: سووا صفوفكم، فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة، حاذوا بين المناكب وسدوا الخلل، ولينوا بأيدي إخوانكم، ولا تذروا فرجات للشيطان، ومن وصل صفاً وصله الله، ومن قطع صفاً قطعه الله، استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، الله أكبر

بدأت في قراءة الفاتحة، وكنت أُفكر في السورة التي سأقرأها لهم من بعدها، وبدأت ابحث في القُرآن عن آيات تُعبر عما تعرضه له في الشهور السابقة، وعن جزاء الصابرين، وعن عذاب الظالمين، لحظة!! لن

أحكي عن عذاب الظالمين، فأنا لا أرغب في العودة الي السجن مُجدداً، ولهذا سأبحث عن آيات تتحدث عن جزاء الصابرين، او عن المتاعب والصعوبات التي يتعرض لها المؤمنين، ولكن ماذا أقول؟ لا أعرف، أنا لا أتذكر أي آيات من القُرآن، هل قاموا بمسح ذاكرتي في المُعتقل، بالطبع لا

لحظة!! لقد اوشكت الفاتحة على الانتهاء، لقد انتهت بالفعل، إن الناس يرددون من خلفي، آمين، ماذا سأقول الآن؟ انا لا اتذكر أي شيء من القُرآن! ماذا حدث لي؟ يا ربى ماذا اقول؟

ومن دون أن اشعُر بدأت أردد: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ) ثُم ركعت مذهولاً، أحاول أتذكر القُرآن، فأطلت في الركوع، وكذلك في السجدتين، ثم استقمت، وها أنا أردد الفاتحة مُجدداً، ولا زلت لا أتذكر أي شيء من القُرآن، ماذا حدث؟ هل أركع من دون قراءة؟ الوقت يمُر، والسكوت لا يجب أن يطول عن هذا، ومن دون أن أشعر بدأت أردد قائلا: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) ثُم ركعت ثانية، مُتسائلاً عما أصابني !

ماذا سيقول الناس؟ لماذا اخفف في الصلاة، من بعد أن كُنت اقرأ في الركعة الواحدة ما يزيد عن خمسين آيه؟ بالتأكيد سيقولون إنني خائف من الأمن، وإنني على حيطة من أمري، لكيلا أعود، الي المعتقل ثانية، وبالتأكيد سوف يُقدِروا هذا، ويلتمسون لي الأعذار، ويتعاطفون معي، ولكن هل أنا أفعل هذا حقاً بدافع من الخوف؟ هل قام عقلي بمسح ذاكرتي نتيجة لخوفي؟

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. السلام عليكم ورحمة الله

التففت لأنظر للمصلين، وانا أُسبح كما إعتدت ان افعل، ولكن نظراتي الأن مُختلفة عن نظراتي من قبل، فمن قبل كُنت ألتف وانظر إليهم وكأني ملِكُ، يتفقد أحوال رعيته؛ واما الان، فأنا أنظر إليهم وكأنني تلميذ خائب، ينتظر نتيجة الإمتحانات، ولا أعرف لماذا؟ ما الذي أصابني

وقعت عيني في عين صديق والدي، فوجدت نظرة لن انساها، فانتفض جسدي، وكأن نظراته قد اقتحمت جسدي، وتخللته، فتكرت قوات الأمن وهي تُفتش منزلي، وها هي نظرات الرجل تقتحم عقلي وتفتش بداخله، وتحاول الكشف عن كل خباياه، ثُم تعود اليه، فتُخبره بكل ما في عقلي

كنت استقيم بعد صلاة الجماعة بهدف صلاة السُنة، ولكنني إستقمت فجاءة؛ وتوجهت الي خارج المسجد، تاركاً كُل من رائيتهم يتهيؤون لتحيتي، وتاركاُ هذا الرجل أو هارباُ منه، لا أعرف، ولكني لا اريد النظر اليه، ولا ارغب في التحدث معه، ولهذا تركته خلفي وتوجت الي باب المسجد، فقدمت قدمي اليُسرى، وقبل أن تتقدم اليُمني وجدته أمام باب المسجد، وقد أمسك يدي وقال لي: تقبل الله

لا أعرف كيف سبقني؟ اهو الشيطان تجسد في علي شاكلة هذا الرجل؟ وجاء ليفتنني عن دين الله، ولكن أي شيطان سيفتنني أنا؟ هل سأخدع نفسي؟ انني أعرف بأنني لست على الطريق المُستقيم، وأعرف كم ذنوبي التي اقترفتها، وأعرف جيداً كم الأفكار التي تتغلغل بداخل عقلي، واعرف كم شكوكي وظنوني في هذا الدين، ولهذا فإن الشيطان لو أرسل لي، سُيرسل لي دعوة لحضور حفل تكريم، أو سيرسل ليستأذنني في تعليق صورتي في لوحة الشرف

لم أنظر في عينيه، ورددت عليه قائلا: تقبل الله منا ومنكم؛ ثم ارتديت حذائي، وتوجهت في الطريق الي المنزل، فسار بجانبي، ثُم وضع يده على كتفي، وكأنه أبٌ، وقد ذهب لإحضار صغيره من المدرسة، في اول أيام العام الدراسي، ومن دون ان اشعر فقد استسلمت للسير في الاتجاه الذي وجهني اليه، ولم يكُن اتجاه المنزل، ولكني لم اعترض، حتى توقفنا امام أحد المقاهي فتجمدت في مكاني؛ فسألني عن سبب توقفي؟ فأجبته قائلا: أنني لا اجلس على المقاهي؛ فسألني عن السبب؟ فأجبته بأنني لا يجب أن اجلس في تِلك الأماكن، فسألني قائلاً: ولماذا؟ فأجبته لأن الدين ينهي عن ذلك؛ ثُم سألني قائلا: وهل سنشرب أي مشروباتٍ مُحرمة؟ وهل سنجلس من دون إحترام آداب الطريق؟ فأجبته: بلا

تحدث لي قائلاً: وما دُمنا لن نشرب مشروبات مُحرمة، ولن نُخالف أدب الطريق، فما المانع إذاً من الجلوس؟ إلا إن كُنت تخاف من نظرت الناس لك وانت أمام المسجد وتجلس على المقهى؟

فكرت في كلامه، فوجدته صحيحاً، لقد اصاب الهدف في صميم قلبي، حيثُ إنني لم أكن أعرِف ما يمنعنني من الجلوس على المقهى، غير خوفي من كلام الناس، وحفاظاً على مهابتي بينهُم، وكأنَني تِلكَ الفتاه التي كانت تعمل معي في الملهي الليلي، ولا تعود إلى المنزل، إلا وقت الصباح لخوفها، من رائي الناس فيها، على الرغم من انهم كانوا يتحرشون بها في الصباح، ولهذا فقد قررت الجلوس معه على المقهى، خاصتاً وأن الحديث الشريف لم يمنع الناس من الجلوس في الطرقات، ما داموا سيعطون الطريق حقة

دخلت الي المقهى وسط نظرات تعجب من الجالسين، فهُم يعرفونني، ولكنهم سيقولون بأنني أفعل هذا لأبعد انظار الامن عني، وسيلتمسون لي العذر، وسيتعاطفون معي، ولهذا ألقيت السلام عليهم، وجلست بجانب صديق والدي، وسالت النادل عن مشروب (التلبينة) فأجابني بانه لا يعرفه، فوصفت له شكله، فاحضر لي مشروب (سحلب) ولكن بدون مكسّرات، ثُم قال لي ضاحكاً: لم أضع المُكسرات لاحتوائها على الزبيب يا مولانا

بدأ الرجُل حديثه بالثناء والمدح في شخصي، وفى سعادته بإلتزامي وتقرُبي إلى الله، ويبدوا ان الرجل يستخدم طريقة مُختلفة في بيع سلعته، فهو يبدأ في مدح العميل، ليبدأ العميل في الشعور بذاته، فيشتري، وبالفعل أكمل الرجل حديثه في نفس الاتجاه، ثُم طلب مني أن أشرح له بعض الأمور المُتعلقة بالدين، والتي لا يعرفها

أنها المرة الأولي التي أحاول فيها الهروب من الإجابة على الأسئلة الدينية، وذلك لأنني أعرف بأنه يعرف، وهو يعرف بأنه يعرف، ويعرف كذلك بأنني أعرف انه يعرف، وكذلك لأنني أعرف بأنه سيسألني من أجل أن يبيع لي الإجابة، وليس من اجل ان يشتري مني

البيغاوات

قال لي بأنه يود ان يسألني عن كلام رددته مُنذ ثلاثون دقيقة تقريباً، فتعجبت! واخبرته بأنني لم اتحدث معه مُنذ ثلاثون دقيقة، لأننا كُنا نُصلي في المسجد، فقال لي: أنه لا يقصد كلامي معه، وانما يقصد كلامي الذي كُنت اردده في المسجد، فأخبرته بأنني لم أتحدث في المسجد، وإنما انصرفت من بعد الصلاة مُباشرتاً؛ فقال لي: أنه يسأل عن الكلام الذي كُنت اردده في الصلاة

اللعنة! هل كان يسمع حديثي مع نفسي؟ هل كان يسمعني وانا أُفكر في اختيار الآيات؟ هل دخل الي عقلي حقاً؟ هل قراء ما بنفسي؟ ولكن كيف هذا؟ هل يستخدم الجن؟ هل يمتلك قدرات خاصة؟

تظاهرت بعدم التذكر، ورسمت علامات التعجب على وجهي، وذلك لمحاولة استهلاك الوقت للتفكير، ثُم تحدثت اليه مُتسائلاً: عن أي كلام تسألني؟ أنا لم اتحدث في المسجد، ولم أجهر بالصوت إلا ب القُرآن الذي قراءته في الصلاة؛ فعن أي كلام تتحدث؟ هل تسألني عن حديث نفسي؟ وما أدراك بحديثي مع نفسي؟

أجابني قائلاً: بأنه لا يسألني عن حديثي مع نفسي، حيثُ أن حديثي مع نفسي يُعد بمثابة مُذكرات شخصية، لا يعرفها إلا الإله الواحد، ولهذا فإن حديث النفس مع النفس، يُعد بمثابة (مُذكرات مع الإله)، ولكل مِنا إله، ولكُلٍ مِنا مَذكرات مع النفس، ولا يعرف بمُذكرات النفس مع النفس إلا الإله، ولا يعلم بمُذكرات النفس مع الإله، إلا النفس؛ ولهذا فإنه لا يصح لنفسٍ أن تسأل نفسٌ أخري عن مُذكراتها مع الإله، وذلك لأن الإله نفسه لا يكشف للنفوس عن مُذكرات النفس معه، ولا يُحاسب النفس علي مُذكراتها، فكيف بنفسٍ، أن تسأل نفسٌ أخري عن مُذكراتها مع الإله

سكت قليلاً في محاولة مني لإدراك كلامه، ثُم بدأت أفكر في مُذكراتي مع الإله، والتي لا يعلم مخلوق بها، وذلك لان الله لم يُطلع العباد على مُذكراتي معه، وحتى في يوم القيامة، سيُسدل ستار السّتر، ويُحاسبني مُنفرداً، وسيسألني عن مُذكراتي معه

وفي وسط تفكيري، قاطعني الرجل قائلاً: إنما كُنت أود أن اسألك عما كُنت تُردد جهراً في وقت الصلاة؛ فتعجبت وأجبته قائلاً: لقد كُنت أقراء القُرآن، فهل لا تهرف القُرآن؟ فأجابني مُبتسماً: وهل تعرفه أنت؟ فأجبته قائلاً: بالطبع؛ فسألني: وماذا تعرف عنه؟

أجبته قائلاً: إنه كلام الله المُنزَل على نبينا عليه الصّلاة والسّلام، المُتعبَّد بتلاوته، المَنقول بالتّواتر، المَبدوء بسورة (الفاتحة)، المَختوم بسورة (النّاس) وهو يتكوّن من ثلاثين جزءاً، وكلّ جُزء يتكوّن من حِزبين، فيكون عدد الأحزاب ستّين حزباً، وأما عدد السور فهو مئة وأربع عشرة سورة، وعدد آياته هو 6236 آية، وهو مُعجِزٌة في لفظه، ونُظمه، وأسلوبه، وعباراته، وموضوعاته، وتشريعاته .

فسألني قائلاً: وهل هذا كُل ما تعرفة عن القُرآن الكريم؟ فأجبته قائلاً: لا بل اعرف المزيد، وإنما الدهر لن يكفي لأشرح لك عن كلام الله للعالمين، ولهذا فاسأل، وسأجيبك عما تُريد

سأسألك عما رددته الان، وما رددته في الصلاة، حيثُ أخبرتني بان القُرآن كلام الله المنقول الموتور المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس، ومن قبلها سورة الفلق، وهي نفس السور التي قرأها

والدك في صلاة المغرب، وهي نفسها السور التي قرأتها أنت في صلاة العشاء، ولهذا فإنني اود اسألك عما رددته في الصلاة

قاطعت حديثه مُتعجباً قائلاً: لماذا تقول بأنني أُردد، أنا لا أردد، وإنما أقرأ كلام الله، ولا يصّح أن تستخدم كلمة رددت وتكررها، حيثُ أنني لست ببغاء يُردد الكلام من دون فهم

حافظ الرجل على ابتسامته، وذلك على الرغم من أنني تخليت عن الذوق في الكلام، ولكنه استفزني باستخدام كلمة" رددت" ولهذا فقد اعتذر لي عن استخدام هذا اللفظ، ثم سألني عن عدد المرات التي قرأت فيها سورة الفاتحة وسورتي الناس والفلق؟ فأجبته بأنني أرددهم في اليوم الواحد ما يزيد عن العشر مرات، وذلك لأنهم ضمن أذكار الصباح والمساء، وكذلك لاستخدام الفاتحة في كُل ركعة

بنفس الابتسامة تحدث قائلاً: ما شاء الله، ولكن هل تفهم ما تقرأه؟ فأجبته قائلاً: بالطبع أفهمه؛ فسألني قائلاً: ما الفارق ما بين (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)؟ وما هو (الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)؟ ومن هُم (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ)؟ ومن هُم (الضَّالِّينَ)؟ وما معني كلمة (الْفَلَقِ)؟ وما معني (غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ)؟

حاولت تجهيز الإجابات في عقلي بشكل سريع؛ ومن دون تفكير بدأت الإجابة من السؤال الأخير قائلا: (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) هُم اليهود؛ وأما (الضَّالِّينَ) فهُم النصارى؛ وذلك لأن اليهود عرفوا الحق فحادوا عنه؛ بينما النصارى، لا يعرفون الطريق الصحيح؛ وأما (الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) فهو طريق فوق جهنم، وهو أحُّد مِن حَّد السيف، وأرفع من الشعرة

وأما بالنسبة للفارق ما بين (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فلا يوجد فارق بينهُما؛ فقاطعني مُتسائلاً: ولماذا يُكرر الله كلامه؟ هل كان يبحث عن كلمة بنفس القفيَة؟ فسكت للحظات ثم أجبته قائلا: حاش لله، إنما أراد الله سُبحانه وتعالي أن يؤكد على المعني

ثُم سألني قائلاً: وهل لا يوجد (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) غير اليهود؟ وهل لم يحيد عن الحق من بعد معرفته سواههم؟ وهل لا يوجد (ضَّالِّينَ) عن الطريق غير النصارى؟ هل أنت مُقتنع بما تقول؟ هل تعتقد بعدم وجود ديانات أخري على الأرض غير المسيحية واليهودية والإسلام؟ هل تعتقد بانِ الله لم يغضب على مُسلمين؟ هل تعتقد بعد وجود مُسلمين لا يعرفون الطريق؟ وهل تعتقد بان (الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) هو ذلك الطريق الموجود فوق جهنم؟ ولماذا لا يكون (الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) هو الطريق المُستقيم، أو طريق النجاح، أو الطريق الي الله؟ هل لازلت مُقتنع بانك لا تُردد الكلام؟

حاولت الخروج من الموقف، فأجبته قائلاً: أنا أنقل لك كلام العُلماء، وليس كلامي، كما انني لم اهتم بفهم بعض معاني القُرآن؛ وانما اهتممت بفهم علوم الشريعة وعلوم الفقه، لأنها ما نحتاج اليها يومياً في حياتنا، ولهذا فاسأل عن أي مسالة فقهية لأُجيبك عنها

تحدث الرجل قائلاً: وكيف تُجيب عن الفقه والشّرع، وانت لا تفهم كلام الله؟ وكيف تقول بانك تعرف القُرآن ولا تفهم معناه؟ وكيف تعبد إله، وانت لا تُحبه؟ وكيف ستُحبه ما دُمت لا تفهم كلامه؟ وكيف يكون هذا الكتاب مُعجزة لك، وانت لا تفهم معانيه؟ هل تستطيع ان تعمل في شركة من دون أن تفهم كلام صاحبها بشكل صحيح؟ فكيف ستُنفذ أوامره كما اراد؟

أكمل الرجل حديثه مُتسائلا: تقرأ سورة الفلق كل يوم عشر مرات، ولكنك لا تعرف معني كلمة (الفلقِ) ولا معني (غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) فكيف تخشع في الصلاة يا بُني؟ وكيف تقف مكان رسول الله؟ وكيف تدعي بأنك على سنته؟ هل كان رسول الله لا يفقه ما يقول مُثلك؟

حاولت تحسين صورتي، فأخبرته بأنني أعرف معني كلمة (الْفَلَقِ) وهو فلق القمر، حيث قَدْ فلق الله القمر في معجزة لنبيه وقد اكدها لنا في قوله اقتربت الساعة وانشقَ القمر؛ ثُم حاولت الإجتهاد في معني (غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) فلم أجد معني، فبُهت واقتنعت بأنني ببغاء يُردد الكلام من دون فهم

بدأ الرجل يبيع لي، وذلك من بعد ان اقتنعت بأنني في أمس الحاجة الي سلعته، فأكمل حديثه قائلا: إن (الْفَلَقِ) لا تعني فلق القمر كما تدعي علي الله، فأبحث عن معناها، وعن معني كُل ما سالتك عنه، فأنا لن أعلمكَ، لأنني أقل منك علماً، وإنما اردت ان الفت نظرك الي أنك كُنت قاب قوسين او ادني من فُقدان مُستقبلك، بدون مُقابل؛ إنك كُنت تظن بانك تعمل بالتجارة مع الله، ولكنك لا تعرفه،

فأبحث عنه يا بني، فأبحث عنه حتى يجدك، ولنّ يَجدك ما دُمتُ لا تبحثُ عنه، ولن تبحثُ عنه إلا إذا كنت تُريدهُ، ولن تُريده إلا إن كُنتَ تُحبَهُ، ولن تُحبَهُ إلا من بعد أن تعرِفهُ، ولن تعرِفه ابداً وأنت لا تفهم كلامه، فأبداء بفهم كلام الله لتعرفة، فتُحبه، فتبحث عنه، فيجدك، وتجده

وإن ظننت بانك عرفته، فأعلم أنك أخطأت، وكرر البحث عنه، لأنك لو علمته لم يكن هو، ولو جهلك لم تكن أنت، فبعلمه أوجدك، وبعجزك عبدته، فهو هو لِهُوَ، لا لَكَ؛ وأنت أنت لأنَت ولَه؛ فأنت مرتبطٌ به، ما هو مرتبطٌ بك؛ الدائرة مطلقة، مرتبطةٌ بالنقطة؛ النقطة مطلقة، ليست مرتبطة بالدائرة؛ نقطة الدائرة، مرتبطةٌ بالدائرة .

لم تمر ساعات على نهاية حديثي معه إلا وكان شعر لحيتي يسقُط أمام عيني، لقد أزلت لحيتي، وتنازلت عن لقب الصلاح، واعتزلت الصالحين اللذين أوجدهم المُجتمع، وقررت التنازل عن ميراث لم اختاره، ولكني الان خُيرت، فاخترت أن أختار، ولكن لن يتحقق الاختيار إلا بعد معرفة، تُساعد على اتخاذ القرار، وما دُمت لا امتلك المعرفة فأنا لا أمتلك القرار، ولهذا سأظل في مرحلة الاختيار

ومنذ تِلك اللحظة وانا أبحث، وكأنني أُصبت بورم خبيث في افكاري، بدأ بتساؤل بسيط، ثُم بدأ في الانتشار، حتى تملك من كُل أفكاري؛ ومنذ تلك اللحظة وانا اسأل،

ومنذ تلك اللحظة وانا أعيش في كَبد

الرقيب :

لقد انتهي الوقت الدوام، ولهذا سأتوقف عن القراءة الأن، على الرغم من استمتاعي بأسلوب الكاتب، وسأكتب مُلاحظاتي المبدئية عن هذا النص، لكيلا أنساها غداً، فهو نص جيد حتى الان، والأخطاء الإملائية قليلة، وإن كان يوجد بعض الجرائم التي تُرتكب في حق اللغة العربية، وتحديداً في تركيب الجُمل، ولكن يسُهل تصحيحها، ولهذا سأمتنع عن كتابة المُلاحظات اللغوية، وسأبدأ في تدوين المُلاحظات عن موضوع النص

أعجبتني فكرة تشبيه الأديان الثلاثة بالشبكات الثلاثة، وأعجبتني طريقة البطل للحصول على الامامة بالمسجد، واعجبتني جرأته في الاعتراف بخطاياه، وبدأت أشعر بأن هذا النص ليس مُجرد رواية من وحي خيال الكاتب، وإنما هو مُذكرات حقيقية

حوار الكاتب مع صديقة المُحقق، كان يحتاج الي مساحة أكبر، ولكن من الواضح أن الكاتب يحاول تجنُب الصدام مع المؤسسات الأمنية، ولكنه وقع في المحظور واصطدم بالفعل مع المؤسسات الدينية، وفى النهاية، النتيجة واحدة، العمل مرفوض

لقد طرح الكاتب العديد من الأسئلة بشكل واضح وصريح، وهو أكبر خطأ أرتكبه الكاتب، حيثُ أن الأسئلة لا تُطرح بهذا الشكل، بل يجب أن تكون بأسلوب أكثر ذكاء من هذا، ولهذا سأرفض النص، من اجل تطبيق قواعد العمل، ومن اجل حماية الكاتب نفسه من المؤسسات الدينية التي لن ترضي عنه حتى يتبع ملتها، ويتوقف عن التفكير

عزيزي الكاتب؛ أنا لا أعرفك، ولكن كلامك قريب الي قلبي، وحياتك قريبة من حياتي، ولا اعرف كيف تكتب ما كُنت أفكر فيه من سنوات؟ ولا اعرف كيف تشابهت حياتك مع حياتي؟ ولكني على يقين من ان حياتي وحياتك تُشبه حياة ملايين البشر، ممن أصيبوا بدأ التفكير، في زمان التكفير

عزيزي الكاتب؛ اعتذر لك بشده، لأن عملك مرفوض، ونصيحتي لك هي ان تستخدم اسلوبك المُميز، وتكتب روايات عاطفية، او قصص رُعب، وحكايات عن الجن والشياطين، حيثُ أن الناس في زماننا هذا يرغبون في المزيد من الأساطير، ويرغبون في المزيد من الأوهام، ويرغبون في تعميق هوة المجهول

عزيزي الكاتب؛ أكتب لك وانا أعرف بأنك لن تقرأ كلماتي، ولكنني سأكتبها، لعلها تصل اليك بطريقة أو بأخرى، حيثُ أنك تستحق أن اكتُب لك، وتستحق ان ارفُض عملك لأحميك، حيثُ أنك قد خلعت ردائك وقررت أن تجلد نفسك، وتجلد المُجتمع، وتُعري العقل الجمعي، ولكن ثق فيما سأقوله لك: إن المستور مفضوح، وإن الخفي واضح، وإن السر مُعلن، والسؤال مطروح مُنذ قرون، والاجابات واضحة، ولكن الناس لا ترغب في ان تعيش في كَبد مثلما عشت أنت، ولهذا فلا تحاول ازعجاهم وإلا ستُصلب

إن كل ما يشغل بالى الان، هو الذهاب الى الصراف، وذلك لإستلام راتب الشهر، مُضاف اليه بدل السكوت، ثم سأذهب لشراء مخزون الشهر من النباتات الطبيعية المُخدرة، والتي وهبتها لنا الطبيعة، لتهبنا القُدرة على التعامل مع باقي ما وهبته لنا، ثم اذهب الى المنزل، وذلك لأداء مناسك استقبال أقارب زوجتي، حيُث أن اليوم يتصادف مع احتفالنا بغرق وهلاك الملايين من جيش فرعون

أنا لا أحب الاختلاط بالناس، ولا أفضل التواجد في التجمعات العائلية بشكل خاص، والسبب في ذلك يتمثل في أن لتلك الاجتماعات طبيعة خاصة، تُشبه طبيعة تجمعات بعض الحيوانات في موسم التزاوج،

حيث يُثرثر جميع افراد العائلة في نفس اللحظة، ويدخلون في مُناقشات بلا جدوى، وبلا أي معني، وبلا أي هدف، غير محاولات من بعض افراد القطيع لفرض هيمنتها على باقي افراد القطيع، وفي النهاية ينتصر الذكر المُهيمن أو الأنثى المُهيمنة، ولهذا فأنا أكتفي بمُشاهدة القطيع يتناطح، من دون أي مُشاركة تُذكر، ومن دون أي رد فعل

وصلت الي المنزل، وبعد قليل سيبدأ العرض، ووصل الضيوف، وها نحن في انتظار اذان المغرب، وذلك لأننا نصوم في الاحتفال بغرق جيش فرعون، وانطلق اذان المغرب حسب التوقيت المحلي لمدينتنا، وبدأت فقرة الطعام، وهي فقرة مُملة ومُكررة، حيثُ يطرح الناس نفس السؤال للمرة المليار، ذلك السؤال الذي لا يمل الناس من تكراره، وكان السؤال هو: لماذا لا تأكل اللحوم

بسم الله الرحمن الرحيم: الإجابة هي لأنني نباتي؛ لا أفضل أكل الحيوانات؛ وبعد الإجابة تتكرر نفس الضحكات وتُطرح نفس الدُعابات، ثم يواصلون التهام المخلوقات وكأنهم مجموعة من (الزومبي) ويحاولون نقل المرض لي بأي شكل

تدخين سيجارة من التبغ المُختلط بالنباتات المخدرة في الخفاء، سيُساعِدَني على التحلي بالصبر والقدرة على استكمال فقرات الحفل، وها قَدْ جاءت فقرت الصلاة، وكالعادة يجب أن أقوم بالصلاة معهم، وإن كُنت لا أصلي، إلا أنني يجب أن انضم الي الجماعة، وإلا سأسبب الحرج الى زوجتي المتدينة بطبعها، كما انني يجب ان انضم الي الجماعة لكي أكون قدوة حسنة لأبني

كالعادة اترك لأحدهم الإمامة، بحجة صوته العذب، ـ ثُم أعود لأقف في الصف، وانتظره يُكرر نفس العبارات التي يُكررها كل مرة، فيلتف الينا ويقول: سووا صفوفكم، فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة، حاذوا بين المناكب وسدوا الخلل، ولينوا بأيدي إخوانكم، ولا تذروا فرجات للشيطان

على الرغم من اننا ثلاثة افراد إلا انه يجب ان يأمُرنا بتسوية الصفوف، والمُحاذاة ما بين المناكب، وعدم ترك مساحة للشيطان ليقف بيننا؛ كيف يظن هذا؟ كيف يعتقد بأن الشيطان سيأتي ليقف ما بيننا؟ هل سيأتي الشيطان ليُقيم الصلاة معنا؟ وإن لم يجد الشيطان مكاناً ما بيننا، فما الذي سيمنعه من الوقوف خلفنا او امامنا؟ الي هذا الحد وصل أسلوب تفكيرنا؟

وكالعادة سنحاذى كيلا يدخل الشيطان بيننا، ويكتفى بأن يظل في عقونا، وكالعادة سيبدأ الأمام في ترديد الفاتحة بصوته العذب، وبعدها يقرأ سورة الحاقة، ويظل يتباكى، ويكرر آيات العذاب، ويُذكرنا بمصير أل فرعون وعاد وثمود، حتى ننفجر في البكاء بدافع من الشعور بالخوف من الهلاك

تذكرت صاحب الرواية، وتذكرت التشابه ما بين قصته المكتوبة من وحي الخيال، وما بين الواقع الذي اعيشه الأن، فابتسمت، وقررت أن استكمل قراءة نصه بالغد، لأنني شعرت بانه هو من يُصلي بِنا، وخلال تِلك اللحظات كبر الامام للركوع، ثُم استقام، ثُم سجد فأطال السجود ليدعي الله في هذا الوضع، وهو ما دعاني لدعاء الله بأحد الادعية التي أحب ترديدها قائلا: يا إلهي؛ ليتقدس اسمك، ليأتي ملكوتك، لتكُن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض؛ خبزنا كفافنا أعطنا اليوم. واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا؛ ولا تُدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير؛ لأن لك المُلك والقوة والمجد إلى

الأبد. آمين

ثُم استقمنا لأداء الركعة الثانية، وبعد ان كرر الفاتحة، ردد سورة الفلق، فعدت بذاكرتي لكاتب الرواية، ثُم استكملنا الصلاة حتى أنهينا اداء الثلاثة ركعات، وبعد الصلاة قام أحد المُصلين بالتحدُث الي الأخر لينصحه بتحريك سبابته الي الأعلى والاسفل، وذلك لأنه بهذا سيقوم بضرب الشيطان على رأسه؛ وكأن الشيطان يجلس على (حِجره) في وقت التشهد تحديداً

حاولت منع أنفي من الردّ، ولكني لم أستطيع من منع لساني من توجيه السؤال الي الامام عن معني كلمة (غَاسِقِ إِذَا وَقَبَ)؟ فسكت؛ وحاول الخروج من الموقف؛ فسمحت له؛ حيثُ أنني لم ارغب في الاستماع الي تأوِيلَه، وإنما كُنت ارغب في سكوته

وفى الصباح وبعد الإفطار وما تلاه من مراحل إنتِقال ما بين الوعي واللاوعي من خِلال ذلك المكوك الذي قمت بتدخينه؛ فتحت الرواية لاستكمالها، وخصوصاً من بعد ما قرئت في الجريدة الرسمية اليومية، عنِ دعوة القيادة السياسية الى إعادة النظر في الخطاب الديني، وهو ما قد يُتيح الفُرصة لظهور أمثال تِلك المذكرات، والسماح بنشرها لها

وبدأت اقراء فقرة طفولتي والجنة والتي كان فحواها:

طفولتي والجنة

اتخذت قراراً بالبحث عن عمل، وكانت الصحف الأسبوعية هي الوسيلة الوحيدة للبحث عن عمل، وكانت أغلب الإعلانات تطلُب عاملين في مجال السياحة والفنادق، وتحديداً في بعض المُدن الساحلية، ولكنني أخشى من صحيفة الحالة الجنائية، وأخشى أن يقف اعتقالي حائلاً ما بيني وما بين أي فُرصة عمل مُحترمة، ولهذا فإنني لن أُخاطر بالعمل في مجال السياحة، خاصتاً وان العمل في الفنادق سيترتب عليه تقديم بعض المُحرمات كالخمور، وهو أمر غير محمود بالنِسبة لي، حتى وإن كُنت اشتهي القليل منها،

وحتى إن كَنت لن أقوم بتقديمها، فإن أموال الفنادق تَعد بمثابة أموال مُختلطة، حيث أختلط فيها المال الحرام بالمال الحلال، ولذا فأنا أفضل أن اترُكها كأخر باب من أبواب الرزق

ان الخمر من الكبائر، وإن كنت لا أفهم عن سبب منعها في الدُنيا، وتقديمها كجائزة في الاخرة، ولكن البعض يقول بان خمر الجنة ليس بُمسكر، ولكن يبقي سؤال: ما فائدة الخمر إذا كان غير مُسكر؟ وهل يصح استخدام كلمة (خمر) على ما هو ليس بمُسكر؟

أنى لا أعرف أسباب تحريم الخمر، ولا أعرف أسباب تصنيفها من الكبائر، ما لا أعرف من ذا الذي صنفها من الكبائر، وبِصَراحة شديدة، فأنا لم أشعُر بأن النص القرأنى قد حرمها بنفس الطريقة التي حرم بها الزّنا؛ وأشعر بأنَ (السُكَرَ) يختلف عن شُرب الخمر، حيث أن الله يقول عن يوم القيامة (يوم ترِي الناس سُكَارَى؛ وما هُم بسُكَارَى) كما يقول تعالي (وجاءت سكرت الموت بالحق) ولهذا فإن (السُكَرَ) المنهي عنه يشتمل كُل ما يُخرج الانسان عن تركيزه، وليس شُرب الخمر تحديداً

كما ان بعض العلماء من المُنتمين الي الحنفية، قد اجازوا شُرب الجعة، وذلك لاحتوائها على نِسب مقبولة من الكُحول، والكحُول نفسه غير مُحرم، وإنما التحريم على الخمر؛ وشتان ما بين الخمر والكحول، حيثُ ان الكحول يدخل في صناعة بعض الأدوية؛ فالمُهم هو ان لا تصل نسب الكحول الي نسب مُرتفعة لكيلا تصل الي مرحلة غياب العقل؛ اعوذ بالله من الشيطان الرجيم، استغفر الله العظيم، هنالك امور تندرج تحت المعلوم من الدين بالضرورة وليس لي مجال للخروج عنها أو التفكير بها، وإلا سأهلك، استغفر الله العظيم، استغفر الله العظيم،

يا رب الهمَنني الصّبر؛ فانا لا أرغب في استبدال نعيم الاخرة بنعيم الدُنيا، ولا أرغب في استبدال خمر الجّنة بخمَر الدنيا؛ ولا أرغب في استبدال الحور العين ببعض من نِساء الأرض؛ اللهُم الهمَنني الصّبر لأفوز بمتاع الجنة، وإن كان عقلي غير قادراً على تصديق متاع الجنة؛ حيث أنه لا يُعقل بَأن يهبنا الله التفرُغ من اجل مُمارسة الجنس والطعام وشُرب الخمر؛ فهل يعقل أن تكون هذه جائزة العبادة؟ هل ستكون الجنة ساحة لإشباع الغرائز الحيوانية بكل اشكالها وصورها؟ وإذا كان الامر كذلك؛ فهل سيتواجد الكوكايين في الجنة؟ استغفر الله العظيم، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

الوظائف الاكثر طلبا في الجريد كانت لوظيفة مندوب مبيعات، ويبدو أنها الوظيفة الانسب بالنسبة لي، فانا أعرف إمكانياتي جيداً، وأعرف قدراتي على البيع، وتجربتي الأخيرة في التجارة مع الله، أثبتت قدرتي على تسويق الأفكار، فكم من عقول استحوذت عليها بطريقتي وأسلوبي؟ وكم من شباب اهتدوا بسببي؟ وكم من فتاه التزمت بدعوتي؟ وكم من فتاه ضلت لثقتها بي .

ايها الندم ابتعد عنى، أيتها الدموع توقفي، أيها الضمير أصمُت، اصمتوا جميعا، فلم يمنعنني احدكم من القيام بأي شيء، أو تكرار أي فعل، فاصمتوا الان، اصمتوا لأنكم أضعف بكثير مما توقعت، أصمتوا لأن شهواتي ورغباتي كانت دائما أقوي منكم، اصمتوا لأنكم لا فائدة منكم، أصمتوا ودعوني أعيش مع ما نشأت عليه وما تمنيته منذ الطفولة.

نعم فمنذ طفولتي وانا اتمنى ان أكون مُدخن، وان اشرب الخمر، وان اتكون لي علاقاتٍ مُتعددة مع

النِساء، وحتى تعاطي الكوكايين، فقد كنت اشتاق اليه منذ طفولتي، وحتى العمل في الملاهي الليلية، كان حلم من أحلام الطفولة، ولم لا؟ وكيف ستتشكل أحلام طفل يُشاهد نَظرات الإعجاب في اعيُن أُسرته وهي تُشاهد هذا البطل الرائع، الذي يُدخن ويشرب الخمر ويعرف النساء؟ فها أنا أصبحت مثله؛ فلماذا ترفضون أفعالي؟ وكيف ترفضونها وأنتم معجبون بنفس الأفعال من شخص اخر؟

لقد استحملت مرارة طعم الخمر من اجل الحصول على نفس نظرة الاعجاب التي وهبتوها لذاك البطل، كما انني تحملت الدُخان لكي أفعل نفس ما كان يفعل البطل، كما انني اشتهيت النِساء، كما يشتهيها بطلكم؛ ألَم يكن هؤلاء الأبطال الشخصيات هُم محور اهتمام المُجْتَمَع ومحل تقديره ولازالوا؟ فلماذا تودون حِرماني مِن لعب دور البطولة؟ وكيف ستمنعونني من استكمال تقمُص هذا الدور الذي تقمصني؟

فانا لم أُخلق بكل تِلك الشهوات، وإنما خُلقت بريئاً مُطرهاً من بصماتكم علي حياتي، لقد كُنت أعيش مع الكائنات النورية التي كانت تُصاحبني في الاحلام، وكانت تِلك المخلوقات تُخبرني بأمور غيبية، وكُنت أُخبر أهلي بها، وغالباً ما كانت تتحقق، كما ان تِلك المخلوقات النورية كانت تصحبني لزيارة الجنة، تِلك الجنة التي لم أكن أري فيها انهار الخمر ولا الحور العين، ولم أري حتى العاب للأطفال او ما يُشبه ذلك، وإنما كُنت أري السعادة تتجسد في شخصي، وكفي

لقد احببت الموسيقى من زياراتي الي الجنة، حيثُ كانت الموسيقي هل لُغة أهل الجنة، وحتى في الدُنيا، فقد كانت موسيقي تخرج من صوت أمي وهي تُشجعني على الاسترخاء والنوم، ولهذا أحببت الموسيقي وحصدت العديد مِن الجوائز في فترة التعليم الأساسي، ولكن أسرتي قررت استبدال دروس الموسيقي بدروس تحفيظ القُرآن، فذهبت الي المسجد، والتقيت بهذا الشيخ الذي كانت تفُح من فمه رائحة الثوم، وكان لقدمه رائحة نتنة

لقد أهانني للمرة الأولي في حياتي، لقد ضُربت بالعصا مثل الحيوانات، وذلك لأنني رفضت ترديد كلامه من غير أن اعرف معناه، فضُربت، وتوقفت عن السؤال عن المعني، ولهذا فإنني حفظت كتاب الله كاملاً، واطلعت علي كُتب التفاسير والفقه ولكنني لم أحاول الإطلاع على معني القُرآن، وذلك لأنني تعلمت ان أحفظ، وان لا أسأل

شتّان ما بين هذا الرجل وما بين مُعلمة الموسيقي، فقد استمدت رُقيها من الموسيقي، وكانت أجمل نساء الارض في عيني، وكان شعرها كالأوتار يعزف أحلي الالحان، فيتناغم مع صوتها العزب، وكانت حينما تُنطق بأسمى أشعر كأنها تُسبح ربها، ولهذا فقد كانت تناديني فأقول لها لبيك مُعلمتي، فتطلب مني النجاح، فأحقق لها المركز الأول علي مستوي جميع المدارس

شتان ما بين مُعلمة الموسيقي وهذا الرجل، فشتان ما بين حُضن المُعلمة لطفل، وما بين تِلك العصى التي ورمت قدمي، ويكفي هذا الحديث عنك ايها الشيخ، فأنت لا تستحق أن تذكر، ويكفي ان تعرف ان هذا المُنافق الضّال هو ناتج عملك، ويكفي يا أمي ان تعلمي بأنني قد حفظتُ من القُرآن ما كُنتي تتمنيه وأكثر، ولكنى أصبحت كالأنعام، بل أضل

لقد تعلمت كيف احصل على رِضاكم وإعجابكم بَكثرة ما احفظ، وتعلمت كيفية الحصول على الرشاوى والهدايا التي كُنتُ اُساومكُم عليها بمقدار ما أحفظ، وبمقدار ما أُردّد من كلام أحفظه عن ظهر قلب، وأردده أمام الضيوف، وكأنني أقدم فقرة القُرآن للضيوف، وكانوا لا يتأخرون في إبداء أعجابهم بما لا يفهمون هم الأخرين، وقد كانوا لا يترددون في تحفيزِي سواء بالإشادة أو بالمال أو بالهدايا، لقد عرفت نقطة ضعفكم وعرفت من اين تُأكل الكتِف وفطنت لتِلكَ التجارة مُنذ طفولتي، والفضل يعود لكم

فلتصمتوا جميعا، لا أرغب في الاستماع الي أي مخلوق منكم، ولا أرغب في الاستماع الي صوت تِلك الذكريات، ولا ارغب في المزيد من الحرية، فأنا الان افتقد الي القيود على عقلي بل واشتاق اليها، حيثُ أن عقلي حديثُ عهد بالحرية، ولهذا فهو لم يعتاد عليها، وسوف يسئ استخدامها.

فلتصمت أنت ولا ترمى بأثقالك وذنوبك على اكتاف الاخريين، وتحاول تبرير نفاقك وذنوبك بفترة طفولتك، إنك كعادتك تحاول الهروب من المسؤولية، وتحاول استخدام عقلك للقيام بهذا، فلا تلُمن إلا نفسك، فهي من اشتهت كل هذا، وهي من فعلت، وهي من ستُحاسب، ولن يحاسب غيرك على اشباعك لشهواتك

من فضلك أصمت، ودعني أكمل بحثي عن الوظائف، وللحديث بقية

التمائم

لم ترى عيني النوم ليلتها من كَثرة التفكير، ولم تكن تِلكَ هي الليلة الأولى، ولن تكون الأخيرة، وسُرعان ما دخل وقت الفلق، وتلاه وقت الشروق، فتهيئت للنزول لكيلا اترك لنفسي مِساحة للنوم، وذهبت إلى أحد المقاهي التي تعمل اربعُ وعشرون ساعة، وكان وقت تواجدي هو الوقت الرسمي للحصول على البركة بتشغيل القرآن الكريم، وهو أمر مُتفقٌ عليه، وإن كان لا يوجد أي سببٍ أو مبرر للقيام بهذا، إلا أن الجميع يتبارك بتشغيل بعض من آيات الذكر الحكيم مع بداية اليوم تحديداً، وذلك لأنه موعد نزول الرزق من السماء، كما يدعي البعض

انا لست مُتعجباً من التبرك بكتاب الله، ولست مُتعجباً من ايمان البعض بأن الرزق يهبط من السماء مع بداية اليوم، حتى وإن كانت بداية اليوم تختلف من دولة الي الأخرى ولكن حتى هذا لا يدعوا الي التعجب، ولكن ما دعاني الي التعجب حقاً، هو ان عامل المقهى كان يُدخن القنب، وكان يمسك في يده سيجارة القنب، وباليد الأخرى يرفع مُكبر الصوت، ليرتفع صوت المُقرئ.

يُفترض أن أكون أخر مخلوق يتعجب من هذا التناقض، وذلك لأنني حطمت ارقام التناقض القياسية، ولكني تعجبت لتحول القُرآن إلى مُجرد طقس يُستخدم لجلب الرزق والبركة، ولا مانع من استخدام بعض البخور، لبضعة دقائق، وبعد ذلك أفعل ما شئت، وكأن تِلك الدقائق هي وقت مرور مُفتش الرزق، وكأن كلام الله قد تحول الي مُجرد وسيلة لجلب الرزق، حتى مع تدخين القنب

ان السبب وراء هذا يرجع الي إن الناس لا تفهم كلام الله، ولا تُدرك بان الله يتحدث إليهم في وقت تلاوة القرآن، ولهذا فإن من يسمع القُرآن يجب ان يترك الدُنيا وما فيها ويستمع الي كلام خالقه، ولكني الان اري الخالق يتحدث الي العبد، والعبد يدُخن القنب، إنها كارثة

لاحظت كذلك وجود آيات من القُرآن على الجدران، وانا أعرف ما يدور في هذا المكان من أفعال ترتبط بإقترابه من معهد تعليمي، ولهذا فإن الطلاب يفضلون مُرافقة زميلاتهم والانفراد بهن، في هذا المكان، وذلك لأن إدارة هذا المكان تسمح ببعض الأفعال التي لا يسمح بها بعض الأماكن الأخرى، ولهذا فإن هذا المكان هو مرتع للشباب، ومع هذا فإن آيات الذكر الحكيم تُزين جدرانه، فهل وصل بنا الحال الى هذه الدرجة؟ هل تحلو القُرآن الي مُجرد وسيلة للبركة ومنع الحسد وطرد الجن؟ هل تحول القُرآن الي مُجرد تميمة؟ هل وصل المُجتمع الي هذا الحد؟

لا أعرف لما تذكرت نظرتي لتمثال السيدة العذراء الذي كان في حجرة نومِها، وذلك حينما كُنت أجلس معها، لقد كانت تؤمن بأن هذا التمثال سيحميها من كل الشرور، ولكن الشر كان يهتك عرضها تحت مرئي ومسمع من هذا التمثال الذي لا يزيد عن كونه تميمة لجلب الرزق وطرد الشياطين، ولكن الشياطين كانت مُتجمعة في هذا الجسد القذر الذي لم يحفظ عهد ولم يرعي قلب

انه نفس التمثال الذي كانت تجلس امامه باكية، وسائلة للغُفران عن خطيئتها التي دُفعت اليها بدافع الحُب والحنان، انه نفس التمثال الذي اقسمت لها أمامه بأنني لأن أتخلي عنها، وعوضت قسمي بصيام ثلاثة أيام، ولحسن حظها ان لها مجتمع يسمح لها بالرهبنة، اما هذا النّدل فهو يستحق كل ما يحييه الأن

كم كنت انتقد واسخر من مالكين المشروعات التجارية المنتمين الى الديانة المسيحية واللذين يستخدمون صور المسيح ورجال الكنيسة الصالحين من الآباء للتبرك بها، ولجلب الرِزق، ومنع الحسد، واليوم بدأت أستوعِب أن المُسلِمين ايضاً يفعلون نفس الفعل، ويؤدون نفس الطقس، ويبدو ان هذا الطقس لا يرتبط بالأديان، وإنما يرتبط بثقافة مُجتمع كان يضع تمثال الآلهة في غرفة نومه، لرفع كفاءته الجنسية

وإن كُنت آري المُبرِرَات عِند أصحاب الديانة المسِيحية، حيثُ أنهُم يؤمنون بِفِكرة التَجسُد، وظهور العذراء فوق الكنائس، وفي العديد من الأماكن والعديد من المُناسبات، ومن الطبيعي ان يعتقدوا في ان تِلك التمائم لجلب البركات، ولكن ما علاقة الإسلام بالتمائم وهو الدين الذي نفي كتابه فكرة التجسُد، ونهي عن التمائم، ولكن المسلمين وبعد عدة قرون، قاموا بتجسيد هذا الكتاب نفسه، وقاموا بتحويل القُرآن الي تميمة

الوقت يمُر ويجب ان اذهب، حيث سأركب احدى وسائل المواصلات واسمها "الميكروباص" وهي سيارة مُصممة لاستيعاب أربع عشرة فرداً، ولكنها حالياً تستوعب ما يزيد عن العشرين، ولحسن حظي هو انني كُنت من أوائل الرُكاب، ولهذا فمسموح لي اختيار مقعدي، فاخترت أخر مقعد في أخر

"الميكروباص" وفتحت النافذة لاستنشق بعض الهواء، وبعد عدة أمتار، توقفت السيارة ثانية لاستقبال راكب آخر، كانت سيدة في بداية الثلاثين من عمرها، وقد لفتت انتباه السائق والركاب، حيثُ أن هيئتها مُختلفة تمامة عن هيئة راكبي الميكرو باصات، ولا أعرف ما الذى اتي بمثل تِلك المرأة الي مثل تِلك السيارة؟ ولكني لست مُستعد لإرهاق عقلي بالمزيد من الأسئلة، فيكفيني ما انا فيه

وجهت وجهي في اتجاه النافذة، لاستنشاق الهواء النقي، ولكن اندفاع الهواء في اتجاه وجهي لم يكُن كافياً لمنع عطرها من التسلل الي جميع حواسي، فأغلقت النافذة لكي استمتع باستنشاق عطرها الذي كان أنقى من هواء عاصمة، مُصنفة من أكثر عواصم العالم تلوثاً

يبدوا ان عدم اهتمامي بها او اظهاري عدم الاهتمام، قد دفعها للجلوس بجانبي، ولكن بجانب النافذة الأخرى، وبعد دقيقة توقفت السيارة مُكرراً، لالتقاط أحد الركاب، ومن دون ان يشعر ان الراكب الجديد تحرك في اتجاه الجلوس بجانبها، وهو ما دفعها الي الاقتراب مني، وكأنها تحتمي بي من أحد الزومبي المُنتشرين في وسائل المواصلات

راقبت الموقف بعيني، ومن دون ان اشعر تحركتُ لاستبدال مكاني مع مكانها، بحيث اجلس انا بجانب كائن الزومبي، بينما تجلس هيا بجانب النافذة، وتركت مسافة كافية ما بيني وبينها، ولا اعرف ما الذي دفعني للقيام بهذا، حيثُ شعرت بمسؤوليتي تجاهها، على الرغم من ان التحرُش في وسائل المواصلات، قد أصبح جُزء من الأجرة، فمادامت الأنثى لا تمتلك المال الكافي لاستئجار سيارة خاصة، فعليها القبول بالأمر الواقع

ثلاثة دقائق فقط، كانت كافية لملء السيارة، وسُرعان ما اختفت المساحات ما بين الناس، وبدأت مراسم التحرش بشكل رسمي، مع استسلام تام من الجميع، فيكفي ان تترك جسدك يلتصق بالجسد المُرافق له، وتترك نفسك لقوة دفع السيارة ولسائقها المتهور، لكي يتولى قيادة أوركسترا التحرش، حيثُ ينحرف من أقصى اليمين الي أقصى اليسار في لحظة، وكأنه يقود سيارة من سيارات الملاهي، فتتلاصق الأجساد بشكلٍ مُنتظم، ما بين اليمين تارة، وما بين اليسار تارةٌ أخري

يبدو ان المُجتمع قَدْ ابتكر وطور وسيلة جديده للهروب من الكبت الجنسي، وكما هو الحال في عيادة الاطباء النفسيين، حيثُ يذهب الناس الي الطبيب بهدف تفريغ طاقتهم السلبية، والتحدث الي شخص غريب عنهم، ثم ينصرفون وهم في حال أفضل، وفي الغالب فإن تِلك الزيارة لا تتكرر مع نفس الطبيب، وهو ما يحدُث في وسائل المواصلات حالياً

أقسم بالله لم اقصد أن التصق بها، فأنا لستُ من هواة التحرُش، ولا من الدُعاة الي الالتصاق، ولكن السيارة كانت مُمتلئة لدرجة عدم وجود مساحة للتنفس، وعلى الرغم من هذا حاولت منع كتفي من الالتصاق بثديها، وحاولت استجماع كل قوتي لمواجهة اندفاع السيارة ما بين اليمين وما بين اليسار، ولكنها لم تمنع نفسها، وبدأت أشعر بأنها بتعمُدها

بدأت أتأكد من تعمُدها، وبدأت أشعر بجسدها يتحدث لي، ويشكو هموم كثيرة، بدأت اشعر بشعور غريب، فأنا لست مُستثار، على الرغم من مُلامسة جسدي لجسدها، وكذلك هَي، حيثُ كانت تتحدث وتحكي لي عن أشياء لم أفهمها، ولكنني أسمعها، وأشعر بها

أوشكت الرحلة على الانتهاء، وطلب السائق من الرُكاب الأجرة، فحاولت مد يدي في جيبي لإخراج النقود، وهو ما تطلب مجهود شاق وسط هذا الزحام، فدفعت نصف جسدي الخلفي الي الامام وكأنني اتقوس، بهدف إيجاد مساحة لدخول يدي في جيبي، وخلال تِلك الحركة وقعت الأوراق من يدي أمامها، فانحنت وأمسكت بهم، فعُدت الي وضعي وشكرتها، فسألتني عن قيمة الأجرة، فأخبرتُها، فأخرجت من حقيبتها عُملة ذو فئة كبيرة، وطلبت مني أن اعطيها للسائق

وكما توقعت فلم يكُن مع السائق في بداية اليوم ما يكفي لرد باقي المبلغ منها، فطلب من الرُكاب، وكان حال الرُكاب من حال السائق، فاستأذنتها لكي ادفع بدلاً منها، فسمحت لي، وبدأ الحوار بيننا، حيثُ سألتني عن الأوراق التي أمسكها في يدي، والتي كان من الواضح عليها بأنها سيرة ذاتية، للبحث عن عمل، فطلبت مني نُسخة، وقراءتها، وطلبت مني ان تحتفظ بنسخة لعلها تستطيع مُساعدتي، فوافقت على الفور، وانتهت الرحلة، وتحرك وسط الزحام حتي اختفت عن عيني، وتحركت في طريقي لإستكمال رحلتي في البحث عن عمل

إن التقدم لطلب وظيفة في بلادي، يحتاج الي القيام بمجموعة من المناسك، حيثُ يجب أن تسعى ما بين قسم الشرطة والسجل المدني، للحصول على ما يسمى بشهادة الحالة الجنائية، ولحسن حظي فقد كانت خاليه تماماً من أي تاريخ مضى، وبعد السعي، يجب كذلك الطواف مع الطائفين للحصول على أصل شهادة المؤهل الدراسي، ورمي الاستمارات والنماذج في مكتب التأمينات، ومكتب العمل، حتى يأتي اليوم العظيم، وهو الذهاب الي الجبل، حيثُ يكون مكتب التجنيد، وهو النُسُك الأساسي وبدونه لا عمل لك.

المهم هو إنني امتلك بيدي كل هذه الأوراق، والتي تُثبت قضائي لجميع المناسك، ولذا فأنا الأن رجل صالح في حكم قانون العمل، ذاك القانون الذي يجب أن أخضع له من دون السؤال عن حِكمة المُشرع من تشريعه، ومن دون محاولة تجديده، حتى وإن أصبح غير مُناسب لطبيعة حياتُنا الأن، ولكن قد يأتي يوماً ويستشعر المسؤولين عن هذا القانون بأنه يحتاج الي تطوير، فيطوروه، وحتى يأتي هذا اليوم، فإن أي محاولة للخروج عنه، ستضع صاحبها في مواجهة مع المُشرع، وما أدراك من هو المُشرع

وحتى يأتي يوم تطوير قانون العمل، فإن أصحاب الشّركات والمستثمرين، يستطيعون التغلُب على العقبات التي تواجه مصالحهم مع هذا القانون، من خلال استغلال الثغرات الموجودة فيه، والتي تركها المُشرع لإعطاء المساحة للمُستثمرين، ليتمكنوا من استثمار أموالهم، بشرط أن يُنفقوا من أموالهم على المُحاسبين والمُحاميين، والدُعاة الي الإبقاء على القانون القديم

وكذلك هو الحال مع بعض التشريعات الدينية، والتي يوجد بها بعض الثغرات المقصودة، والتي تترك المجال لأتباعها بالخروج عن القانون وتجنُب عقاب الدُنيا، مثل اشتراطات تنفيذ حد الزنا في الديانة الزرادشتية، والتي تشترط وجود أربعة شهود عدل، لواقعة الزّنا، وهو الامر الذي يصعُب تحقيقه، وذلك لقسوة عقوبته، حيثُ ان عقوبة الزنا في الديانة الزرادشتية يصل الي مأتى جلدة، وهي بذلك تتشابه مع الإسلام، أو بمعني ادق إن الإسلام يتشابه معها، حيثُ أن الزرادشتية قد سبقت الإسلام بمئات الأعوام، وقد كانت نشأتها في بلاد الفُرس، وهي بلاد الصحابي الجليل سلمان الفارسي

على كُل حال، فأنا سعيد بتأجيل العقوبة الي الأخرة، وإلا كان ظهري أشبه بالخرائط، لكثرة جلدة، فالحمد

لله علي نعمة الإسلام، والحمد لله على تِلك المساحة، والحمد لله على انني لم اتزوج بعد، وإلا كانت عقوبتي كانت ستصبح الرجم حتى الموت، وذلك على الرغم من انني لم أجد في كتاب الله أمر بتلك العقوبة، وانما كان الأمر واضحاً بجلد الزاني والزانية، ولم يذكُر القُرآن عقوبة الرجّم مُطلقاً

ولكن اهل العلم أكدوا بأن آيات الرجم كانت موجودة، ولكنها نُسخت مع الإبقاء علي أحكامها، وهو الأمر الذي دعاني الي التساؤل كثيراً: لماذا نسخها الله قولاً ولم ينسخها حُكماً؟ ولماذا ترك الله نص عقوبة الجلد، ونسخ نص عقوبة الرجم؟ أليس عقوبة القتل أحق بأن يوضحها الله لعبادة؟ وهل يذكر الله المواريث ويوضحها بشكل لا يقبل مجال للشك، بينما ينسخ نص أقوي عقوبة في الإسلام وهي العقوبة التي سيترتب عليها ازهاق الروح؟

ولكن كُتب الفقه تؤكد لنا بأن اية رجم الزاني والزانية المتزوجين كانت موجودة، لدرجة أن سيدنا عُمر بن الخطاب، لم ينساها على الرغم من أن الله نسخها أو انساها لنبيه، ولكن الفاروق لم ينساها وذكر نصها الذي ينص على (رجم الشيخ والشيخة الزانيان)، ولهذا فلا مجال لإنكار هذا الحد، حتى وإن كانت اللغة العربية لا تؤنث كلمة الشيخ، وحتى وإن كانت كلمة الشيخ لا تعني المتزوج، ولكن لا مجال للخروج عن القوانين التي وضعها المُشرع، وكفي

وصلت إلى اول الشركات، ومن التمائم المعلقة على جُدرانها، أيقنت بأن اصحابها مسيحيون، فقدمت أوراقي وانتظرت المقابلة وسط الكثير من الشباب، وخلال جلسة الانتظار، ايقنت من حديث الشباب الجانبي بأنهم تعرفوا على الوظيفة من خلال الإطلاع على الإعلان المنشور بداخل أحد الكنائس، وهو أمر مُعتاد عليه في مُجتمعنا، حيثُ أن أغلب الشركات المُسلمة لا توظف إلا المُسلمين، وترفُض توظيف المسيحين، ولهذا فقد كان من الطبيعي أن يسعي أصحاب الشركات المسيحية الي توظيف الشباب من أبناء دينهم، حتي وإن تم نُشر طلب الوظيفة في الجرائد الرسمية، فإن المُقابلات ستُحدد من سيفوز بالوظيفة

إن هذا الامر لا ينطبق إلا على الشركات الصغيرة والمتوسطة، وأما الشركات الكبيرة فهي تهتم بالكفاءة أكثر من اهتمامها بالدين، ولكن خبراتي لا تؤهلني للبحث عن وظيفة إلا لدي الشركات الصغيرة والمتوسطة، ولهذا فإنني سأنتظر لعلهم لا يطبقون شرط الديانة، ذاك الشرط المعمول به، من دون الاعلان عنه

بعد أن قُمت بملءِ الإستمارة، انتظرت قليلاً، ثُم توجهت إلى المقابلة، وعلى الرغم من انني كتبت أسمي رُباعي، ولكن القائم بالمُقابلة لم ينظر في الاستمارة، وسألني عن أسمي، فأجبت باسمي رُباعي، ومن حُسن حظي أن جميع الأسماء، كانت تقبل القِسمة على جميع الأديان

لم يجد القائم بالمُقابلة ضالته من السؤال عن أسمي، ولكنه إذا نظر في اثبات شخصيتي، سيعرف، ولكنه لم يفعل، فتعجبت من عيناه وهي تحاول النظر إلى يدي التي اضعها أمامي، إنه يحاول البحث عن تميمتي الموشومة، ولكنني حافظت على إخفاء مِعصمي، وبدأت أوجه له الكلام في سري قائلاً: ايها الغبي، عليك بالنظر في صورة اثبات شخصيتي، وستجد فيها أسم ميراثي مدّون بها، وإن لم تفعل، فلن تجد ضالتك عبر الحديث معي، فانا أعرف جيدا كيف اتحدث باللكنة المسيحية، لقد تعلمتها مِنها، فأنظر الي اثبات الشخصية، وانتقم مني علي كل جرائم المُجتمع ضدك

ارتفعت الأسوار الخرسانية، حتى فاقت في الارتفاع أسوار المناطق العسكرية، فحجبت ما بالداخل عما بالخارج، فظن من بالخارج بأن تِلك الأسوار تحتضن خِطط ومؤامرات، ونِساء مخطوفات، وتعذيبٍ ومعتقلات، وكلما زاد ارتفاع السور، ازدادت الخيالات، ولهذا فإن أغلب الكنائس التي تعرضت للحوادث، تنتمي الي نوعية الكنائس ذو الأسوار المرتفعة، أما الكنائس الأخرى والتي يظهر مذبحها من الخارج، فهي في الغالب آمنه.

أيها المسكين، يا من عشت بداخل الأسوار المُرتفعة، يا من عزلك ميراثُك عن مُجتمعك، يا من اختار لك أهلك أسماء لا تتناسب مع طفولتك، فتُعمق غُربتك، حتى لا تجد الوطن إلا وسط مجموعة من المُغتربين عن المُجتمع، فتتمسك بالبقاء معهم، فتزداد غُربتك

أيها المسكين، يا وارث الاضطهاد، انتقم مني على ما حدث لك بالمدرسة، فقد رافقتك الدراسة وشعرت بك، ولكن تذكر إنني لم أكن يوماً في صفٍ غير صِفك، ولم أُشكِل فريق للعب، إلا وضممتك له، ولم يؤذيك شخصا إلا وقد نَصرتُك، فتذكر بأننا كُنا نستمتع باللِعب سوياً، ولولا ان هاجر أهلك للخارج هروبا من هذا المُجْتَمَع، ما كُنا افترقنا، رُبّما

انت تشبه كثيراً، ولكنه كان أذكي منك، فلو كان مكانك لكان نظر في اثبات شخصيتي بكل بساطة، ولهذا سأتخلى عن لكنتي المسيحية، وسأقسم لك بتميمتي وسأريحك من عناء البحث عنها، وسأتفهم مُبرراتك لرفض طلب توظيفي، فأنا كُنت ازدريك مُنذ بِضعة أيام، ولكني تغيرت، رُبّما

بداية جديدة

يومُ يلي الآخر، وشركة تلو الأخرى، حتى أوشك ملف أوراقي من النفّاذ، وذلك مع العلم بأنني اعددت ما يزيد عن الثلاثين نسخة ضوئية، وبعد يوم طويل، وبعد أكثر من مُقابلة فاشلة، توجهت لإجراء المُقابلة الثالثة لهذا اليوم، وخلال الانتظار، توجهت الي دورة المياه، فوجدتها مُزدحمة بموظفين الشركة، وذلك للوضوء، فتوضئت معهم، وسألتهم عن مكان الصلاة، فدعوني للصلاة معهم

توجهنا الي غُرفة الإجتماعات، وقد تهيأت لإستقبال المَصلين، وبعد دقائق، انضم الينا رجلاً ضخم البنية،

فقدمة الموظفين الي الإمامة، وبعد الصلاة، تهافت المُصلين للسلام علية، وكأنهم يوقعون في كشف الحضور، فأيقنت بأن الأمام يشغل منصباً كبيراً في الشركة، وبالفعل كان هو من أجري معي المُقابلة، وطبعاً أظهرت له كُل تمائمي، لعلها تشفع لي عنده

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، تفضل بالجلوس، جزاك الله خيراً، واياك يا أخي، ومع ظهور علامات الرضا على وجهه، أيقنت بأنني قد اجتزت شرط القبول الغير مُعلن، ولكن يتبقى لي تجاوز الشروط المُعلنة

لو كانت لحيتي باقيتاً على قيد وجهي مِثله، لكانت ازدادت فرص القبول بالعمل، ولكن قدر الله وما شاء فعل، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم وفقني لاجتياز هذا الاختبار، فأنا مللت من البحث عن عمل، واوشكت على الكُفر بقدرتي على إيجاد وظيفة من دون توصية، أو سابق معرفه

مع نهاية المقابلة؛ عاد الرجل بِظهرةِ الى الخلف، ووضع يده امام وجهة مشكلاً بها شكل الهرم، وفي لغة الجسد فإن هذا الوضع يدُل على أن صاحبه سيتخذ قرار إيجابي، وهي نفس العلامات التي كانت واضحة خلال المُقابلة، ومن الواضح بأنني أخيراً سأحصل على فُرصة عمل، فاللهم لك الحمد

بدأ الرجُل يتحدث عن رؤيته لمستقبلي في الشركة، ويحكي لي عن قصص كفاح بعض الموظفين اللذين بدئوا حياتهم في الشركة براتب صغير، ولكنهم تمكنوا بكفاحهم وعملهم، من تغير شكل حياتهم، في أقل من عام واحد أو عامان على أقصى تقدير، وهُنا ايقنت بأنه قد وافق على توظيفي بشرط، أن أقبل العمل براتب صغير، حتى اكتسب بعض الخبرات، فأنتقل الي وظيفة أكبر، براتب أكبر

ولأنني لا امتلك رِفاهية الاختيار، فقد وافقت على الفور، حتى من قبل ان اتعرف طبيعة العمل، والتي ستكون خارج الشركة، حيثُ سأعمل على رسم الخرائط في شوارع العاصمة، وكتابة أسماء وعناوين الصيدليات، بهدف تقديمها الي مندوبين البيع، حتى تُسهل عليهم التنقل واكتشاف أماكن العُملاء

كان الراتب لا يزيد عن أجرة أرخص وسيلة مواصلات، وكانت طبيعة العمل تتطلب ان اتنقل طوال اليوم سيراً على الأقدم، بحيث يبدأ العمل في السابعة صباحاً بمقر الشركة، ثُم ابدأ التحرك في تمام الساعة الثامنة، وحتى الساعة السادسة مساء، وعلى الرغم من قسوة طبيعة العمل إلا انني قبلت هذا، واستلمت العمل بعد ثلاثة أيام، وبدأت في فترة التدريب لمدة شهر، ثُم بدأت بالنزول الي الشوارع لرسم الخرائط

كانت طبيعة العمل أقصي مما ظننت، وكان الراتب لا يستحق، حيثُ كانت تكلفة الانتقالات، أكبر من الراتب، ولكني كُنت راضي، وفي ذات يوم، مررت بجانب الملهي الليلي الذي كُنت أعمل به كعازف، وتذكرت الموسيقى التي اشتاق اليها، وتذكرت الاموال التي كنت اتقاضاها، وتذكرت سعادة استنشاق الكوكايين، وتذكرت آلام الانفصال عنه، وتذكرت صديقي الذي تسببت في موته

وخلال رحلة الذكريات، مر بجانبي فتاة وامرأة، وكانت المرأة تؤكد للفتاة بان السّحر هو سبب مشاكلها مع زوجها، وأن بعد زيارتهُما لهذا الرجل الصالح ستنتهي جميع مشاكلهم، فابتسمت، ونظرت في وجهها، وتخيلت زوجها المسكين، حتى مرت من امامي، فصرفت عيني عنها لعدم قدرتي على النظر الي مؤخرتها المُترهلة، وبعد كُل هذا تظُن بأن السّحر هو السبب في مشاكلها مع زوجها

أيعقل في أن يكون للسحر دوراً في هذا الترهُل؟ أيعقل بأن يكون للسحر دوراً في التفريق ما بين زوجين؟ لماذا أرسل الله هاروت وماروت ليعلموا الناس السحر؟ لماذا يُرسل الله ملكين ليعلموا الناس

كيف يفرقوا ما بين المرء وزجه؟ لماذا يوجد الله وسيلة للتفرقة ما بين الزوجين؟ هل حقاَ أراد الله أن يفتن الناس؟ ولماذا يفتنهم؟ ليختبرهُم وهو يعلم نتيجة الاختبار !

هل خلق الله الناس ليشهدوا على اختياراتهم، التي يعلمها هو مُسبقاً؟ هل سيعذب الناس في النار، لمُجرد أن الله أقسم على أن يملأ جهنم من الانس والجن اجمعين؟ وماذا عن أهل الجنة؟ لماذا سيفوزون بالجنة؟ سيفوزون بالجنة لأن الله رحمهم وأدخلهم الجنة، فلماذا لم تشمل رحمته أهل النار؟ ولماذا لم تمنع رحمته خلق من سيُعذب؟ هل يشترط الرحيم ليرحم؟ هل يشترط الكريم ليُعطي؟ أستغفر الله العظيم، من كل ذنب عظيم، اللهم ارحمنا فوق الأرض وتحت الأرض، ويوم العرض عليك، اللهم قنا فتن المحيا

يا ربِ، لقد رضيت بتلك الوظِيفة وهذا الراتب، حتى أشغل وقت فراغي، واتوقف عن التفكير، وانغمس في تِلكَ الدنيا، وأنسى كل تِلكَ الأفكار التي أصبت بها، فاللهم أشغلني بالدنيا، وابعد عني تِلك الأفكار

هكذا دعوت الله، ويبدوا أنه استمع لندائي، حيثُ أصبحت اخرج في اول اليوم، ولا اعود إلا في أخرة، فأحتضن الفراش حتى صباح اليوم التالي، حتى أيقظتني والدتي في ذات صباح، وأخبرتني بوجود مُتصلة ترغب في التحدث لي بخصوص العمل، فظننت أنها مُساعدة مُديري في العمل وترغب في تعكير صفو اليوم من أوله، ولكنها لم تكُن هي، وإنما كانت السيدة التي التقيت بها في "الميكروباص "

ذكرتني بنفسها، واعتذرت لاتصالها مُبكراً، ولكنها أكدت بانها اتصلت بي من قبل، ولكن والدي أخبرها بأنني مشغول في العمل، ولا أتواجد بالمنزل إلا في هذا التوقيت المُبكر، فنظرت الي والدي الذي كان يجلس بجانب الهاتف، وكأنه بائع ورد في أحد الحدائق العامة، ويجلس بجانب عاشقين لإجبارهم على الشِراء منه، فأكملت حديثي معها وأخبرتها بأنني استلمت عمل جديد، فسألتني إن كُنت راضياً عنه ام لا؟ فأخبرتها بأنني في قمة الرضا والسعادة، ولكنني أواجه بعض المشاكل بسبب تكرار تعطل مُكيف السيارة، وهو ما يُنقص من سعادتي في العمل، وشعور بالرضا التام عنه

هي: هل استملت سيارة من العمل بهذه السُرعة؟
أنا: لا

هي: عن أي سيارة تتحدث إذن؟
أنا: عن سيارة مُديري في العمل، حيثُ يتعطل مُكيف الهواء بها، فيأتي الينا صباحاً والعرق يسيل من أسفل إبْطِهِ

هي: فلنتوقف عند هذا الوصف؛ أنت تمزح، صحيح؟
أنا: نعم، أمزح، فأنا أعمل كراسم خرائط، وأتقاضى اجراً أقل من اجرة تنقلاتي اليومية، ولو فكرت في شراء زُجاجة من المياه الغازية سأضطر للاقتراض من والدي

هي: جيد جداً
أنا: هل تتصلي بي لتطمئني عن احوالي؟ أم لتشمتي في؟

هي: أتصل بك لأعرض عليك فُرصة للعمل في الشركة التي أعمل بها، فهل تحب ان تستمع الي العرض
أنا: لا أحب أن استمع الي العرض، فقط أخبريني بموعد البدء في العمل

هي: اتفقنا، سأنتظرك اليوم في الشركة لإجراء مُقابلة مع مسؤول الموارد البشرية
أنا: مسؤول الموارد البشرية، أم عفاف السكرتيرة

هي: من عفاف؟
أنا: كائن يعيش معنا في الشركة، لا تشغلي بالك، أين عنوان الشركة

هي: أخبرني أولاً، هل تمتلك رخصة قيادة؟
أنا: اعتذر لك، ولكنني لا أرغب في العمل كسائق

هي: انا لا اعرض عليك وظيفة سائق، وإنما طبيعة وظيفتك ستُلزمك تسلُم سيارة للتنقلات، ولهذا فإنه يشترط أن تمتلك رخصة قيادة، فهل تمتلك رُخصة قيادة؟
أنا: انت تمزحي، صحيح؟

هي: بالتأكيد لا اتصل بك في هذا التوقيت، حتى أمزح معك، يبدوا أنك لازلت تحت تأثير النوم، سأنتظر اتصالك حينما تكون أكثر تركيزاً
أنا: لحظة

هي: هل أنت مُستعد للتحدث بجدية الان؟
أنا: سامحيني، ولكنني أود التأكد من ان مُكيف الهواء الخاص بالسيارة ليس مُعطلاً، حيثُ أنني لن اقبل بأن يكون مظهري، كمظهر أستاذ عبد الشكور مُديري في العمل

هي: سكتت قليلاً، محاولة إخفاء ضحكتها، ثُم أعطتني عنوان الشركة وطلبت مني الحضور في الموعد

ذهبت إلى موعدي بكامل هيئتي، وكانت الشركة من الشركات العالمية، وكانت لا تحتوي على أي تميمة من التمائم، بل كانوا يكتفوا ببعض اللوحات الراقية، وبعض لمسات الديكور، ولكن كل اللوحات المُستخدمة في تزيين المكان، لا تقارن بجمالها الذي شاهدته فور دخولي الي غُرفة المُقابلات، حيثُ مددت يداها لتُصافحني، فمددت يدي، فتلامست أيدينا فتوقف الكون عن الدوران للحظات، وتجمد الزمن، وسكتت جميع المخلوقات إلا قلبي، فقد كان مثل يُهلل كطفلٍ يزور مدينة ملاهي ديزني، أو ككهل هندوسي عاش عُمرة يحلم بالحج، وها ينزل الي نهر الكانج، أو كمُشجع كورة قدم وقد أحرز فريقة هدف الفوز ببطولة العالم

إنني أشعر بأصابعها وهي بين كف يدي، أرى بياض لون بشرتها وهو يمتزج بسمار لون بشرتي، ونظرت الى عيناها ففطنت كيف بدأ الكون، وكيف سينتهي، وكيف ستكون عاقبة المُحبين، اما هي فقد كانت مُستسلمة تماماً، كمريضٍ حُقن بجرعه من البِنج، ليُسلم جسده الي طبيبه الذي يثق فيه

هي: لماذا تأخرت؟ وهل أحضرت رخصة القيادة؟
أنا: استمر صمتي للحظات، في محاولة مني لاستيعاب طريقتها لطردي من الجنة، من دون سابق انذار، حيثُ كدت أن اكتب فيها قصائد شعر، كقصائد شعر جرير، ولكنها قطعت عني الوحي

هي: لماذا لا تُجيب؟
أنا: أولا أنا لم اتأخر، ثانياً، أنا لا أمتلك رُخصة قيادة من الأساس

هي: ستدخَل الان الي المُقابلة، وستخبرهم بأنك تمتلك سيارة، وتمتلك رخصة قيادة ولكنها مفقودة، وفي حال قبولك سأساعدك على استخراج واحده في أسرع وقت
أنا: ممكن سؤال

هي: مُبتسمة قائلة: تفضل
أنا: هو حضرتك طيبة؟ ولا شريرة؟

هي: نعم!!!
أنا: هل تتلقين العلاج عند طبيب نفسي شاطر؟

هي: مُبتسمة مُتسائلة: لماذا تقول هذا؟
أنا: حينما التقيت بك شعرت بسعادة لا مثيل لها، وكأن الله قَدْ نادى على ملائكته، وقال لهم: يا ملائكتي انا أحب عبدي هذا فإسعدوه، وكأنك أرسلتِ لي كوحي من السماء، ليوحي لي بالسعادة، ولكنك تتغيري فجأة، وتطرديني من الجنة بدون أي سابق انذار، وبدون حتى ان أكل من شجرة التفاح، بالمُناسبة، هل تعرفين بان التُفاح مظلوم، وأنه لا يوجد نص يؤكد علىٍ ان ادم قد طرد من الجنة بسبب شجرة التُفاح، ولكن الرسامون هُم من تخيلوا بان الشجرة كانت شجرة تُفاح

هي: أنت مجنون
أنا: نعم، ولهذا قد كُنت أود ان اسألك عن عنوان طبيبك لأذهب لزيارته
هي: ادخل الي المُقابلة الان، وحينما تنتهي منها، سأعطيك عنوانه، هيا كي لا تتأخر

كانت الخبرات التي اكتسبتُها خلال فترة عملي كراسم خرائط، واحتكاكي اليومي بمندوبين المبيعات، بالإضافة الي الدورة التدريبية التي حصلت عليها في بداية العمل، وغيرها من الخبرات التي كانت واضحة في اجابتي على أسئلة المُقابلة، كما انني كُنت امتلك طاقة وثقة في النفس لم أعهدها من قبل، ولهذا فقد تمكنت من ابيع نفسي لمسؤول الموارد البشرية، وتأكدت من موافقته على عملي، وبعد انٍ اطمأننت على قبولي في العمل، عُدت لأتسأل عن الجرأة التي كُنت اتحدث بها معها، وكيف نتحدث سوياً وكأننا صديقان مُنذ طفولتنا؟ وهل أستكمل التعامل معها بنفس الطريقة؟ أم اعتذر لها عن اسلوبي في الحوار؟ لا أعرف، ولا أريد أن اعرف، فكُل ما اريده هو أن اراها الان، وكفي

التقيت بها كثيراً خلال فترة استعدادي للعمل، وكما وعدتني فقد ساعدتني علي تعلم قيادة السيارات، وساعدتني على استخراج رخصة قيادة، وكانت كعادتها، تهبني السعادة ثُم تسحبها مني في نفس اللحظة ثُم تعيد الكرّه، ولكنني اعتدت على جنونها، واعتدت على تقلُبها، ويكفيني أنني بجانبها

في كُل مرة التقي بها، كُنت أرغب في سؤالها عن سبب ترك سيارتها واستخدام وسيلة مواصلات لا تناسب مع امكانياتها، وقد فاجأتني حينما اجابت على سؤالي هذا بانها نفسها لا تعرف السبب الذي دفعها للقيام بهذا، ولكنها كمسؤولة عن التسويق في مثل تِلك الشركة، كانت ترغب في النزول الي الناس لاستطلاع رائيهم عن سبب مُقاطعة منتجات شركتها، ولهذا فإنها حاولت القيام بهذا، ولكنها فشلت، وخصوصاً بعد ان التقت بشخص مجنون مثلي، ولكنها في نفس الوقت سعيدة لآنها التقت بشخص شهم مثلي، وسيتمر جنونها

أن الان استعد للعمل بالشركة التي طالما دعوت الناس الى مقاطعة مُنتجاتها، حيثُ كنت أقوم بنفسي

بتوزيع ولصق المنشورات التي تدعو الناس للمُقاطعة، وذلك بدعوي أنها شركة يهودية، وكنت أمنع أمي من شراء تِلك المنتجات، وها انا اليوم أستعد لاستلام وظيفة مندوب بيع وتسويق لنفس المُنتجات التي طالما دعوت الناس للتقرب الي الله بمُقاطعتها

التجارة معه وبه

استلمتُ العمل بعد فَترة التّدريب، ولسوء حظي فقد كان خط سيِّرى بداخل أحد المناطق التي إشتهرت في الشركة بأنها معقِل للمُقاطعة، وذلك لأنها معقل من معاقل التيار السّلفي، وهو التيار الذي تبني أفكار المقاطعة للمُنتجات اليهودية، وهي نفس الأفكار التي كُنت ادعوا لها، ولكن اليوم، مطلوب مني أن ادعوا الناس لشراء تِلك المُنتجات

لقد اختارتني بنفسها لزيارة تِلك المنطقة، بسبب رفض قدامي العاملين لزيارتها، وذلك لان أخر الزيارات قد نتج عنها تعرض مندوب البيع للضرب من أحد التجار، وبناء عليه فإن ارسالي الي تلك المنطقة يُعد بمثابة تحد، ورهان منها على قدراتي، وانا لن أخذلها، ولكن النجاح في هذه المنطقة يعني القضاء على المقاطعة، وفي الامثال الشعبية نقول (من قام باستدعاء الجان، يستطيع كذلك ان يصرفه)

ان المال، لادين له، ولهذا لا توجد مُنتجات تحمل ديانة أصحابها، وذلك لأن المال لا يؤمن بدين مالكه، وإنما مالك المال هو من يؤمن بدين المال، ولو فكرنا قليلاً لوجدنا ان دين المال هو الدين الأكثر انتشاراً في العالم، وهو الدين الأكثر تحكُماً في مُجريات التاريخ، وهو الدين الذي يسعي الجميع لأتباع شريعته، وهو الدين المُحكم الذى لا يتضمن ثغرات، وهو الدين الذى يُعاقب اتباعه عقاب فوري، في حال مُخالفة شريعته، وهو الدين الذي رفعت لواءه كل جيوش العالم، ولهذا فإنه الدين الرسمي لكل الحروب والفتوحات، فلولا المال ما كانت الحروب، وما كانت الفتوحات، ولهذا فإن السلام لن يحل علي الأرض لأنه غير مُربح

إن حملات المُقاطعة استغلت الأديان لتحقيق مكاسب لشركات، على حساب خُسارة شركات أخري، فهي مُجرد وسيلة للمنافسة باستغلال الدين، والدليل على هذا يتمثل في الميزانية الضخمة التي أنفقت على تمويل حملات المقاطعة، فمن اين أتت كل هذه الملايين؟ ومن المُستفيد الحقيقي من انهيار مبيعات مُنتج؟ انه المُنافس بالتأكيد

على كل حال، لقدْ بدأت حملات المُقاطعة من المساجد، والمساجد تحتاج الي أموال للأنفاق عليها، ومن ينفقون على المساجد يتمثلون في فئة التجار، والتجار يتبعون دين المال وإن صاموا وصلوا وحجوا على دين الإسلام، ولكن سيبقي المال دينهم، ولهذا فإن انهاء المُقاطعة سيحتاج الي المال للسيطرة علي التاجر، وكفي

في اليوم الأول: تركت سيارتي بعيداً، وذهبت سيراً على الاقدام لاكتشاف المحلات التجارية الكُبرى في تِلك المنطقة، والتي كانت مسحوباتهم هي الاكبر في تِلك المنطقة من قبل بداية حملات المقاطعة، وقد اقتربت من تِلك المتاجر، وتعرفت من دون كلام على أصحاب قرار الشراء بداخلها، وكما توقعت فقد كانوا جميعاً من أصحاب اللحى

في اليوم الثاني: توقفت أراقب أحد أكبر المتاجر، ولحسن حظي، وطيبة نيتي، وقعت مُشاجرة في هذا اليوم ما بين مالك هذا المتجر، ومالك متجر أخر بالقرب منه، وكانت المُشاجرة بسبب قيام أحدهما بتخفيض بيع أحد المُنتجات بشكل يتسبب في خسارة الأخر، وسُرعان ما انتهت المُشاجرة، وذهب كُل مالك متجر الي متجره، وبداخل المتاجر تواجدت للتأكد من عدم صفاء كل منهم للأخر

في اليوم الثالث: تأكدت من أوقات وصول مالك المتجر المُستهدف، وتأكدت كذلك من التزامه التام بإغلاق المتجر في وقت الصلاة، والذهاب الي أحد المساجد القريبة منه للصلاة فيه مع جميع العالمين

في اليوم الرابع: استعنت بمجموعة من الأصدقاء، وطلبت منهم التوجه الى المتجر المُستهدف، والسؤال عن منتجات الشركة بشكل مُتقطع، على مدار اليوم، كما اكدت جميع معلوماتي عن صاحب المتجر، وخاصتاً معلومة المسجد الذي يُصلي فيه

في اليوم الخامس: لم أذهب الي المتجر، وانما توجهت مباشرتا الى المسجد، في وقت صلاة الظهر، فتوضأت، وتوجهت حيث مكاني المُفضل، وانتظرت وصول المُصليين، وبعد دقائق، توجهت في اتجاه مُكبر الصوت، وأقمت الصلاة بصوتٍ خاشع، ومن دون ان انظر خلفي، رددت قائلاً: سووا صفوفكم، فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة، حاذوا بين المناكب وسدوا الخلل، ولينوا بأيدي إخوانكم، ولا تذروا فرجات للشيطان

لم يعرف المُصلين بان الشيطان يستعد للصلاة بهم، وها هو قد انهي الصلاة، والتفت لهُم، لترك صورة وجهه في عقلِ صاحب المتجر، ثم قام الشيطان لصلاة السُنة، ثُم فتحت كتاب الله لإقراء ما تيسر من الذكر الحكيم، ثم استسلمت للنوم في وقت القيلولة، ثُم استيقظت للتحضير الي صلاة العصر، فكررت فيها نفس أفعال صلاة الظهر

ولم تكن صلاه العصر الصامتة هي الهدف، بل أن الهدف يتجسد في صلاه المغرب، وذلك لأنها صلاةٍ جَهرية، أي سيُجهر فيها بالتِلاوة، وها قد أقترب وقت صلاة المغرب، وها أنا أرفع الأذان بنفسي، فوصل المصليين، وبدؤا في صلاة ركعتي السُنة، وذلك مع العلم بان سُنة المغرب تُصلي بعده، وبهذا تعرفت على نوعية المُصلين، وإن كُنت اعرفهم جيداً من قبل

استقيموا يرحمكم الله .

أغمضت عيني وبدأت أتخيل مشاهد العذاب حتى اندمجت مشاعري مع ما أردده من آيات مُختارة بعناية، وتباكيت فبكوا، وركعت فركعوا، وسجدت فسجدوا، وانتقلت بهم الى الجنة وكل ما فيها من مُتاع، ثم ركعت فركعوا، وسجدت فسجدوا، حتى سَّلمتَ فسلموا، فالتفت لهُم وأنا أعرف بأنني أديتُ دّوري بإتَّقان، وأعرف بأنني أصبحتُ في المكان الذي سأبدأ منه تنفيذ خِطَتّي

استجمعت نفسي وبدأت في استئذانهم لكي نذكر الله سوياً، واخبرتُهم بأنني خرجت اليوم في الله، واتيت الي هذا المسجد لأعتكف فيه حتى نهاية اليوم، ولهذا فأنا ارغب في ان استقطع خمسة دقائق من وقتهم لنتدبر بعض المعاني من القُرآن الكريم، ثم بادرتهم بالسؤال الأول: من منكم يحفظ صورة (الفلق)؟ فأشار الجميع تقريباً بنعم؛ ثم سألتهم عن عدد مرات قرأتها، فكان أقل عدد لقرأتها هو خمسة مرات في اليوم، ثم كان السؤال الأخير: هل منكم من يعرف معني (غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ)؟ فبُهت الجميع، فشرحت لهم المعني وانهيت الدرس وسط أعجاب الجميع، بما فيهم عميلنا المُستهدف

في طريقي للخروج من المسجد، كان عملينا المُستهدف يدعوني لشُرب الشاي في متجره، فقبلت الدعوة، وخلال انتظار الشاي قدمت له سيرتي الذاتية، وأبرزت له تمائمي، ووضحت له علاقاتي القديمة مع المشايخ اللذين لا يحلم هو بالجلوس بداخل المسجد في وقت خطبتهم، وأوضحت له علاقتي ببعض المُعتقلين في منطقته، وهم اللذين تعرفت عليهم في فترة اعتقالي

سألني الرجل عن عملي، وكأنه يرغب في تعيني معه بالمتجر، فأخبرتُه بعملي في تِلكَ الشركة، ولكنني لم أُخبره بأنني المسؤول عن تِلكَ المنطقة، فتعجب الرجل من عملي مع اليهود، فأقسمت له بأنهم ليسوا يهود، وان كُل العاملين في الشركة من أبناء هذا الوطن، واخبرته بأن اليهود والصهاينة هثم من مولوا تِلك الحملة ليمنعوا الشركات العالمية من الاستثمار في بلادنا، لعنهم الله يا اخي

تعجب التاجر من حديثي عن مُخطط اليهود لمنع الشركات العالمية من الاستثمار في بلادنا، ولعن اليهود اللذين يرغبونِ في هدم الاقتصاد الوطني، ثم بدأ يُشيد بمُنتجات الشركة، وسؤال الناس عنها، وعدم توافر البديل الكُف لمُنتجاتها، وفي تِلك اللحظة بدأت المُقاطعة تتساقط

تعجب التاجر من وجود مُسلم بِتلك الشركة، حيثُ أن جميع المندوبين السّابقين كانوا نصارى، وهُنا أهداني التاجر مُفتاح أخر لضرب المُقاطعة، فهو يرغب بالعمل مع مُسلمين، ثُم سألني عن المنطقة التي أعمل بها، فأجبته بأنني مسؤول عن كبار العملاء على مستوي البلد، حيثُ أننا نُميز كبار العُملاء بهدايا ذهبية، كما اننا نُقدم لهم نسبة تخفيضات غير مسبوقة، كما ندعهم بالعروض المُميزة، والتي نُقدمها لجميع زبائن محلاتهم

ها انا اختبر ولائه لدين المال، حيثُ أن المالِ هو مقصد التاجر، وغايته من التجارة، وهو معيار نجاحِه، وهو شرطٌ من شروط استمرار تِجارته، حيثُ يؤمن التّاجر بأنه ما دام يدفع ذكاة ماله، ومادامت تجارته لا تتعارض مع الحلال والحرام، فأي شيءٍ جائز، حتى ولو كان التعامل مع يهود بنى قريظةِ أنفُسَهُم، أو حتى يهود خيبر

ولم لا؟ فقد كان رسول الله صلي الله عليه وسلم، يتعامل معهم، وقد رهِن سيدنا على دِرعهُ عِند أحدِهِم، أي اننا إذا افترضنا بأن اصحاب الشركة يهود بالفعل، فلا مانع من التعامل معهُم، كما أن المقاطعة هذه لا تزيد عن كونها بِدعة، وما كان رسول الله ولا صحابتهِ الكرام يقاطعون مُنتجات اليهود، بل أن المشركين هم من كانوا يقاطِعون المسلمين .

كما أن أغلب المُنتجات التي يبيعُها مُنتجات أجنبية، أو تشتمل على مكونات ومواد خام أجنبية، لشركات متعددة الجنسيات، ولو أراد المُقاطعة حقاً، فعليه التوقف التعامل مع جميع المُنتجات، بما فيها الجَلبابُ الذي يرتديه

ها هو الرجل توقف عن المناقشة، وها هي لُغة جسده تُشّير بموافقتِه على الشَراء، ولكنه يفرك كِلنا يداه، وهذه إشارة تُفيد بتفكيره بالمال، والان حان وقت تقديم عرضي له، وهو خمسة جُنيها من الذهب، بالإضافة الي خصم مالي يتجاوز الثلاثون بالمائة، مع توفير عرض يتضمن تقديم هدايا من منتجاتنا على كُل مُنتج يُباع، كما انني سأتولى بنفسي أمر جميع مسحوباته

يتبقى لنا العائق الأخير، وهو نفس العائق الذي منعني من حلاقة لحيتي، والسؤال هو: وماذا سيقول الناس؟ وهو السؤال الذي أعددت اجابة نموذجية له، وكانت الإجابة تُقسم الناس الي قسمين، الأول وهُم المُستهلكين، والثاني، وهُم التجار

بالنسبة للمُستهلكين فأغلبهم توقف عن الشراء بسبب توقف التاجر عن البيع، ولكنهم لازالوا يبحثون وذلك لأنهم لم يجدوا منتجاتٍ بديلة بنفس الجودة، وإن لم يجدوه عندك، فسوف يجدوه عن تجارٍ آخرين بجوارك، حيث أننى على عِلم بان هنالك أحد التجار في محيطك ستصله منتجات الشركة قريباً

وحينما سألني عن إسم التاجر فقد أجبته بعدم قُدرتّي على ذّكر إسمه، ولكنه أقرب اليه مما يظُن، فبادر الرجل بذكر اسم التاجر الذي تعارك معه مُنذ أيام، فنظرت في الأرض وطلبت منه ان لا يُجبرني على مُخالفة قواعد العمل في الشركة

وهنا توافرت لدي الرجل جميع دوافع الشراء، المال، والمُنافسة، ولهذا وافق الرجل بشرط، ألا أقوم بالتوريد للتاجر الأخر، وفي تردد مني أخبرته بموافقتي على شرطه، ولكني سأمنع طلبيته لمدة ثلاثة أشهر فقط، كما الزمته بشراء كمية كبيرة من مُنتجات الشركة، بحيث يستفيد من الخصم والعرض

وها قد أوذن لصلاة العشاء، فتوجهنا اليها مُسرعين، وذلك من بعد أن وضعنا المُسمار الأول في نعش المُقاطعة بتلك المنطقة

توجهت إلى الشركة وأخبرتُهم بما توصُلت إليه من اتفاق، إستجابوا إلى كل ما طلبته، بل أعطوه المزيد والمزيد، وفى أسابيع قليلة سقطت المُقاطعة امام سلاح المال، وحقد الناس علي بعضهم البعض، وإستغلالاً لغريزة الغيرة والمُنافسة لدي البشر، وهو الشعور الذي بدأ ما بين ولدى آدم، ومروراً بالمنافسة على الخِلافة، ووصلاً بالمنافسة على التَجارة

وبعد عام تقريباً، عادت المبيعات في هذا الحي لسابق عهدِها، بّل وأكثر من ذلك، وسرعان ما توقفت الشركة عَن تقديم الخصومات، والهدايا، كما قررت الشّركة رفع أسعار مُنتجاتها، وذلك لتعويض ما قامت بإنفاقه خلال فترة المُقاطعة، ولم يعترض أحد من التجار او المُستهلكِين.

ارتفعت أسهُمي بالشركة، وحصلت على درجة وظيفية اعلى، وراتب أكبر، وسيارة أحدث، ومكافآت ماليه لم أكن أتوقعها، وتم اختياري لحضور دورة تدريبيه في أحد الدول الأوروبية، وبعد ان إطلعت على أسماء من المُسافرين معي من الشركة، ووجدتُها هيا نفسِها من سترافقني في السفر، فكانت سعادتي بوجودها، أكبر من سعادتي بالسفر

يبدو أنها سترافقني باقي فقرات المُذكرات وليس العمل والسفر فقط حيثُ أن مِساحة وجودها في حياتي

تزداد يوم بعد الأخر، ولكن مع الحفاظ على الإطار إنساني، والحفاظ على حدودٍ لا يجب على أي منا ان يتجاوزها، فنحن أصدقاء ليس أكثر، وإن كنت أحبها، وإن كانت تحبني، ولكننا مُجرد أصدقاء، ولن نقدر على ان نكونٍ أكثر من ذلك، وذلك لأنها امرأة مُتزوجة، ولم أكن أعرف هذا إلا بعد فترة من العمل بالشركة، حيث زارها شاب وسيم، واكتشفت بأنه زوجها، والجميع كان يعرف إلا أنا

أعتقد بانها تعمدت اخفاء الأمر عني، لأنها كانت تعرف جيداً نوعية مشاعري تجاهُها، ولهذا فقد حاولت تأجيل الخبر، ولكني كُنت متوقع، فهيئتها هيئة سيدة مُتزوجة، وليست فتاة، ولكني لم أكن اعرف سّر تعاملها معي، وحقيقة مشاعرها تجاهي، فانا على يقين من انني لست مُجرد صديق، ولكن في جميع الأحوال، يكفيني أن أكون بالقرب منها، وكفي

انها صاحبة الفضل الأول في وجودي بالشركة، وهيا من علمّتني، ولا زلت اتعلم منها، حيثُ تعلمت منها الكثير عن مهارات وفنون البيع والتسويق، وهيا من أعادة توجيهي للقراءة والاطلاع على نوعية جديدة من الكُتب عن التنمية البشرية، وتنمية القدرات الشخصية، وتنظيم الوقت، بدلاً من الكُتب التي كُنت اقرأها، ولم تُساعدني على التقدم الى الامام، بل حتى لم تُساعدني على إيجاد وظيفة

لماذا لم يهتم رجال الدين بتنمية قدرات الشباب وتطويرها؟ ولماذا لا تقتسم رفوف المكتبات الدينية ما بين أعمال ابن تيمية، بأعمال أبن تنمية؟ ولكن انا أخر أنسان يحق له طرح تِلك الأسئلة، حيثُ كُنت بالأمس القريب أتاجر مع الإله، وها أنا اليوم أتاجر به

ليس هُنالك من يقدر علي التجارة بالإله، وإنما التجارة تكون في كلامه، حيثُ أن هنالك من يُتاجِرون بكلامه مِن خلال تأويله بالشكل والطريقة التي تخدم مصّالحهم، وهؤلاء هُم من قاموا بوضع معايير الصلاح، في فترات إنتكاسات الحضارات، وتدنِى مستوى المعيشة، وتدِّنى مُستوى التفكير لدي بعض المُجتمعات المُستسلِمة، وسُرعان ما تحول التأويل الخاطئ الي مِيراث تتوارثه الأجيال، من دونَ أعمال للعقل، وكلما حاول أحد أفراد المُجتمعات التفكير في هذا الميراث وجد نفسِه في مواجهه مع المُجتمع نفسُه، وليس أفكاره، وبهذا تمكن المُجتمع من الحفاظ على الميراث طوال تِلك القرون.
وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ

إسلام بلا مسلمين

حينما تجرأت في ذات مرة، وسألتها عن علاقتها بزوجها، فأجابتني اجابة رمزية، حيث قالت: ان للمرأة جسد يتكون من العديد من المناطق، ولكنهم جميعاً مُرتبطين بمركز حِسي واحد، ولهذا فإن المرأة تهتم بجمال جسدِها بالكامل، وتتحمل عناء وتعب ما يستلزِم تجميله، ومن لا يُقدِر هذا الاهتمام، ويصُب اهتمامه في منطقة واحدة، ويترك باقي المناطق بدون مصدرٍ للحياة، فإن المرأة تتحول الى مُجرد دُميةٍ جميلة المظهر، دميمة الشعور، فاقِدة للإحساس، فتحجُب نورها عمن تجاهل عقلها، وذلك من بعد ان تحذفه من قائمة رغباتِها

هكذا كانت اجابتها، فتوقعت بوجود مشاكل في العلاقة الجنسية بينهما، ولكنه رجل أقل ما يُقال عنه، إنه مُمتاز، ويتعامل معها بمنتهي الاحترام والود، وكان يمتلك رصيد يُحترم من الشهادات العلمية، وله خبرات عملٍ تُضيف الى رصيده من العلوم رصيدٍ جديد من الخبرات، وهو ما ساعده على شغلِ هَذا المنصِب وهو لم يتجاوز الخامسة والأربعين من عُمره، حيث كان يشغل منصِب رفيع المستوي، في حكومة الدولة

طوال تِلكَ الفترة الماضية لم يحاول أي منا ان يتحدث عن مشاعره تجاه الأخر، ولكن الامر لم يخلو من بعض المناوشات فيما بيننا، حيثُ كنا كثيرا ما نترك سيارتنا، ونتنقل عبر نفس وسيلة المواصلات التي التقينا بها، وكثيرا ما كانت تطول المُحادثات الهاتفية بيننا، وكانت تتخللها لحظات مُختلفة الاحساس، تمتاز بنبرات صوت مختلفة عن التي نتحدث به في باقي الأوقات، وكثيرا ما ارتفعت اصوات انفاسنا سويا، وكفي .

في يوم استقبالي لتأشيرة السفر، أبلغتني بأنها أعدت لي مفاجأة كبيرة، وسأعرفها في الطائرة، وحينما تخبرني امرأة كهذه بوجود مفاجأة، فيجب ان اعلم بأن هُنالك ما سيُفاجئني، ولهذا فلن أحاول أن أتوقع، لأنني مهما توقعت، فإن توقعاتي ستكون محدودة أمام امرأة كهذه

في يوم السفر، التقينا في المطار، وأنهينا جميع الإجراءات المتعلقة بالسفر، وكانت علامات الإرهاق واضحة على وجهها، ولم أحاول ان اسألها عن الأسباب، وذلك لوصولها في وقت متأخر، ولهذا فقد انطلقنا مُسرعين الي الطائرة، وبدأت الرحلة، وحلقت الطائرة وارتفعت فوق السحاب، وهي المرة الاولي لي التي أركب فيها الطائرة، ولهذا بدأت أفكر في عظيم صُنع الانسان، وتمكُنه من الطيران في السماء، والتحليق في مثل تلك الارتفاعات

إن الانسان عدوٍ لما يجهل، ولكنة أحياناً يعبُد ما يجهله، حيثُ كان الانسان القديم يمتلك قائمة من المعبودات، وكانت جميعها تُمثل صوراً عما يجهله الانسان، ولهذا عبدها الانسان لخوفِه مِنها، ولجهله حقيقتها، وكلما تمكن هذا الانسان من التغلب على مجهول، حذفه من قائمة معبوداته، حتى تمكن الانسان من حذف جميع الأسماء الموجودة في قائمته القديمة، وذلك لأنه تمكن من التعرف عليها جميعاً، إلا إله واحد، ظل الانسان عاجزاً عن اكتشافه، ولهذا فإنه لازالٍ المعبود الوحيد، حتى وان اختلف اسمه، فإنه سيظل المعبود الوحيد، وذلك لان الانسان لن يصل اليه ابداً، ولو عرفوه ما كان هو

هُنالك من يقول بان الإله هو من خلق الإنسان، وهنالك من يدعي بأن الإنسان هو من خلق الإله، وإذا تناقشت مع أصحاب المعسكر الأول لوجدت عندهم عشرات الأسئلة، والتي لا يجدون إجابة عليها،

وكذلك هو الحال مع أصحاب المعسكر الثاني، ولكننا في جميع الأحوال يجب ان نَسلم بحقيقة وجود (سببٌ لا سبب له)، وهو مصدر الخلق الأول، وقد اختلف الناس في تسميته، ولكنهم لم يختلفوا في انه السبب الذي لا سبب له .

فهنالك من أسموه (الطبيعة) وهنالك من أسموه (الله) او (السيد) او (إيل) او (اهورامزدا) او (البراهما) او أيا ما كان الاسم، حيث ان الخالق هو المقصود من الاسم، ولهذا فأنا مؤمن (بالسبب الذي لا سبب له)، ولست مهتماً باسمه، فالأسماء في النهاية تتكون من حروف، وما الحروف إلا مخارج صوتية، اتفق الانسان على طريقة استخدامها، ولهذا فإن الحروف ستبقي عاجزة عن وصف الخالق او تسميته، ولكن لا مانع من ان يقوم البشر بابتكار الأسماء، علي حسب لكناتهم ولغاتهم، ولكن لماذا يتقاتلون من أجل حروف صوتية؟ ولماذا يختلفون على الأسماء، ولا يتحدون على الصفات؟

أيها السبب الذي لا سبب لك، أيها الخالق العظيم، أيها الواجد، أيها القادر، أيها السيد، أيها الرب، ايها الإله، يا الله، أعرف بأنك موجود، ولكنى لا أعرف لم انا موجود؟ أعرف بأن لا ملجأ منك الا اليك، ولهذا فأنا ابحث عنك، واعلم بان عقلي لن يدركك، حتى لو أرسلت لي وحي منك، فأنا ابحث عنك لأني أعرف بأننا لسنا في المكان الذي أردته لنا، ابحث عنك لأني اشعر بالغربة في البعد عنك، فبداخلي نفخة من روحك، وهي تدفعني للاشتياق اليك

تحتاج تِلكَ الطائرة لكي تصل إلى دوله محدده ان تسير بزاوية اتجاه محدده، في رحله مقدارها سته ساعات علي سبيل المثال، ولكن انحراف الطائرة بزاوية واحده فقط، في نفس عدد ساعات الطيران، سيتسبب في وصول الطائرة إلى دوله غير المُستهدفة، وهذا هو حالنا الآن حيث ان زاوية الاتجاه التي حددها لنا الانبياء والرسل قَدْ تحركت قليلا من بعدهم، ومع رحلة سير تقدر بآلاف السنين، فقد وصلنا إلى مكان غير الذي يريده الإلَه من وجودنا، والأمر لا يقتصر علي هذا بل أننا أصبحنا في مكان أبعد من أن نسأل عن المكان السليم، وعن الصراط المُستقيم، حيثُ يظن كُل منا بأنه يمتلك الصراط المُستقيم، وأن غيره من الناس يسير في الطريق الي الجحيم

في تلك اللحظة، تدخلت بشريتي، لترحمني من كُل تلك الأفكار، وتفاجأت بها تمسِك بيدي وتقربها اليها، وكأنها تعانقها ما بين ذراعيها وضلوعها، وتضمها الى صدرها، وتسألنني عما يشغل بالى؟ وعما أفكر فيه؟ فنظرت الي موضع يدي في مُنتصف صدرها، وأدركت بأنها قررت ان تُعلن عما اخفيناه طوال الفترة الماضية، وفيما يبدوا ان هذا الامر مُتعلق بالمفاجأة التي اعدتها لي،

سكت قليلاً ثُم اجبتها بأنني كنت أفكر فيها، وأفكر في شكل حياتي من دونها، فلولاها ما كُنت وصلت الي ما انا فيه الان، حيثُ أصبحت انسان أفتخر بالنظر اليه، ولولا ظهورِها في حياتي لكنت حاليا مُمسكاً بدفتر الخرائط، تحت شمس الظهيرة الحارقة، سائرا على الأقدام، لاعناً صاحب الشركة وجميع افراد أسرته من الاحياء والأموات، ومضاف إليهم مدام عفاف سكرتيرته الشمطاء، ولولاها ما امتلكت تِلك السيارة، وما حصلت على هذا الراتب، الذى يفوق راتب جميع أقاربي مُجتمعين، ولولاها ما كُنت ركبت طائرة للسفر الي أجمل الدول الأوروبية، من اجل الحصول على دورة تدريبيه، تُقدر بآلاف الدولارات، وذلك بعدما كُنت أنتظر المِنح التدريبية ذات السعر المُخفض في مادة اللغة الإنجليزية، ومهارات استخدام الحاسب الآلي، فسبحان مغير الأحوال، وسبحان من أوجدها في حياتي

تأملت كلامي، ثُم قالت بأن كُل ما انا فيه نتيجة لذكائي، الذي من دونه ما كُنت استطعت أن احقق أي

نجاح، ولكنها خلقت لي الفرصة، وانا استغللتها، ولهذا فإنها لم تَقدم لي أي شيء بعد، ولكنها حينما ستُقدم، سأشعر بفارق تعجز عن وصفه الكلمات، حيثُ ستتزين لي الدُنيا، وتقول هيت لك، ثُم توقفت عن الحديث فجأة وسألتني قائلة: وهل أنا لا أعني لك سوي كُل ما ذكرته؟ هل أنا مُجرد فُرصة نجاح في عمل، وسيارة وراتب؟

أنا: بالطبع لا؛ أنت أكبر من كُل هذا، انت تعرفين، وتعرفين ما يمنعني من أبوح لك عما بداخلي، وهو نفس الذي يمنعك عن ان تبوحي عما داخلك
هي: اليوم فقط، تستطيع ان تقول كُل ما بداخلك

أنا: ولكنني لا أحب أن اتعدي علي حق شريكك في الحياة
هي: الي هذا الحد تحترمه، وهو يمتلك مُبتغاك؟ الي هذا الحد، أنت انسان؟
أنا: تفجرت دموعي رغماً عني، فضمتني الي صدرها، ومسحت دموعي، ثُم رفعت رأسي قائلة
هي: لقد حصلت على حُريتي اليوم، من اليوم أنا مُطلقة، من اليوم لا يوجد ما يمنعك لتبوح بكل ما بداخلك، من اليوم أنا لك إن شئت

نزلت كلماتها على رأسي كالصاعقة، وتضاربت مشاعري، ما بين سعادتي للفوز بها، وما بين حُزني على خسارة زوجها لها، وخسارتها له، فكيف تفكر سيدة في إنهاء علاقتها برجل مثل هذا؟ وهل أنا من تسببت في هدم هذا البيت؟ الي متي سأظل مصدر شقاء لكل من يقترب منى؟

بدأت أشعر بالقلق حيالُ حياتُنا في الفترة القادمة، ولكن مع كل هذا التفكير، وكل تِلك التساؤلات، إلا أنني أظهرت لها شعوري بالسعادة، وأفصحت لها عن مشاعري المتضاربة، ومن دون أن اشعر، ضممت راسها الى صدري وقبلتها للمرة الاولي، ثُم أمسكت رأسها وقبلتها في مكمن لسانها، فأعلنت بذلك سقوط اخر ورقة توت كنا نستُر بها أنفسنا

فور وصولنا الي المطار وانهاء إجراءات الدخول، توجهنا إلى فُندق الإقامة؛ وخلال الطريق، لم تُفارق يداها يدي، وعلى الرغم من ان من برودة الطقس، إلا أنني كُنت اتصبب عرق، وكأنني الأستاذ عبد الشكور، في مطلع شهر أغسطس، وذلك لفوران الدم بداخل جسدي، حيثُ كانت عضلة قلبي تضُخ الدماء بكثرة، الي عقلي الذي يكاد ينفجر من التفكير، وإلى عضلة أخري على وشك الانفجار كذلك

انني أعرف ما تُخفيه لنا الساعات القادمة، وأتوقع جميع احداث لقاؤنا الأول، من بعد انحصار جميع القيود، وكأنه زلزال قد ضرب المُحيط بقوة تسعة درجات من مقياس رختر، فانحصرت مياه المُحيط وتجمعت، وهي الان تستعد لأطلاق موجة تسونامي عاتية، ستطيح بكُل ما يقف في طريقها، وسينفجر بركانٍ من المشاعر المكبوتة، وستتلاحق الهزات .

بالطبع، أنا لا امانع في حدوث كُل هذا، حيثُ انني كُنت انتظر هذا اللقاء كما ينتظر الشُهداء يوم القيامة، ولكني لا ارغب في خُسارتها، حيث أننى لم المس امرأة قط، إلا وانتهت علاقتي بها، من بعد ذلك، وأنا أحبُها، ولا أرغب في خسارتها، فهي بالنسبة لي كالحياة الدُنيا، التي لا يرغب العاصي في فُقدانها أبداً

وصلنا إلى الفندق، وبعد إنهاء إجراءات الإقامة، توجه كلٍ منا إلى غُرفته، ولم تمُر دقائق، حتى رن هاتف الغُرفة، فنظرت اليه وأنا أعرف الهاتف الداعي، فهو ليس وزير خارجية دولتي، ويتصل للاطمئنان علي سلامة وصولي، وإنما هي، وستطلب منى الاستعداد للنزول للقائها، وسأوافق بالتأكيد، حيُث أنني لست هذا الرجل الذي يمتلك الخيرة من امره، في حال أن دعته امرأة كهذه

وبالفعل كانت هي، وطلبت منى التوجه الى المطعم لتناول وجبة الغذاء، فتوجهت الى المطعم، وانتظرت وصولها، وخلال لحظات انتظاري، لفت إنتباهي طريقة عرض زجاجات الخمر، فتوقفت ناظراً اليها، فتشاورت مع نفسي بخصوصها، فلاحظ النادِل توقفي أمام هذا المشهد، فنظرت الى وجهه فتبسم، ثم نظرت الى يده فوجدتها مُمسكة بكأس من الزجاج البلوري، مملوء ببعض من الخمر الذي لم أعرف نوعه، فمددت يدي في اتجاه كأس الخمر، فقدمه لي فشربته

وضعت الكأس على المنضدة، فسقط علية الضوء، فمر من خلاله فتحلل الضوء، وتشكلت ألوان الطيف، وقرر أحد ألوان الطيف دعوتي الي كأسٍ أخر من نفس النوع، فقبلت دعوته، فدعاني لونٌ أخر، فقبلت دعوته، وتكرر الامر مع جميع الألوان، فكررت قبول دعوتي، حتى وضعت الكأس على المنضدة أخيراً، وقررت الاعتذار لجميع الألوان عن قبول المزيد من الدعوات، حيث انني لا أشرب الخمر، ولكن الألوان بدأت تتشكل وتتراقص مع الموسيقي حتى كتبة كلمة لم أفهما، وهي كلمة (خونسو)

أمسكت بالكأس وبدأت في النظر بداخلة، ثُم النظر من خارجة، فلفت نظري اختفاء جميع الألوان لصالح اللون الأحمر، فنظرت اليه ثانية، فوجدت اللون الأحمر وما زال مُسيطراً، وبعد العديد من المحاولات، اكتشفت بان اللون الأحمر لكان لو رداءها، حيث كانت تقف بجانبي وتحاول فهم ما أقوم به، وكأنني خبير أثري يحاول التعرف على تاريخ الكأس

هي: ماذا تفعل؟
أنا: أحاول التعرف على ألوان الطيف

هي ضاحكة: هل تشرب الخمر؟
أنا: لا

هي: إذن ما الذي بيدك؟
أنا: كأس

هي: وما الذي بداخل الكأس
أنا ضحكاً: خونسو
هي: انت سكران !

طلبت كأس من النبيذ، فسالتها إن كانت تشرب الخمر؟ فأجابتني قائلة: لا؛ فضحكنا وأكملنا سهرتنا، وكأسٍ تلي الاخر والآخر، ولا أعرف كم شربت؟ حيث فقدت الإدراك، ولكنني حاولت العودة الي الادراك مُجدداً، ومع كل محاولة للعودة الي الوعي، كُنت انفجر في الضحك، فقررت التوقف عن محاولات العودة الي الوعي، حيث انني لم أكن أقدر ان اتوقف عن الشرب

تعالت صوت ضحكاتنا، وأعلنت للجميع عن نبأ سعادتنا، وعلى الرغم من انني كُنت فاقد حاسة النظر، إلا انني لازلت قادراً على رؤية الشفتان، اللتان، لم يُخلق مثلهُما في انسٌ ولا جان، كما انني كُنت قادراً على تحرك المكان من حولي، حيث كان المكان يسير بجانبي، حتى وصل المصعد أمامي، ولازال المكان يتحرك حتى وصلت الي فراش، فضممته، وانتهي اليوم بالنسبة لي، وكفي
استيقظت فنظرت حولي، فوجدتني في غُرفة من غُرف الفُندق، وكنت لا اعرف إن كانت غُرفتي أم غُرفة

اخري، ولكني أعتقد بانها ليست غرفتي، حيث أن تِلك الحقائب ليست حقائبي، ولهذا فإنني أعتقد بأنني في غرفتها، وقد أكون في غرفة شخص آخر، ولكن ملابسي مُلقاة أمامي، والرداء الأحمر مُمزق كذلك أمامي، ولهذا فمن الواضح أنني في غُرفتها، ومن الواضح أن المرأة المُلقاة بجانبي، ستكون هي، ومن الواضح ايضاً أن موجات التسونامي قد حلت على جسدي، حيثُ أشعر بأن ظهري مُمزق، وكأنني كُنت أصارع نمراً سيبيري

نهضت من فراشي، مُبتغياً التدخين، فنظرت لنفسي في المرآة فوجدت رقبتي وقد مُلئت بعلامات المحبة، من أثار القبول، ثُم اشعلت سيجارتي وتوجهت الي النافذة حتى لا أزعجها بأثار التدخين، وبعد أن سترت عورتي بالمنشفة، فتحت النافذة، فسقطت عيني على كنيسة، تزينت بتميمة السيدة العذراء، فتذكرت خستي، واطفأت السيجارة ودخلت الي الغُرفة، لأجدها استيقظت، وأشرقت بنور وجهها الجميل، فأعلنت عن بداية يوم جديد من حياتي

ارتميت في حضني، وتعلقت برقبتي، فنطقتُ عشقاً بِحُبهَا، فارتمينا سوياً على الفِراش، وبدوت كطفل لم يُفطم بعد، ثم بدوت كقط دعاه فضوله لاكتشاف كُل ما حوله، حيثُ لم أدع كبيرة ولا صغيرة من جسّدها، إلا واستأنستُ بها، ولم أكُن أفكر إلا في إسعادها، حيثُ كُنت أشعر بظمائها، فأمرت سُحبي بإنزال المطر حتى تُروي، وتُروي، وتُروي، وتُروي مُجدداً

أما هي، فقد كانت تأخذ بناصيتي، وتوجهني الى حيث تُريد، وكأنها مرشدي ودليلي وسط تِلك التضاريس، وكأنني اسير وسط جبال من الثلج، وابتغي الدخول الي مغارة فأشعر بالدفء، وقد اتبعت كُل الطرق التي نصحتني بها، واهتديت بنورها خلال الطريق، حتى وصلت الي مكمن الدف، حيثُ يتكون الانسان، وحيثُ تبدأ الحياة على الأرض

في أخر الجوالات كُنت مُمسكاً، محافظاً على صيامي، ولم اتحلل من إحرامي، إلا من بعد أن اذنت لي، وأعلنت عن غروب الشمس، ونهاية وقت الصيام، فسألتها عما ان كُنا سنُفطر في الداخل ام بالخارج، فطلبت مني أن نُفطر سوياً بداخل البيت، فقبلت بدعوتها، وإن كنت لا أعرف إن كانت تمتلك الاحتياطات اللازمة للإفطار بالمنزل ام لا؟ ولكنني لم أفكر إلا في اسعادها وتحقيق جميع رغباتها، وكفي

وعلى الرغم من أنها لم تقضى عدتها، إلا اننا أعلنا زواجنا، ولكنني اعتبرتها كأم تميم، أرملة مالك بن نويرة التميمي، والتي دخل بها خالد بن الوليد في ليلة قتله لزوجها، وما دام خالد فعل هذا، فما الذي يمنعني من تكرار نفس الأمر؟ أستغفر الله العظيم، اللهم اغفر لي ذلة عقلي وأفكاري، فأنا أحاول إيجاد المُبررات لما أفعل، ولهذا فإنني أحاول استغلال روايات قد تكون مغلوطة، عن سيف الله المسلول

المُهم انها أصبحت زوجتي، حتى وإن لم نكتب العقود، ولم نُشهد الشهود، ولكن جميع العاملين في الفُندق يشهدون على صُراخها، أو بمعني أدق يشهدون على زواجنا، كما اننا الان في دولة أوروبية، والناس هُنا يتزوجون بِتلك الطريقة، وبهذه البساطة، حيثُ يتفق الزوجان على أن يتزوجوا، فيتزوجوا بكل بساطة، وما دُمنا هُنا، فلنتزوج كما يتزوجون هُنا

اننا هُنا حيث يقول العُلماء بوجود اسلام بلا مُسلمين، فكيف يقول العُلماء بوجود اسلام، في حين تغيب كل مظاهر التديُن، ويغيب سلوك المُسلمين؟ وكيف يقول العلماء بوجود إسلام، والدين ينفصل عن الحُكم في تِلك البلاد؟ وكيف يقول العلماء بوجود اسلام، وتلك البلاد لا يحكمها مسلمين؟ فهل كان يعرف العُلماء ما لا نعرفه عن الإسلام وعن المُسلمين؟

هل كان يعرف العُلماء بأن دولة الخلافة لم تكون سوي شكلٍ من اشكال الحُكم في هذا التوقيت؟ وهل كان يعرف العُلماء بأن فُتوحات المُسلمين لم تكن تختلف من حيث الهدف عن فتوحات الفُرس والروم؟ وهل كان يعرف العُلماء بان الفاتحين ما فتحوا البلاد واستعمروها إلا بحثاً عن المال وليس الدين؟ هل كان يعرف العُلماء بأن دولة الخلافة لم تزيد عن كونها شكل سياسي، ولكنه اتخذ من الدين مُبرراً لاستعمار الشعوب؟

اننا هُنا حيث يقول العُلماء بوجود اسلام بلا مُسلمين، حتى وإن غابت كل مظاهر الإسلام التي أعرفها، فكيف يتواجد الإسلام من غير وجود المُسلمين؟ هل كان العُلماء يعرفون حقاً ما هو الإسلام، ولهذا أقروا بوجوده هُنا؟ ام انهم لا يعرفون الإسلام وحاولوا لصق أي مظهر من مظاهر الحضارة في الدين؟ وكأن البشرية كانت تسكن الكهوف من قبل نزول الإسلام

اعتقد بأنهم كانوا يعرفون الدين جيداً، وكانوا يعرفون الدنيا، ويعرفون السياسة، ويعرفون بأنهم منفصلين وليسوا مُتصلين، وفيما يبدوا أن مظاهر الحُرية هي المُعبرة عن جوهر الإسلام نفسه، أما مظاهر التدين الشكلي، والسياسي، فلا تُعبر إلا عن ثقافة مُجتمع المُسلمين

العشاء الأخير

استمر شهر العسل لثلاثة أيام، وبدئنا بعدهم في حضور المُحاضرات الخاصة بالدورة التدريبية، وكانت المُحاضرات تشرح مهارات التسويق، ووسائل التأثير على الناس، باستخدام وسائل الدعاية والاعلان، وغيرها من الطرق المباشرة، وغير المباشرة، للتأثير على قرار المُستهلكين، وكذلك كيفية التحكم في المُجتمعات وتوجيهها من خلال التأثير علي العقل الجمعي، وغيرها من الموضوعات التي أثرت على نظرتي للحياة لاحقاً

استمتعت بجميع المحاضرات، وتفوقت على جميع المُشاركين بالدورة، وإن كنت أصغرهم عمراً، وهو ما ساعدني على تكوين علاقات مُميزة مع جميع الحاضرين، وكذلك مع المُحاضرين أنفسهُم، وكانت أبرزُ العلاقات مع المحاضر المُسلم، الذي دعانا انا وصديقتي الى العشاء في اخر أيام الدورة

كانت خليلتي تعرفة جيداً، حيثُ حضرت معه العديد من الدورات التدريبة السابقة، وكانت مُعجبه بعلمه كثيرا، وكانت تربطهم علاقة صداقة خاصة، ولم أشعر بالغيرة تجاهه، فهو رجل كبير، ومن الواضح بأنه من أصول عربيةِ، حيثُ كان يتحدث معنا باللغة العربية في أوقات الراحة، ولم يمنعني عن سؤاله عن جنسيته غير تِلكَ القاعدة التي تعلمتها أخيرا في العمل بالشركات العالمية، والتي تُحرم السؤال عن الجنسية أو الديانة، ولكنني سألت خليلتي فأكدت على أصوله العربية .

كنت استمتع بحديث هذا الرجل، ومحاضراته عن العقل الباطن، الذي يهب الانسان قدرات الآلهة، حيث

يتمكن الإنسان من خلال استخدامه من ان يقول للشيء كن فيكون، بشرط ان يداوم الانسان على سؤال إلهه، أياً ما كان، والتضرع اليه، والثقة في قدراته، والتأكد من انه خالق هذا الكون، خلقنا، بدافع محبته لنا، ولهذا فإنه يرغب في إسعادنا، وليس شقاؤنا في تِلك الدُنيا، والدليل على محبته لنا يتجسد في أن وهبنا عقولنا الباطنة، والتي تُساعدنا على تحقيق جميع رغباتنا، بشرط ابقاؤها مُتصلة مع خالقها أياً ما كان اسمه، ولهذا فإن الأنسان يجب أن يُحافظ علي الصلاة مع خالقه، وكذلك يجب علي الانسان الصيام بالامتناع عن الشهوات، حتي يبقي عقله مُتحكماً في جسده

كان الرجل يضرب لنا امثله عن ادعيته التي يتلوها في صلواته الخمس، وهي نفس الأدعية التي نشرها في كتابه (قوة العقل الباطن) وهو من الكُتب الأكثر مبيعاً في العالم، وكم كُنت فخوراً بإسلام هذا الرجل، وكم تمنيت لو امتلك المسلمون مئة عالم مثله، ليعودوا بالسلام الي عصور الفارابي وابن سيناء، والخوارزمي، والرازي، وابن المُقفع، وغيرهم من المُسلمين اللذين تركوا بصماتهم على الحياة حتى الأن، حتى وإن كانوا جميعاً مُتهمين بالفسق والألحاد، والخروج عن الدين، ولكننا نتباهى بهم، حتى ونحن نتهمهم بالفسق والالحاد والخروج عن صحيح الدين
كان الرجل في استقبالنا مع زوجته في مكان العشاء، وكانت زوجته تتشابه ملامحها مع ملامح أحد قريباتي، وكانت ودودة الي ابعد الحدود، وبعد استقبالنا، سألنا الرجل عن موعد سفرنا، فأجبناه بأنه سيكون في الغد، فرد ضاحكاً قائلاً: إذن فإن هذا سيكون العشاء الأخير، ثم تحدث الرجل الي خليلتي قائلاً: هل تعرفين بأن الديانة الميثرائية تقول بان ميترا، قَدْ حضر عشاءُه الأخير، مع حواريه الاثني عشر، وذلك من قبل ان يفدى البشرية، ويُرفع إلى السماء .

أنا: ومن يكون ميترا؟
هو: صاحب الديانة الميثراسية

أنا ساخراً: وهل هي ديانة جديدة؟
هو: لا، بل هي ديانة سبقت ظهور المسيحية، ويدعي أصحابها بميلاد ميترا من دون أب، ولهذا فإنهم يؤمنون بانه أبن إله، كما انهم يدعون بميلاده يوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر .

أنا: بصراحة لم أسمع عنه من قبل، ولم اقرأ عنه
هو: انها ديانة تُشير الأثار الي وجودها في فترات ما قبل الميلاد، وكان الفُرس يدينون بها، ثُم انتقلت الي روما، بعد ظهور المسيح بسبعين عاماً، واعتنقها بعض الرومان، وهو ما دعي البعض الي القول بأن: الأسطورة الميثراسية، هي أصل الديانة المسيحية

أنا: كيف؟
هو: إن الرومان هُم من قاموا بكتابة الديانة المسيحية، ولهذا فإن بعض المُشككين في الديانات، يدعون بأن الرومان كتبوا الديانة المسيحية، من وحي خيال أسطورة ميتر، ولهذا تتطابق الاحداث وتتشابه، ما بين ميترا، وما بين المسيح

في سري بدأت أفكر فيما لو كُنت امتلك تِلك المعلومة مُنذ سنين، حيثُ كُنت سأخبرها بها، وكنت سأستمر في محاولاتي لتشكيكها في وجود شخصية المسيح، ولكني لم أكن أقدر على التشكيك في شخصيته، حيثُ أن التشكيك في قصته، سيُعد تشكيكاً في الإسلام، حيثُ أن الإسلام قد أقر بوجوده، وأقر بميلاده من دون أب، ولهذا فإنني لا أستطيع التشكيك في قصته، ولا أستطيع القول بأن الرومان هُم من كتبوا تِلك القصة، تحت تأثير أسطورة ميترا

هو: فِيم تَفكر؟
أنا: كُنت أفكر فيما لو كانت المسيحية مكتوبة بتأثر من اسطورة قديمة، إذن فكيف أقر الإسلام بها؟ وكيف يُقيم الناس أحداث واقعة على انها اسطورة، ولا تقبل التحقق، وفي نفس الوقت يتخذون ديانات تتطابق احداثها مع الاساطير التي رفضوا تصديقها؟

هو: وهل تعتقد بان أسطورة بأن اسطورة ميترا هي أول أسطورة تدعي ميلاد أبن بدون أب؟
أنا: وهل يوجد المزيد؟

هو: تقريباً كُل الاساطير القديمة ادعت وجود أبن بدون أب، وفي الغالب اعتبروا هذا الأبن، ابناً للإله، حيث تتحدث الأسطورة المصرية القديمة عن ثالوث (إيزيس واوزوريس وحورس)، كما تُشير المخطوطات الهندوسية الي وجود نفس الثالوث، حيث يؤمن الهندوس بأن الإله اختار ان يكون له ولداً، وهو (كريشنا) الذي تشكل في رحم الطاهرة(ديفاكى)
أنا: يبدوا أنني احتاج الي الاطلاع على مصادر كلامك

هو: بالطبع: سأرسل لك روابط المراجع كلها، عبر بريدك الإلكتروني، هل تستخدم نفس البريد الالكتروني المدون في كارتك الشخصي؟
أنا: نعم

هي: موجهتاً حديثها اليها، بنبرة شبه حادة قائلة: ولكن يجب بأن تعلم (النعمة قبل الايمان) وان كنت ترغب في نقد القصص الدينية، فعليك أولا أن تنتقدها عند يعقوب الذي صارع الإلَه وهزمه، وحصل على لقب (إسرائيل) أي هازم الإله أو مصارعه، كما إنك يجب ان تتوقف عن قصة خروج موسي من مصر، وعدم وجود أي أثر تاريخي او جيولوجي يُشير الي حدوث هذا الأمر .

توقف مع نفسي عن جُملة (النعمة قبل الأيمان!!!) إنها نفس الجُملة التي كان يقولها لها ذاك القسيس الشاب، فهل هي جُملة مسيحية؟ أم انها مُجرد مقولة يستخدمها الجميع؟ ففكرت في طرح هذا السؤال، ولكنني لم أشأ في ان أبدوا جاهلاً أكثر من ذلك، كما ان زوجة الرجل، طالبتنا بالتوقف عن هذا الحديث، ونصحتنا باختيار العشاء، من قائمة الطعام، لأنها جائعة جداً

أمسكت بلائحة الطعام، وبدأت السؤال عن مكونات الطعام، وذلك لأني لا ارغب في تناول لحم الخِنزِير، ولكن الرجل قال لي: اختار ما شئت من قائمة اللحوم، حيث انه اختار لنا هذا المطعم خصيصاً، لأنه لا يستخدم لحوم الخنزير، وجميع لحومة مذبوحة بطريقة شرعيه

أنا: هل صاحب المطعم مُسلم هو الاخر؟
هو: لا، ولكنه يهودي
أنا: ولم يحرص اليهودي على الذبح على الشريعة الإسلامُية؟ ولم لا يستخدم الخنزير في طعامه؟
هو: يفعل هذا لأن دينه أمر بهذا

أنا: وهل الديانة اليهودية، تنهي اتباعها عن لحم الخنزير؟ وهل تأمر اليهودية أتباعها بالذبح علي حسب الشريعة الإسلامية؟ هل يحاكون المُسلمين في شريعتهم؟
هو: ان الديانة اليهودية تنهي اتباعها بالفعل عن أكل لحم الخنزير، كما انها تأمر اتباعها بالذبح على نفس طريقة المُسلمين، ولكنها لا تحاكي المُسلمين في شريعتهم، وذلك لأنها ديانة أقدم من الإسلام

بمئات السنين، ولهذا فالأجدى ان تقول بأن الشريعة الإسلامية تَحاكي الشريعة اليهودية في كثير من الأمور، مثل الوضوء قبل الصلاة، ومثل الزواج من أربع زوجات، ومثل عدد مرات الصلاة في اليوم الواحد، حيث يصلي اليهود خمس صلوات، ومثل الذكاة، وغيرها من الأمور التي تتشابه ما بين الديانة اليهودية، وما بين الإسلام، ولا تنسي بأن المُسلمين اشتركوا مع اليهود في اتخاذ القبلة لسنوات

ما هذا الذي يقوله هذا الرجل؟ وعن أي دينٍ يتحدث؟ وكيف يتشابه دين القردة والخنازير مع دين الإسلامُ؟ ومن أي كتب يأتي بكلماته؟ وما ادراه بشريعة اليهود؟ وكيف يتحدث مسلم عن تشابه ما بين اليَهودية والإسلامُ؟ ولماذا يدافع عنهم، من بعد ان كاد يهدِم الديانة المسيحية؟ ولما أحتدت صديقتي في المُناقشة؟ ولِماذا يتحدث اليها بشأن الديانة المسيحية بهذا الاهتمام؟

لحظة !!!
انني ظننت أنه مُسلم لأنه يُصلي خمس فروض في اليوم، وها هو الان يتحدث عن ان اليهود يصلون خمس مرات في اليوم كذلك، فهل كان يتحدث عن صلاة المُسلمين؟ أم انه كان يتحدث عن صلاة اليهود؟ هل يُعقل أن يكون يهودي؟ هل انا اتناول العشاء الآن مع يهودي؟ هل أشعر بكل تِلك المحبة والمودة تجاه يهودي؟

تدخلت خليلتي، واختارت لي وجبتي، فقررت الانفراد بها، وسؤالها عن كُل ما يشغل بالي، ولكن كيف انفرد بها؟ وفي تِلك اللحظة بِدأت الموسيقي تدعوا الجميع الي الرقص على أنغامها، فدعوتها للرقص، واستأذنت منهُما لنرقص قليلاً، فرحبا بذلك، فأمسكت بيدها وتوجهنا الي الرقص

أنا: هل نحن نتناول وجبة العشاء مع يهودي؟
هي: وهل سيفرق دينه معك؟

أنا: نعم، فأنا أرفض وجود علاقة ما بيني وما بين من يقتلون الناس في فلسطين
هي: وماذا عمن يقتلون الناس في مشارق الأرض ومغاربها؟ هل ترفض العشاء معهم؟ ام أنك تصفهم بالمُجاهدين؟ وماذا لو كان هذا الرجل لا يُشارك ولا يوافق على القتل؟ فهل ستتمسك برفضك له؟ وماذا لو كان يتمسك هو برفض التعامل مع من يأمرهم دينهم بقتله هو وقومة، فبماذا ستشعر؟

أنا: اعذريني، فانا مشوش قليلاً، حيثُ انها المرة الأولي التي اتعامل فيها مع يهود
هي: ليست المرة الاولي، بل أنك تتعامل معه مُنذ عدة أيام، وكذلك في العمل تتعامل مع العديد من الشخصيات، فما الذي حدث لك حينما عرفت ديانته؟ هل انت تُفكر بهذه الطريقة؟

أنا: أنا لا أعرف
هي: يجب ان تعرف وتخبرني، قبل أن نبدأ حياتُنا، حيثُ سنواجه الكثير في الفترة القادمة

بدأت أتذكر الصورة التي نُقشت في خيالي، وطُبِعَت في أول صفحات الميراث، وتذكرت كم الكُره الذي ورثته لجميع اليهود، وتذكرت ما تعلمته من الدعاء عليهم، وتذكرت دعائه الذي ُعلمني اياه في المُحاضرة، وقارنت بشعوري تجاه قبل دقائق من الان، وشعوري تجاهه من بعد ان عرفت بديانته، ُم تذكرت مقولتها عن ان (النعمة قبل الايمان) فسألتها عن معناها، وسألتها كذلك عن توجيهه للحديث اليها بخصوص الديانة المسيحية

هي: حبيبي. هل لنا ان ننسى كل ما قيل في تِلكَ الليلة، وألا نفكر إلا في كيف سنستمتع بها، فهي ليلتنا

الأخيرة هُنا، ولهذا دعنا نستمتع اليوم، وتعلم بأن تجعل ليلتك الأخيرة في أي مكان، هي أقوي ليلة لك، ولهذا فكر في كيفية تحطيم رقمك القياسي الذي حققته في اليوم الأول، ثُم تعلق بعنقي، وقبلتني، وضمتني، ووعدتني بانها ستخبرني بكل شيء، ولكن بعد عودتنا، ولكن الان يجب ان نستمتع فقط

توجهنا لتناول العشاء الأخير، وقررت التوقف عن التفكير باستخدام النبيذ، وبالفعل بدأت أشعر بالانسجام مع الجميع، وبدأت أعرف منافع الخمر، وها انا انتفع بها، وها نحن نضحك سوياً، وبدأت أتذكر صورة العشاء الأخير لدافنشي، فربما كان يقصد العشاء الأخير لميترا، وبدأت أتذكر كذلك كلامها عن تجسد الله ومصارعته ليعقوب وكيف هزم يعقوب الاله

دفعني مذاق الطعام الرائع، الي تذكر شريعة اليهود في الذبح، وتطابق شريعتهم مع الشريعة الإسلامية، وقارنت ما بين رفضي لأكل الخنزير، وما بين شُربي للخمر، ولكنني اعتدت على هذا التناقض الذي أحياه، وأعتدت على الأيمان ببعض الكتاب، والتفكير في البعض الاخر، حتى أجد المُبررات اللازمة لإشباع غرائزي ورغباتي

لقد الفت الخمر ما بين قلوبنا، وها نحن نضحك ونشرب ونأكل سوياً، وكأننا ننتمي الي أسرة واحده
فهل استطاعت الخمر أن تُقرب ما بين أثنين فرقتهُما الأديان؟ أم الأديان واحدة ونحن اللذان فرقناها؟

هل حقاً أن الأديان فرقت ما بين البشر؟
ام ان البشر هم اللذين فرقوا ما بين الأديان؟

الرقيب :

هل حقا الأديان تفرق ما بين البشر؟
ام ان البشر هم اللذين يفرقون ما بين الأديان؟

صديقي كاتب الرواية: هنالك روابط خفية تربط ما بيني وبينك، حيث أني كتبت نفس جملتك على أحد مواقع التواصل الاجتماعي منذ ثلاثة أيام فقط، وذلك مع العلم بأنني استخدم مواقع التواصل الاجتماعي تحت اسم مُستعار، وشخصية مُستعارة، ولا يعرف أى شخص من انا، ولهذا اكتب ما اريد، والغريب في الأمر هو إنك لا تعرفني، كما انني لا اعرفك، فكيف تتشابه كلماتُنا، وكيف تتلاقي أفكارُنا، وكأن الشيطان قد أوحي لك، ثُم أوحي لي بنفس ما أوحي لك

صديقي كاتب الرواية: لا اعرف اسمك، حيث يُطمس أسم صاحب الكاتب، لضمان الحيادية، وحتى تكون الرقابة، خالصة لوجه أصحاب الامر، ولهذا فإنني سوف اناديك باسم صديقي، حيث إنني اشعر بأننا أصدقاء، وإن كُنت لا اعرف عما إن كنا سنلتقي يوم ما، أم لا؟ ولكنني سأحرص على لقاؤك وتسليمك مُلاحظاتي، حتى تُراعيها في كتاباتك المُستقبلية، وسامحني على رفضي الكامل لنشر مُذكراتك

أنصحك بتعديل اسلوبك، وانصحك بالابتعاد عن المواجهة المباشرة مع المؤسسات الدينية، ولهذا حاول

أن تعتمد على الرمزية، فمثلا أحكي عن قصة مخلوق فضائي على كوكب اخر، ويعيش نفس تجاربك، ويطرح نفس تساؤلاتك، عن دين الفضائيين مثلاً، وفي تلك الحالة لن يستطيع أحد أن يلومك أو يتهمك بازدراء دين كوكب بلوتو

او ما رائيك لو تستبدل دينك في القصة، وتنسب نفسك الي الديانة اليهودية، وكما تعرف لن تجد أى مشاكل بالمرة، ولن تجد أى اختلافات، حيث اننا نتطابق مع اليهود في كُل شيء تقريباً، وحينما تنتقد الديانة اليهودية، ستجد الجميع في صفك، وستجد الجميع يدعمك على ازدراء أعداء الله

على كل حال، سأتوقف عن تدوين ملاحظاتي لك، حتى أفرغ من قرأه العمل كامل، لعلي أجدك توصلت إلى طريق غير الذي توصّل إليه كُل من نبشوا في كتب التاريخ، أو كُل مَن استخدموا عقولهم إستخدام صحيح، أو غيرهم من اللذين احترموا نتائج العلم، حيثُ ستجدهم جميعاً توصلوا الي نتيجة واحدة، ولاً أعرف عن ستصل اليها أم ستصل اليها أم ستتوقف عن التفكير من قبل ان تصل؟

سأنصرف الان، حتى أتوجه الي دار النشر التي أعمل فيها كمُصحح لُغوي بالقطعة، حيث انهيت مُراجعة بعض الاعمال الأدبية، ولهذا سأتوجه إليهم للحصول على أتعابي، عن مُراجعة تِلك الكُتب التي تتشابه في المضمون، وهو علوم التنمية البشرية، حيثُ يقوم الكاتب بترجمة النص الأصلي من الكُتب الأجنبية، ثُم يضيف اليها الطابع الديني، حتى وإن شوه مضمون علوم التنمية البشرية، فالمُهم هو تقديم وجبة تتناسب مع ذوق الجمهور، والاهم هو تحقيق المبيعات

لقد اتخذت علوم التنمية البشرية في مُجتمعنا شكل يختلف عن مفهوم العلم، بل ويتعارض معه، حيثُ يدعوا كُتاب التنمية البشرية، قرائهم الي التقرب من التدين، بشكل صحيح، وذلك حتى يستجيب الله دعائنا، وإن لم يستجيب فهو سوف يأخره له الى يوم اخر، لأسباب لا يعلمها الا هو، وقد يكون نتيجة فهمك الخاطئ لطريقة الدعاء المُستجاب، وقد يكون بسبب امتلاكك بعض الذنوب التي ارتكبتها في فترة المُراهقة، وقد يكون نتيجة أي شيء أخر، المُهم انك انت المعيوب، والأهم هو أن ترجئ أسباب فشلك علي المسؤولين في الدولة، او علي الوضع الاقتصادي، أو علي أي شيء غير نفسك

يا سيدي، دع الخلق للخالق، ودع الأمر لصاحب الأمر، المُهم الان هو أنني حصلت على اتعابي، واستملت مجموعة جديدة من روايات الرُعب التي يُفضلها القُراء حالياً، والتي تزيد عن كونها ترجمة لأفلام أجنبية فشلت في بلادها، ولكن ترجمتها الي اللغة العربية سينجح في بلادنا، وذلك من بعد ادخال بعد آيات طرد الشياطين وحرق الجان، ومخطوطات لم تُنشر من كتاب (شمس المعارف للإمام السُلطان)، وبعض اللمسات من كتاب (وصف عيون الشيطان)

توجهت الي المنزل، وخلال وجبة الغذاء، قررت زوجتي ان تنقُل لي بُشرة ساره، وهي أن ابننا الذي لم يتجاوز الثمانية أعوام، قد حفظ جزء كامل من كتاب الله، ولهذا قررت هي، ان تكافئه هو، بهديةٍ أدفع ثمنها أنا، وَذَلِكَ لكي يكون حافز له على استكمال الحفظ .

ان زوجتي قررت أن تصنع تاجر جديد، ليتربح من حفظ كتاب الله، وأنا سأشارك في تِلك الجريمة وإلا سأكون قدوةٌ سيئة؛ وشخص لا يُعتمد عليه؛ وسينقطع عملي عني من بعد الموت، ولهذا تحملت ثمن الهدية في سُكات، وبعد ذلك، طلبت زوجتي المزيد من الأموال، حيث اقتراب شهر رمضان المُعظم، وعلى الرغم من اننا نأكل وجبتان فقط خلال الصيام، إلا اننا نستهلك ثلاثة أضعاف ما نستهلكه طوال

العام

إن زوجتي المتدينة تنتظر شهر رمضان لأحياء سنة نبوية غائبة، وهي اكل التمر، ولا مانع من ان تمتزج هذه السنة مع بعض السنن الفاطمية، وبعض السنن العثمانية، ولا مانع من بعض السنن الفرعونية، وكالعادة سأدفع، وإلا سأكون الشخص القذر، البخيل، الذي يُنفق أمواله على المقاهي والمُخدرات، ويحرم أهل بيته من الياميش والمكسرات

لقد تحول رمضان بالنسبة لي الي موسم من مواسم القّهر، حيثُ يجب ان أصوم رغماً عن أنفي، ويجب أن أدعوا أمة لا إله إلا الله على مأدبة الإفطار، ويجب كذلك أن أقبل دعوتهم، ويجب أن نُصلي العشاء في جماعة، ويجب ان اصحب طفلي وزوجتي الي صلاة التراويح في العشرِ الاواخر، حتي نبكي، ويغفر الله لنا ذنوب العام، ويجب كذلك شِراء الفانوس الإلكتروني، ويجب تزين شُرفة المنزل بحبال الضوء، التي تُشبه زينة شجرة الكريسماس، ويجب ان اخرج للإفطار مع زُملائي في العمل، ويجب أن أبحث عن مقعد فارغ في المقهى، وذلك لان الناس تتنافس علي الشيشة الرمضانية، ويجب كذلك ان لا اشتري الجِعة، وذلك لان قوانين وزارة السياحة تمنع تداولها في هذا الشهر، ولكنها لا تمنع من تداول الحشيش، ويجب كذلك، ويجب كذلك، ولو فكرت في الاعتراض علي امر واحد من تِلك الأمور، أصبحت سفسطائي، مُبتدع، خارج عن الجماعة، أبن ستين

اعرف جيدا كيف أتوقف عن التفكير، حيثُ سأدخن سيجارة تُذهب عقلي، فأنام بدون تفكير، ثُم استيقظ فأربط رقبتي بحبال الساقية مُجدداً، ثُم أعود فأنام، ثُم أعود

حتى النوم أصبح يُشكل لُغزاً هو الاخر، حيثُ اننا لا نشعر بحركة الكون لأننا جزء منه، ولهذا لا نُدرك حركة الكوكب، ولكننا نُدرك الزمن وَذَلِكَ لأننا خارجه، حتى ننام، فنفقد أدركنا به، فهل ذلك لأن النوم جزء من الزمن؟ وهل ندخل الي الزمن في وقت نومنا؟ وهل سيُشكل موتنا انتقالنا الدائم الي الزمن؟ أنها مُجرد أضغاث مُخدرات

<u>لا اكراه في الدين</u>

عُدنا الى الفندق وكالعادة لم نستخدم سوى غرفة واحده، ولكن هذه الليلة كانت في غرفتي، حيث أتت هي، وذلك لإصرارها على جعل تِلكَ الليلة مميزة عن باقي الليالي، وقد كانت بالفعل، لدرجة اننا لم نلحق بموعد الطائرة، فطلبت مني التوجه الي الاستقبال وحجز موعد جديد، واعطتني جواز سفرها، فوجدت لونه مُختلف عن لون جواز سفري، فأخبرتني بانه جواز سفر أجنبي، حيثُ انها مزدوجة الجنسية، وذلك

لميلادها في أحد الدول الأوربية

بدأت الان فقط أشعر بأن كلانا لا يعرف أي شيء عن الاخر، وعلى الرغم من كل ما كان بيننا، الا اننا لا نعرف عن بعضنا سوى ما يكفينا للحب والمتعة فقط، ولكن اعتقد ان الوقت قَدْ حان لنتشارك المعلومات عن أنفسنا، وبالفعل بدأت في الطائرة أحكي لها عن أسرتي وعن حياتي وعن تاريخي، وعن مُذكراتي مع الإله، فصُدمت من تاريخي القذر، ولكنها لم تنطق بكلمة، وفيما يبدوا أنني ارتكبت حماقة بمُصارحتها بكل تاريخي

ظلت صامته حتى بعد وصولنا الي المطار، وخلال الطريق الي منزلها، وحينما كُنت اسألها عن سبب صمتها، كانت تكذب، وتتدعي الإرهاق، حتى وصلنا الي المنزل، فطلبت مني ألا أرافقها الي الأعلى، ونادت علي حارس العقار ليحمل الحقيبة عني، ثُم أرسلت لي رسالة نصية تطلب مني فيها ألا نلتقي ولا نتحدث لمدة يومين فقط، وذلك لأنها يجب ان تُنهى بعض الأمور المتعلقة بانفصالها، وتحتاج الى التفكير في بعض الأمور الخاصة بعلاقتنا.

كعادتها طردتني من الجنة، ولكن هذه المرة كانت أصعب مرة، ولكني حاولت استغلال فترة ابتعادها، وبدأت أمهد أمر زواجي مع اسرتي، ولكني اكتشفت بأنني لا اعرف أي تفاصيل عمن اخترتها شريكة لحياتي، وبالتأكيد لن احكي لهُم عن تفاصيل جسدها، ووضعها الجنسي المُفضل، ومقاسات ملابسها الداخلية، حيث انني لم أكن أعرف عنها أكثر من أمور مُتصلة بنفس هذا السياق

مر اليوم الأول واليوم الثاني، فحاولت الاتصال بها فلم تستجيب، فقررت عدم الاهتمام، وسافرت الي أحد المُدن الساحلية، وهُنالك قررت الاختلاء بنفسي، وتذكرت جميع الاحداث التي مرت على علاقتنا مُنذ لقاؤنا الأول، وحتى العشاء الأخير

لماذا انفصلت عن زوجها؟ وهل يُعقل بانها انفصلت عن شخص كهذا لمُجرد انها تُحب شاب في مُقتبل العمر؟ هل احبتني بالفعل؟ أم انها ارادت ان تتذوق نكهتي، كما كانت تفعل بعض النِساء اللاتي تعرفت عليهم خلال فترة عملي في السياحة؟ كيف سمحت لنفسها بمُعاشرتي خلال فترة العِدة؟ ومن أين لها بكل تِلك الجراءة وكُل تِلك المهارات في العلاقة الجنسية؟ أيُعقل أن تكون تعلمت كُل هذا مع رجل لا يُمتعها جِنسياً؟ وهل يجب ان اثق في امرأة تركت زوجها لمُجرد انه لا يُمارس معها الجنس بالطريقة التي تُفضلها؟ يبدوا انني تسرعت في الارتباط بها

لا، يبدوا انني أصبحت امتلك وظيفة مُحترمة، وسيارة، ومال، وأشعر بالاكتفاء الجنسي حالياً، كما اشعر بجفائها، ولهذا فإنني أحاول اظهار عيوبها، حتى أمهد لنفسي احتمالية انها ستتركني، ولكن الحقيقة غير ذلك، حيثُ انني أعلم جيداً بمشاعرها تجاهي، واعلم جيداً بانها ليست كسائر النِساء اللاتي عاشرتهُن، وأعلم جيداً انها تحبني، واعلم جيداً أنني أحبها، ولكني لا اعرف سبب انفصالها عن زوجها، ولست مُقتنعاً بانها انفصلت بسبب مشاكل الفِراش، ولست مُقتنعاً بانها انفصلت من أجلى

ماذا كانت ستحكي لي في ليلية العشاء الأخير، لقد قالت لي بانها ستحكي لي كُل شيء ولكن حينما نعود، وها نحن عُدنا، ولكنها فضلت الانسحاب من حياتي فجأة، لماذا؟ هل لأنني حكيت لها عن نزواتي، وعن أخطاء اقترفتها من قبل ان اتعرف عليه؟ بالطبع لا

أنني أحبها، ولست قادراً عن الابتعاد عنها، أنني اشتاق لها كثيراً، وأرغب في رؤيتها الان، ولكن لو حاولت الذهاب اليها، فقد اورطها في أي مُشكلة من المشاكل، كما ان هاتفها لازال مُغلق، والقلق سيقتُلني عليها، سأذهب اليها الان ويحدث ما يحدُث

انطلقت مُسافراً قاصداً بيتها، من دون تفكير، لدرجة أنني تركت حقيبتي في الشقة التي استأجرتها، ولكني لست مُهتم، فكُل ما يشغل بالي الان هو ان اطمئن عليها، مهما كانت النتائج، وخلال الطريق فكرت في جميع الاحتمالات التي قد اتعرض، وكذلك المشاكل والحلول، حتى وصلت اما منزلها في وقتٍ مُتأخر، فوجدت سيارتها، فناديت علي حارس العقار، وسألته عنها، فأخبرني بانها في المنزل، فطلبت منه أن يصعد اليها ويخبرها بوجود مندوب من الشركة، ويرغب في تسليمها لأوراق مهمة، ولم تمر لحظات حتى فوجئت برجل كبير في السن يخرج من باب العقار فرحب به الحارس وأخبره بأنني اتيت لتسليم ورق من الشركة الى ابنته

على الفور فحصني الرجل وفحصته، ولاحظتُ تميمتِه من خِلال لحيته الكثيفة التي خُطت بالخطوط البيضاء، فرحب بي، ودعاني الى الصعود اليها، فطلبت مِنه الانتظار لجلب الأوراق من السيارة، وبسرعة احضرتِ أحد الأوراق وكتبت عليه رسالة اليها، مفادُها هو أنني اريد ان اتحدث اليها، وإلا سأرتكب جناية، ثُم وضعت الرسالة بداخل مظروف مطبوعاً عليه شعار الشركة، وذهبت اليه وصعدنا سويا .

فتحت الباب ولم يكن من الصعب ان اُلاحظ من عينها، انها كانت تبكي، وتمُر بحاله من الحزن، إمتزجت بالصدمة فور رؤيتي، فشعرت بالغضب على حالها، ثُم اعتذرت اليها بسبب حضوري بدون موعدٍ مُسبق، وفي وقتٍ غير مناسب، ولكن هنالك خطاب يجب ان توقع عليه، وهاتفها مغلق، والمطلوب الرد على هذا الخطاب لإرساله الي سويسرا مُنذ ساعات

أطمئنن قلبي عليها حينما إنضمت معي الى تِلك المسرحية، وتصنعت نسيانها لأمر الخطاب، وذلك لإستكمال الحبكة الدرامية، وطلبت منى الدخول، ولكنني اعتذرت، وطلبت منها ان تقرأ الخطاب وتوقع عليه، لأعود به الى الشركة حالاً، واسدل الستار علي خشبة المسرح، بردها على خطابي بأن انتظرُها في السيارة

انتظرتها لمُدة ساعة تقريباً، وبعد ركوبها بجانبي، تحركت بالسيارة، فأعطتني درساً عن أهمية ضبط النفس، وعن تصرفي الأحمق، ثُم ارتمت في حضني، وانفجرت في البُكاء، وأخبرتني بحاجتها لي، فلم انطق بكلمة حتى وصلت الي نفس المدينة الساحلية التي زورتها مُنذ قليل، وتوجهنا الي نفس الشاطئ الذي شاورتني الظنون بشأنها عليه، فسألتها عما ان كانت توافق على الزواج مني، بشكل رسمي

هي: هل ستقبلني كما انا، أم أن لك اشتراطات في شريكة حياتك؟
أنا: لا أرغب في أي شيء سوي أن أكون بجانبك
هي: حتى لو علمت بأنني مُرتدة عن الإسلام، وانني اعتنق الديانة المسيحية
أنا: صمت وذهول

قد تكون أكبر صدمة تعرضت لها في حياتي، حيثُ أنني وإن كُنت أتشكك في الإسلام، إلا انني لا أقبل فكرة الخروج عنه، وتحديداً لا أقبل الخروج عنه واعتناق المسيحية، ولا اعرف لماذا؟ ولكنني أشعر بالغضب مِنها الأن، واشعر بتضارب مشاعري، فهي حبيبتي التي اعشقها، وهي صاحبة الفضل الأول في تغيير شكل حياتي، ولكنها مرتدة عن دين اعتنقه وانحاز اليه، فهي بالنسبة لي تستوجب القتل، ولكن

من ذا الذي يجرؤ على المساس بها وانا على قيد الحياة؟

بدأت القصة حينما أحب والدها جارته التي بادلته نفس المشاعر، وتمتعوا بعلاقتهم في الخفاء، حتى أتت تِلكَ اللحظة التي اعرفها جيدا، وهي لحظة رغبتهما في الزواج؛ ومع رفض أهلها وتعنت الكنيسة وقسوتها، ولجوؤها للعُنف كما يفعل المُسلمين، ومع اقتناع اهله بزواج أبنهُم منها مادامت ستعتنق الإِسلام، لأنهم يعتبرون ان هذا سيكون أعظم ثواب، ولا مانع من إراقة الدماء من اجله

من هنا بدأت قصة ارتدادها عن الدين، حينما هربت الفتاه مع الشاب، بمساعده رجال الخير، ثُم سافروا الي خارج البلاد، حتى لا يصل إليهم أحد، وهنالك وبعد اشباع غرائزهم الجنسية، وبعد الاستقرار العاطفي، بدأت الفتاه تشعُر بحنينها الى مريم العذراء، وبدء الرجل في ممارسة أحد الطقوس الدينية وهي التحقير من شان أصحاب الديانات الأخرى، فبدأت الفتاه تطرح الأسئلة عن الإِسلام واحد تلو الاخر، وبدء الشاب في ابداء الإجابات الغير منطقية

ومع تصرفات الشاب التي لا تُمتُ الى أي دين بصله، ظهر تناقضه، ولكنه استطاع إيجاد النصوص الدينية التي تبرر تصرفاته، فعادت الفتاه الى صليبها ولكنها عادت اليه في الخفاء، وذلك لأنها تعرف ان عمرها سيكون هو الثمن، أو على الأقل سيكون الثمن حِرمانُها من أبنائها، وذلك من بعد ان انحرمت من أهلها اللذين أهدروا دمها، ليغسلوا العار عن ارتدادها .

حافظت الام على سرها واحتفظت بظاهر إسلامها وصلاتها، وان كانت تردد فاتحة الكتاب تارة، وابانا الذي في السماوات تارةٌ أخرى، وقررت ان تكفر عن خطيئة الخروج عن المسيحية، بوهب احدى فتياتها الى الايمان بألوهية المسيح، ومن هُنا بدأت الِردة لفتاه حافظت على سر أمها

وبعد مرض الام ووفاتها، انقطع عن الرجل ما كان يمنعه من العودة بأبنائه الى الوطن، خاصتا من اجل الفتيات اللاتي لا يريدهن ان يعيشوا حياة المُجْتَمَع الأوربي، على الرغم من انه كان يؤمن بأن هذا المُجتمع يحتضن اسلام بلا مسلمين، ولكنه الان يرغب في العودة ببناته الى المُجْتَمَع الذي يحتضن مُسلمين بلا إسلام،

عادوا الى الوطن واندمجت الفتاه مع المُجْتَمَع المتدين بطبعه، وشاهدت وقارنت، ونسيت وتذكرت، وعقلت وتفكرت، فقررت، ولكن حبها لأبيها منعها من قرار العودة الى الخارج، لتتمكن من الإعلان عن قرارها بشأن اعتناق المسيحية، ولكنها تعرفت على شاب أدعي التحرر، فأحبته واتخذت من زواجه طريقاً للحرية، خاصتا وان أفعاله لا تمُت الى الإِسلام بصله، كما أنه كان يؤمن بحريه العقيدة، وحريه الاختيار، ولكن سرعان ما أعلن بانه يؤمن بحرية العقيدة، مادامت خارج منزله، وبدء في استخدام سُلطانه، وكأنه يُعمِق ردتها بتصرفاته.

حينما عجز عن اقناعها بالعقل والمنطق، بدأ في اهانتها، وهددها بإذاعة سرها الي اسرتها، ولكنها هددته بكشف بعض شرائط الفيديو التي عثرت عليها في خزنته، والتي كانت تحتوي على علاقات جنسية له، مع أبنة أحد المسؤولين، وبعد فترة من المفاوضات، اتفقا على الانفصال في هدوء تام، وحافظت على إقامتها معه لمُدة عام، وذلك لاشتراطه هذا الامر، بحيث لا يتأثر مركزه المرموق، وخلال هذا العام، التقت بشاب، كانت تظُن بانه عوضها عن الدُنيا، فصارحته بحبها، وكشفت له عن سرها، والقت به على رأسي

واستكمالاً لكشف الأسرار، أخبرتني بأن العذراء هي سبب لقاؤها بي، حيث تجسدت لها في منامها، واخبرتها بانِ ستُرسلها كحمل وسط الذئاب، وستلتقي بشاب حكيم كالحية، وطيب كالحمام، وسيحميكِ من الذئاب، ثم انصرفت وسمعت مُنادي يُنادي باسم نفس الحي الذي سمعة سائق السيارة يُنادي عليه، وفي الصباح وجدت مُشكلة في إطارات سيارتي، وهو امر نادر الحدوث، وفي نفس اللحظة استمعت الي سائق السيارة يُنادي باسم الحي الذي سمعته في الرؤيا، فأشرت له، وركبت، والتقيت بك، فأنقذتني ممن كان يرغب في التحرش بي

وحينما التصق جسدك بجسدي، شعرت بحنين الي جسدك، وكأنك تتحدث لي بلغة لم اسمعها، ولكنني كُنت أفهمها، فحاولت ان اتحدث اليك، وأسألك عما تخفيه بداخلك، لدرجة أن تُرسلني العذراء لك، حتى سقطت الورقة منك، ووجدت سيرتك الذاتية، فوجدتها فُرصة للتحدث اليك، ولكنني انشغلت بأمر طلاقي من زوجي، وبعد فترة، وقعت عيني علي سيرة الذاتية، فتوسطت لك في الشركة، وذلك علي الرغم من انك لا تستحق، ولكنهم قرروا تسكينك في معقل المُقاطعة، وهئم علي يقين من انك ستفشل خلال الشهر الأول وتُطرد من الشركة، واما انا، فقد كُنت واثقة من اختيار أم النور، لك، وقد اثبت بنفسك صحة كلامها

لقد صارحتني بردتها عن دين الإسلام، وألقت بهذا الجبل على عاتقي، وما كنت اهتم بدينها، ولا بديني في وقت انصهار جسدي بجسدها، حيث كنت لا اهتم إلا ببشريتي وبشريتها، برغباتي ورغباتها، ولكن الان أصبحت انظر الى معتقدها ومعتقدي، الى دينها والي ديني،

ظهر الدين في علاقتي بها فجأة، وكأنني تعرفت عليها في حلقة ذكر، وكأنني كُنت أخرج معها في الله، وكأننا سافرنا سوياً لأداء فريضة الحج، وكأنني كنت اطوف حول مكمنها، وأسعى ما بين شفتيها ونهدها، وكأنني ايقنت لتوي بأني مُسلم، وكأنني فجاءه اكتشف بأن لي ديانة تأمر بقتل تِلكَ المرأة، وذلك لأنها اعتنقت دين أمها.

يا رب انت من وضعتها في طريقي، ووضعتني في طريقها، يا رب ان كان هذا اختبار فقد فشلت فيه كعادتي، وان كان درساً فانا لم افهم غايتك منه حتى الان، فألهمني الصبر على ما انا فيه

الازدراء

الان عدنا الى نقطة الصفر الذي اكتشفه العرب، من بعد ثالوث فيثاغورث الذي سعي لإثبات الوحدانية، ولهذا فيجب أن اتخذ قراراً الأن، أما بتقبلي لها كما هي، أو بإنزال اللعنات عليها، والاكتفاء بالابتعاد عنها، ولكنني لن أفعل هذا ولا ذاك، بل سأبقي معها وسأقنعها بالعودة الي ديني، حتى وإن عادت مع وقف النفاذ، وعد تنفيذ أحكامه

غُصت في كتاب الله، ولم أجد ما يمنعها عن رِدتها، بل وجدت الله غنى عنها، وأتاح لها الايمان، واتاح لها الكفر، وقد دل النص صراحتا على ذلك، حتى وإن توعدها بعذاب الحريق، ولكنه احتفظ بحق عذابها

الى نفسه وحده، ولم يأمر أي مخلوق لسؤالها أو محاسبتها، أو قتلها، ولكنه في نفس الوقت أمر المؤمنين بقتال اللذين لا يؤمنون به

يا رب انا لا افهم مقصدك، وقد اختلط على عقلي الناسخ والمنسوخ، يا رب انا عاجز عن فهم كلامك من دون وسطاء، ومن دون كهنة، يا رب انا عاجز عن فهم الكلام الذي احتفظت بحق تأويله لنفسك وحدك، والذي جعلتُ منه آيات محكمات، واخر متشابهات، يا إلهي أنى ضائع وإن لم تهدني الى صراطك المستقيم لأكون من الهالكين

اخترت أن اتقبلها كما هي، واتفقنا على ان نُجدد عهودنا بعدم الافتراق مُجدداً، وحينما فكرنا في الزواج بشكل رسمي، واجهتنا مُشكلة، حيث ان ديني لا يحرم زواجي منها، لأنني رجُل، ولكن دينها يحرم عليها زواجها منى، لأنها انثى، ولكنها كانت كريمة في عدم اعترافها بهذا التحريم في دينها، لأنها لا تؤمن بأمور كثيره في دينها، مثل الطقس الاعتراف، حيثُ كانت تقول بان الإلَه صُلِب من اجل تخليصنا من الخطايا، فلم الاعتراف؟ ما دمت الذنوب قَدْ غُفرت مُسبقاً

وانا أيضا كنت كريماً معها، حيث لم أُعلن زواجنا، فتزوجنا بعقد عُرفي، مُجرد ورقة، وكان الهدف منها هو إضافة نكهة الزواج الي علاقتنا، كما انني كُنت ارغب في استخدام زواجنا كمدخل لهدم فكرة المسيحية بالنسبة لها، أما هي فقد حولت حياتي الي جنة، وبذلت كل ما في وسعها لتطوير مُستقبلي، حيثُ ساعدتني في بدء دراسة ماجيستير إدارة الأعمال في أحد الجامعات العالمية، وساعدتني علي شِراء شقة في احد الأحياء الراقية، وكانت في الصباح تعمل علي توفير الدورات التدريبية اللازمة لي، وبعد الظهيرة تقوم بإعداد الطعام لي، وفي المساء كانت تسهر بجانبي حتي انتهي من استذكار دروسي

لم أكن أطيق علاقتها بزُملائنا في العمل، فهُم لا يعرفون انها زوجتي، كما انهم كانوا يتعاملون بطريقة مُنفتحة، وانا لا أقبل بتلك الطريقة، وذلك لأنني نشأت في حي شعبي، ومهما تغيرت، فإن ميراثي لن يتغير، كما ان ميراثها لن يتغير، وهو ما ساعد علي تغير شكل الحياة فيما بينما، ولكننا، حاولنا التغلب على ميراثُنا، ولكن الاختلافات كانت أكبر مما نظن

كانت غيورة، ولكن كبريائها كان يمنعهُا من ان تسألني عن هوية المُتصلين بِي في أوقات متأخرة، ولكن ملامحها كانت تفضحها، كما أنني كُنت اتذوق طعم غِيرتها في الطعام، حيث كُنت أشعر بالاختلاف في طعم ما تطهوه وهي راضية، وما تطهوه وهي غاضبة، كما كان الاختلاف يظهر في ملابسها، وفي علاقتُنا الجنسية، وبهذا ظننت بانها أصبحت كتاب مفتوح بالنسبة لي

في هذا الوقت قررت أن أتقدم باستقالتي من العمل، وذلك لعدة أسباب، أولها هو انني احتاج الي التفرغ لدراسة الماجيستير، وثانيها هو انني بالفعل أصبحت لا أطيق أن اراها من أي موظف في الشركة، وثالثها هو انني أحتاج لخلق مساحة من الوقت لدراسة مشروعي الجديد، حيث قررت البدء في مشروع خاص جداً، وهو انهاء علاقتها بالمسيحية، وبالفعل بدأت في التحضير

تعاملت مع الامر وكأنني اتعامل مع مُنتج مُنافس، ولهذا فقد كان يجيب أن أقوم بدراسة المُنتج المُنافس جيداً، بهدف استخراج العيوب من هذا المُنتج، وبعدها نقوم بإبراز تِلك العيوب الي المُستهلك واحداً تلو الآخر، حتى يكتشف المُستهلك بأن المُنتج لم يعُد مُناسب بالنسبة له، فيبدأ بالبحث عن مُنتج بديل

اطلعت على كتب المُلحدين الخارجين عن المسيحية، واللذين تحدثوا عن أسباب خروجهم من المسيحية،

وكذلك كتب المتحولين من المسيحية الى الإسلام، واللذين تحدثوا عن الفوارق العقائدية ما بين الإسلام والمسيحية، وبالطبع اطلعت علي كُتب عُلماء الإسلام اللذين تفننوا في استخراج العيوب والتناقضات من قلب العقيدة المسيحية، كما انني شاهدت مُناظرات الأديان ما بين أحد دُعاة المُسلمين وما بين بعض القساوسة، وفي النهاية أطلعت على العهد القديم والعهد الجديد، وكتاب التلمود، واعترافات الآباء، ودونت مُلاحظاتي علي المُنتج المُنافس

ان الديانة المسيحية لم تهبط على ملائكة بل على بشر، ولم يكن من الصعب ان أقوم بالتفتيش عن عيوب البشر، وعن التناقض القائم بين ما يفعلوه، وما كان يجب ان يفعلوه، كما أن المسيحية انتشرت بفضل ملوك روما، وما أدراك من هم ملوك روما، وما أدراك كيف استغل ملوك روما لهذا الدين، ثُم ما أدراك عن المجازر الدموية التي ارتُكبت تحت شعار هذا الدين

كان لكُل منا غُرفة نوم مُنفصلة، إلا أننا كُنا ننام سوياً في غُرفة نومي، وذلك لأنني كُنت لا أطيق النظر الي تمثال العذراء مريمً، الواقف في غرفة نومها، وهو تمثال ورثته عن أمها، ولهذا فإنها كانت تحتفظ به في خزينة ملابسها، ولكنها أخرجته الي النور من بعد زواجها من هذا الرجل المُتحرر فكرياً
لا أعرف لماذا كُنت لا أطيق النظر الي التمثال؟ ربما لأنه يُذكرني بماض لا ارغب في تذكره، وربما لأنني أعمل على ارتكاب نفس جريمة الماضي، حيثُ انها وثقت بي، وصدقت كلامي عن احترامي لعقيدتها، وهي لا تعلم أنني أعُد العُدة، واتسلح بالأسلحة اللازمة لحربي على عقيدتها

بدأت حملتي تحت شعار (إذا اردت الوصول الي الحقيقة، فعليك بالشك) هكذا كُنت أبرر معها جميع المُناقشات، حيثُ كُنت اوهمها بأنني أرغب في الوصول الي الحقيقة، ولهذا فإنني أرغب في الاطلاع على الديانة المسيحية، لعلها تكون ديانة الحق، فابتعلت الطعم، وبدأت تخوض معي العديد من المناقشات، وبدأت تشعر بالعجز عن إيجاد الإجابات، وبدأت تنسحب عن استكمال المُناقشات، وفيما يبدوا أنني حققت فوز كاسح في جولتي الاولي

أضرب الحديد وهو ساخن، هكذا كان شعار الجولة الثانية، وبالفعل بدأت في الانتقال من النقاش حول الأخطاء البشرية، الي النقاش في صلب العقيدة المسيحية، ولم أكن أشعر بأنني التهمت نفس الطُعم الذي قدمته لها، حيثُ أن مُناقشتي لهدم العقيدة المسيحية، كانت تهدم عقيدتي الإسلامية، وذلك لأن الإسلام اقر بعقيدة المسيحية، ومعجزات المسيح، التي أحاول نفيها الأن، كما أن الإسلام قد اقر بما هو موجود في العهد القديم، وتحديداً في سفر التكوين، وغيرها من الأسفار

في الحرب، ليس هناك جندي غير مصاب، هكذا شعرت حينما وجدت نفسي اتعرض للإصابة من نفس القذائف التي أطلقتها، ولهذا قررت التراجع والحصول والتوقف تحت شعار الهُدنة، ولكن في هذه اللحظة اكتشفت بأنني ارتكبت أكبر حماقة قد يرتكبها مسؤول مبيعات، حيثُ لم أفكر لحظة في ان المُنافس قَدْ فتش عن منتجي هو الآخر، وقام بفحصِة فحصا دقيقاً، بهدف استخراج العيوب

وها هي قررت الدخول في الحرب، وها هي تكشف عن أسلحتها وتصوبها في اتجاه عقيدتي، وكما قال بونابرت (إن الحرب مثل الحُب، لا تنتهي إلا بمواجهة مُباشرة) وها هي المواجهة قد حدثت، وها هي الحرب الباردة قد انتهت، وها نحن ننهي مرحلة حروب الاستنزاف، ونبدأ في مرحلة المواجهة المُباشرة، وكانت الخسائر أكبر مما توقع الجانبان

تطورت الأوضاع بسرعه مذهله، وعلى الرغم من كل التحذيرات التي أطلقها كُل منا للآخر، حتى نتوقف عن الاستمرار في الازدراء، إلا أننا لم نتوقف، فعقدنا جلسات بهدف رسم خارطة للطريق، واتفقنا على

ان يُحافظ كَلٍ منا على دينه في قلبه، ولكن لِن يرضي اليهود ولا النصارى عن المُسلمين حتى يتبعوا ملتهم، وكذلك هو الحال مع المسلمين، حيث لن يرضوا عن اليهود والنصارى حتى يتبعون ملتهم، ومهما كان الحُب بينهم، ومهما كانت العشرة، ومهما كان رصيد الذكريات

كانت علاقتنا إنسانية، عاطفية، ولكننا افسدناها بمحاولات كل منا لإفساد دين الآخر، فوقع الانفصال بيننا لأن كل منا اظهر اسواء ما فيه للأخر، وقع الانفصال بيننا، من بعد ازدرائي لدينها، وازدرائها لديني، ومن بعد أن قللت من شأن كتابها، وقللت من شأن كتابي، ومن بعد أن اتهمت مسيحها، واتهمت مُحمدي، ومن بعد أن أظهرت لها تناقض دينها، فأظهرت لي تناقض ديني

حاول كُلٍ منا أن يُدخل الاخر الي جنته، فُطردنا سوياً من جنتنا، وخسرنا انسانيتنا، فذكرتني بتاريخي في التجارة بالإله، فأمسكت بتمثال العذراء وحطمته أمام عينها، فكانت النهاية، لحكاية بدأت برؤيا العذراء في المنام، وانتهت بتحطيم تمثالها

وللمرة الأخرى عدت اتسأل، هل فرقت الأديان ما بين البشر؟ أم البشر فرقوا ما بين الأديان؟

الفيل

هي سافرت الي أوروبا، أما أنا فقد انهيت دراستي، واستقبلت عرض عمل في شركة عالمية، تعمل في مجال تكنولوجيا المعلومات، ولم يشغل بالي إن كانت الشركة مملوكة لليهود، أو حتى مملوكة للشيطان نفسه، فأنا لم أعد أهتم بمثل تِلك الأمور.

حققت المبيعات المطلوبة من الفرع بالكامل، بعد ثلاثة أشهر فقط، وبعد ستة أشهر كُنت تجاوزت ضعف المبيعات، وهو الامر الذي لاقي استحسان المسؤولين عن المبيعات في الفرع الرئيسي، فأرسلوا لدعوتي لمُقابلتهم في الولايات المُتحدة الامريكية، وبعد العديد من المُقابلات، عُدت الي الوطن وانا مسؤول عن المبيعات في دول الخليج ومنطقة الشرق الأوسط بالكامل، باستثناء إسرائيل.

لقد تزامن توقيت وجودي في الشركة مع اتجاه حكومات الدول العربية الي تطوير نَظم العمل لديها، وهو ما ساعدني على تحقيق طفرة في المبيعات، كما أن مُنتجنا يحمل شعار الولايات المُتحدة الامريكية، وهو أقوي شعار قد يوضع على أي مُنتج في تلك الفترة، ولهذا فإنني لم إلجاء الي استخدام تميماتي، ولم الجاء الي التجارة بالدين، ولم يكن أمام العُملاء رفاهية الاختيار، حيثُ أننا نمتلك العلم، وبالتالي فإننا نمتلك القوة، ويجب على من يرغب في التطوير، ان يتبع منهجنا، وإلا سيكون في الدرك الأسفل في سباق التكنولوجيا.

كُنت أقوم بتجميع المعلومات عن جميع الدول قبل السفر اليها، وساعدني تطور الانترنت على تجميع المعلومات بشكل سريع، وفى ذات مرة، قررت تجميع المعلومات عن أحد الدول العربية الصغيرة، وخلال البحث ظهرت العديد من النتائج، والعديد من المعلومات عن تِلك الدولة، التي يتبع أغلب سكانها المذهب الشيعي، ولكن حكومتها تتبع المذهب السُني، وذلك لوجود اعتبارات سياسية، ووجود نزاع ما بين أكبر دولة سُنية، وأكبر دولة شيعية، ومن الواضح جداً تأثير هذا النزاع على تِلك الدولة.

لم أكن اعرف الكثير عن المذهب الشيعي، ولكنني أتذكر وصف عُلماء السُنة لهم بأنهم الخطر الأعظم علي الإسلام، وانهم أخطر من اليهود الملاعين، فقررت البحث قليلاً عن هذا المذهب، فوجدت ان أهم أسباب الخلاف بينهم وبين المذهب السُني، يتمثل في تحقير أصحاب المّهب الشيعي لبعض الصحابة، وتحديداً الصحابة اللذين لم يبايعوا علي بن ابي طالب من بعد وفاة الرسول، وفيما عدا هذا فإن الخلافات ليست عقائدية تتعلق بعدم الأيمان بالرسول او الأيمان ب القُرآن الكريم، وإنما اختلافات قد تندرج تحت الاختلافات المذهبية، مثل تحليل زواج المُتعة أو تحريمه، وهم في النهاية يستدلون علي مذهبهم بنصوص من سيرة رسول الله، وبتفسيرات عُلمائهم لكتاب الله.

بشكل عام فإن الاختلافات ما بين المذهب السُني والمذهب الشيعي، لا تشغل بالي، وذلك لأنني ورثت المذهب السُني، وبالتالي لا اهتم بأفكار المذهب الشيعي، وإنما أهتم بالبحث عن أسباب الخِلاف التي أورثت الامة هذا الانقسام الذي نعيش تبعياته حتى اليوم، وهذا الصراع الذي لا يهدأ، والذي سيتسبب في انهيار جميع الدول الإسلامية، نتيجة تصارع دولة السُنة، ودولة الشيعة، من أجل الهيمنة الفكرية والسياسية والاقتصادية والعسكرية، على جميع الدول الإسلامية؛ وهو نفس الصراع الذي انهي هيمنة الكنيسة في أوروبا، من بعد ان تسبب في إبادة ملايين البشر.

إن الأمر كله لا يزيد عن مُجرد صراع سياسي، نشب بعد وفاة عُمر بن الخطاب، وتحديداً في عصر ولاية عُثمان بن عفان، وما تلاها من عصور معاوية بن ابي سُفيان، وابنه يزيد بن معاوية، وما أدراك من هو معاوية، وما أدراك من هو يزيد، ثُم ما أدراك من هو يزيد، وكما يقول العُلماء عنه (سُب يزيد ولا تزيد) حيثُ قد كان من أفجر خلق الله، وهذا الشبل من ذاك الأسد، وكفي.

في نهاية الامر فإن السبب الرئيسي يتمثل في فشل عُثمان بن عفان كمُدير وليس كصاحبي جليل، حيثُ كان عثمان بن عفان، يعتمد في اختياراته للقادة على أهل الثقة وليس أهل الكفاءة كما كان يفعل الفاروق عُمر، ولهذا فقد تسببت اختيارات عُثمان بن عفان للولاة، لخروج الناس على حُكم ولاته، ومن ضمن الولاة اللذين خرج الناس عليهم كان أخيه (عبد الله بن أبي السرح) والي مصر، وهو أول مُرتد في الإسلام، حيثُ كان من كتبة الوحي وهاجر الي المدينة ثُم ارتد وعاد الي مكة، واتهم النبي بادعاء الوحي، وأسماه النبي مع المطلوب قتلهم في يوم فتح مكة، ولكن عثمان بن عفان شفع له، ثُم اولاه عُثمان علي مصر، وذلك من بعد عزل عمرو بن العاص.

وكذلك من ضمن الاختيارات الخاطئة لعثمان بن عفان كان أخيه من امة (الوليد بن عقبة بن أبي معيط)، والذي نزل القُرآن مُتحدثاً عنه قائلاً (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا) ولكن عثمان قد ولاه ولاية الكوفة، وذلك من بعد عزل الصحابي، سعد بن أبي وقاص، وكان الوليد يُصلي الفجر بالناس وهو سكران، لدرجة أنه صلي بهم الفجر أربع ركعات، ثم قال لهم، هل أزيدكم؟ وقد عزله عثمان وجلده، بعد شكوى اهل الكوفة منه، ولكن تسبب في نفور اهل الكوفة، من خِلافة عُثمان.

هذا بالإضافة الي العديد من الأسماء، والعديد من الأخطاء، والتي إن دلت فهي تدُل على ضعفه في إدارة شئون البلاد، وسوء اختياراته للولاة، وتقويته لشوكة معاوية بن ابي سُفيان، وذلك من بعد ان ولاه على جميع بلاد الشام، وهو القرار الذي اعطي مُعاوية القوة والجراءة فيما بعد، على الخروج على (على بن ابي طالب)، وهو الخروج الذي خرج من الخوارج، وما والاهم وما تبعهم من شيعة علي، وفي النهاية فإن عُثمان هو أكثر من تضرر من سوء اختياراته، التي تسببت في قيام الثورات عليه، والتي انتهت بمقتله، في مدينة رسول الله، تحت اعين أصحاب رسول الله

وبالعودة الي الدولة ذو الأكثرية الشيعية والحُكم السني، فقد أظهرت لي نتائج البحث بانها الدولة التي كانت تحتضن دولة القرامطة، ويذكر التاريخ الإسلامي قيام القرامطة في القرن الثالث الهجري، بغزو مكة، وهدم الكعبة، وتفتيت الحجر الأسود، وهو ما تسبب في توقف شعيرة الحج لمدة عشرون عاماً .

لعنة الله على القرامطة، ولكن هل كانوا نصارى؟ لا؛ هل كانوا يهود؛ لا؛ هل كانوا مُشركين؟ لا؛ إذن فما دينهم؟ لقد كانوا على دين لا إله إلا الله مُحمد رسول الله، مُسلمين وموحدين بالله؛ فكيف يرتكبون هذا الجُرم؟ ولماذا تركهم الله يفعلون ذلك؟ اليس للبيت رب يحميه؛ كما حماه من أصحاب الفيل؟ فماذا لم يُهلك القرامطة كما أهلك أصحاب الفيل؟ هل لان القرامطة مسلمين؟ ولكن ما كانت ديانة أصحاب الفيل؟

إن أصحاب الفيل، كانوا نصارى، ولم يكونوا يعبدون الاصنام، وذهبوا لهدم الكعبة، بدافع من دينهم الذي ينهي عن عبادة الأصنام، حيث كانت الأصنام تُعبد من حول الكعبة، فقرر الملك المسيحي، ان يهدم الكعبة بالأصنام المُحيطة بها، ويطهر الأرض من عبادة الاوثان، التي نهت المسيحية عنها

إذن فالمسيحية قَدْ كانت هي دين الله في الأرض وقتها، فكيف يُهلك الله أصحاب دينه، والمؤمنون به، لكي يحمي مكان تُعبد فيه الاوثان؟ وإن كان الهدف هو حماية الكعبة نفسها، فلماذا ترك الله المسلمين يهدمونها؟ ولماذا لم يُرسل عليهم طيراً ابابيل؟ وإن كان الله قد أرسل طيراً تحمل حجارة من جهنم، فكيف لا يوجد أي إثر جيولوجي لها؟

يا ربي انى لا اشكك في النص، ولكنني غير مقتنع بتأويله، وانت اخبرتنا بأن لا يعلم تأويله إلا انت، وانا لا اعترض على احتفاظك وحدك بالتأويل، ولكني اعترض على من شاركك الحق في التأويل، ولم يكتفي بالتأويل فقط، بل أنه يحاول أن يفرض على عقلي تأويله لكتابك، حتى وإن تعارض تأويله مع التاريخ والجغرافيا والطبيعة والفلك وكل العلوم.

على كل حال انا في طريقي الى الدولة السُنية، التي يعتنق اغلب أهلها المذهب الشيعي، وهنالك اقمت في أحد الفنادق، وهنالك وجدت ان تِلكَ الدولة السُنية، ذو الأغلبية الشيعية، تقدم خدمات الدعارة بشكل مميز، فدعاني فضولي الى التعرف على تِلكَ الخدمة عن قرب، فدفعت مبلغا من المال الى المسؤول عن تِلك الخدمة، وقد كان رجلاً خدوماً الى ابعد الحدود، حيث عرض جميع مُنتجاته أمامي لاختار من بينها،

وطبعا كانوا جميعا من الفتيات المسلمات، القادمين من الدول الإسلامية الفقيرة، واللاتي لم يجدن في الإسلام في مُجتمعاتهن، ولم يجدن راقصة تحميهم مثل التي كُنت أعمل معها، فقررن بيع أنفسهُن في احد الدولة الإسلامية الأخرى

لإضافة التمييز الي العرض، قام المسؤول باستدعاء بعض الفتيات من الدول الأوروبية، والافريقية، لعلي أفضل الأجنبيات، فسألته عن الفارق ما بين الأجنبيات والعربيات، فأخبرني بعدم وجود أي فوارق، ولكن أدب المهنة تفرض عليه عرض جميع بضاعته، لإرضاء جميع الأذواق

اكتفيت بدفع الأموال دون الحصول على الخدمة حيث ان تِلكَ الخدمات لم تكن تناسب مفاهيمي عن الاتصال بالمرأة، ثم توجهت الي بهو الفُندق، وجلست أنظر الي السماء، حيثُ كان القمر بدراً، فعاد الشيطان الي رأسي يسألني عن انشقاق القمر، فهل انشق القمر حقاُ؟ ام انه سينشق قبل قيام القيامة؟ وإن كان انشق كما يقولون، فكيف ينشق القمر ولا ترصد أي حضارة من الحضارات، لتِلك الحادثة؟ وكيف أنشق ولم تؤمن كُل قريش بعد حدوث تِلك المُعجزة؟ وكيف نُقر بانشقاقه في حين أن أجمالي الشقوق الموجودة على سطحه لا يزيد عن ربع مساحته؟ ولماذا يكذب بعض المشايخ تحت شعار الاعجاز العلمي، ويدعون بأن العلم أثبت انشقاق القمر، في حين ان العلم برئ منهم

الكواليس

كفاني بحثاً عن أوجه الخلاف ما بين الديانات، فيكفيني ما وجدته من تشابُهات، فجميع الديانات تؤمن بالسبب الذي لا سبب له، وبداخل جميع الديانات اشخاص ظاهرهم غير باطنهم، ولا توجد ديانة تخلو من استغلال رجال السُلطة لها، من خلال العبث في بعض نصوصها، وتطويع تأويلها ليتناسب مع أطماعهم الدُنيا

إن رجال الدين في جميع الديانات يشبهون الممثلون الواقفون علي خشبة المسرح، حيثُ يُرددون عبارات من داخل النص المكتوب، ولكنهم وإن خرجوا عن النص، فإن الجمهور لن يُدرك خروجهم عن النص، وذلك لأن الجمهور لا يعرف أصل النص، وأما من يقف خلف الكواليس فيعرف بان الممثل قد

خرج هكذا عن النص، ولكن لا يوجد في كواليس المسرح من يستطيع ان يخرُج للجمهور ويقول لهم بان الممثل قد خرج عن النص، وإن فعل فسد العرض

يوجد من يتولى وظيفة تلقين المُمثلين في حالة نسيان النص، ولكن ماذا يفعل المُلقن، في حال ان تعمد المُمثل بأن يخرج عن النص ليُرضي أحد الحاضرين من المسؤولين على سبيل المثال، أو ليوجد لنفسه مساحة أكبر في العرض، فيحصل على الشهرة

وفي المسرح، يرتدي الممثلون ملابس الشخصيات التي يؤدونها، ولكنهم لا يرتدون ملابسهم، ويتنكرون بالشوارب واللحى، ويصطنعون الشكل الذي يُعبر عن الشخصية التي يؤدونها، وليس الذي يُعبر عن شخصيتهم الحقيقية، وذلك لتحقيق رؤية كاتب العرض والمُخرج

اما الكواليس، وما إدراك ما كواليس المسرح، حيث يكون الممثلون على حقيقتهم، فتجد من يلعب دور الراهب على خشبة المسرح يشرب الخمر في الكواليس، وتجد من تلعب دور الراهبة، تخلع ملابسها في عجاله امام الجميع، وذلك لارتداء رداء الراهبة، الذي سيُقنع الحضور بانها بشخصيتها المكتوبة في النص، وغيرها من أوجه التناقض ما بين المسرح في الظاهر، وما بين المسرح في الكواليس

مُنذ فترة، كُنت أشارك في الاشراف على حملة دعاية تلفزيونية لشركتنا، وخلال تِلك الفترة، تعرفت على العديد من العاملين في مجال التمثيل بشكل عام، والعاملين في مجال المسرح بشكلٍ خاص، وقد تطورت العلاقة معهم حتى وصلت الي مرحلة الصداقة مع بعضهِن، وقد تلقيت دعوة لحضُور عرض مسرحي لصديقة عزيزة علي قلبي

كُنت شاركت من قبل في عروض (البروفات) او ورش التحضير للعرض، وكُنت مُعجب بالمجهود المبذول من مُخرجة العرض، والتي كانت تستهدف توضيح رؤيتها من العرض، ولهذا فقد كانت توجه التعليمات للمُمثلين بإبراز مناطق مُحددة في شخصياتهم، بحيث يتأثر الجمهور مع تِلك المناطق، بغض النظر عن طبيعة الشخصية،

فعلى سبيل المثال: قَدْ يكون هُنالك طُرق مُتعددة، لتجسيد شخصية فتاة الليل، ولكن المخرجة كانت ترغب في جذب تعاطف المُشاهد مع تِلك الشخصية، فتطلُب من الممثلة التحدث بنبرة صوت مُحددة، في أوقات مُحددة، وان تتحدث بأسلوب رقيق مع اطفالها، على عكس الأسلوب التي تتحدث به مع زبائنها، وستساعدها الموسيقي والمؤثرات الصوتية والضوئية على إبراز الجانب المرغوب إبرازه من وجهة نظر مُخرجة العمل، وبنفس الطريقة تُخلق باقي الشخصيات

ان المسرح لا تخلو نصوصه، من التعبير عن الصراع القائم، ما بين الخير والشر، ولكن الخير والشر، من خلال منظور الكاتب ورؤية المُخرج، وليس من خلال منظور الجمهور، حيث أن الجمهور لا يزيدِ عن كونه مُتلقي، ولكن الكاتب قد يكتُب نصوصاً يتوافق الخير والشر فيها مع منظور مُجتمعه، فمثلاً يُقبح شخصية الفتاة المُتحررة، وذلك لان مُجتمع الكاتب، يعتبرها فتاة مُنحلة، ولكن نفس الشخصية في مُجتمع كاتب أخر، لا تزيد عن كونها مُجرد فتاة وتعيش بنفس الأسلوب الذي يعيش به المُجتمع

وهذا يدُل على وجود إختلاف، ما بين المفاهيم الإنسانية، والمفاهيم المُجتمعية، وذلك مع الاخذ في الاعتبار بأن مفاهيم (الخير والشر) و(القبح والجمال) يجب أن تخضع لمفهوم انساني، وليس لمفهوم

مُجتمعي، وإلا لن تتوحد الشعوب أبداً، إلا لن يتعارف الناس، ولن يتمكنوا من الحياة سوياً

إن الصراع القائم علي كوكب الأرض حالياً، يتمثل في رفض بعض المُجتمعات للمفاهيم الإنسانية ل (الخير والشر) و(القبح والجمال) واستبدالها بمفاهيم مُجتمعية، مبنية علي رؤية اشخاص مُنتفعين من عزل تِلك المُجتمعات عن باقي شعوب الأرض، فتتباعد الشعوب، ويبدأ كل مُجتمع في محاولة فرض مفاهيمه، فتزداد الهوة ما بين الإنسان والآخر، فيظُن احدُهم بان الاخر شيطان، فتُبرر الحروب

ثُم تبدأ المُجتمعات التي خصصت لنفسها معاير (الخير والشر) و(القبح والجمال) بالانقسام داخل نفسها، وذلك لظهور فئة جديدة من المُنتفعين، اللذين لن تتحقق أهدافهم إلا بعزل مجموعة جديدة من داخل نفس المُجتمع المُنعزل، فيعمق الهوة ما بين مفاهيم (الخير والشر) و(القبح والجمال) بداخل المُجتمع الواحد، فيُبرر الإرهاب

بدأت أشعر بالانجذاب تجاه المسرح، وتملكتني رغبة بالوقوف على خشبته، ومشاهدة الحقيقة من داخل كواليسة، فطلبت من صديقتي المُخرجة أن تُساعدني على القيام بهذا، حيثُ نصحتني بالانضمام الي أحد ورش التدريب على التمثيل وفنون المسرح، وتصادف في نفس الفترة استقبالي عرض للعمل في أحد الفضائيات الحديثة، وعلى الرغم من شعوري بالرضا داخل الشركة التي اعمل بها وتحقيقي لجميع اهداف الشركة، وعلى الرغم من حبى لمجال العمل في تكنولوجيا المعلومات وتملُكي مِن ادواته، إلا إنني بدأت اشعر بالملل، فوجدت في العرض فرصة لاكتساب المزيد من الخبرات، وعلى الرغم من اختلاف مجال العمل، إلا أن مهارات البيع والتسويق واحدة، كما انني مُنجذب بشكل كبير الي المُشاركة في كواليس الشاشات

في الفترة الاولي من عملي في شركة التسويق المسؤولة عن التسويق للقناة، كُنت احرص على التوجه الي استديو هات القناة، بهدف مقابلة نجوم المُجتمع من المُمثلين والمذيعين، وكبار الأدباء، وفي الكواليس شاهدت شخصيات مُختلفة تماماً عن تِلك التي تظهر على الشاشة، وشاهدت سيطرة السياسة على مُجريات الأمور، وشاهدت سيطرة المال على كُل شيء، وأي شيء

العمل في التسويق الإعلامي ابسط بكثير من العمل في تسويق أي مُنتج أخر، فالأمر برُمته يعتمد على المحتوي المُقدم من خلال القناة، وكُلما ارتفعت سخونة المحتوي، ارتفعت نسبة المُشاهدة، وبالتالي ارتفعت قيمة الإعلانات، وازدادت أعداد المُعلنين، وارتفعت أسعار مُقدمي البرامج، وارتفعت أسعار الضيوف، وازداد الطلب على الموضوعات الساخنة مهما كانت جودتها

المُهم هو تقديم المحتوي السّاخن، الجذاب، بغض النظر عن قيمته أو جودته، ولكن هذا لا يعني تقديم مُنتج رديء، بل أن الأمر يحتاج الي مهنية، حيثُ يجب تقديم المحتويات الجذابة، بغض النظر عن جودتها مع مُراعاة تغليفها بغُلاف جيد، فالمهنية تتلخص في جودة الغُلاف، وليس جودة المُنتج نفسه، فمثلاً يكون الغُلاف في احد البرامج الحوارية هو التعبير عن الرأي والرأي الأخر، ويكون المحتوي هو اختيار صاحب رأى مُتمكن من مهارات الكلام، وصاحب رأى أخر لا يمتلك مهارة الحوار، فتكون النتيجة محسومة من قبل بدء الحوار، وتُحقق القناة رؤيتها بكل حيادية

إن شاشات التِلفاز تُعد من أكبر وسائل السيطرة على عقول الجميع، والمال مُسيطر على تِلك الشاشات، ولهذا فإن المال قادر علي تشكيل العقل الجمعي للمُجتمعات، وأصحاب الأموال لا ينفقون من أموالهم إلا

من بعد ان يتأكدوا من ان أموالهم ستَرد إليهم، أضعاف مُضاعفة، ولا يُشترط أن تَرد في صورة نقدية، وإنما من الممكن أن تُرد في صورة معنوية، أو في صورة لجام مربوط حول أعناق الملايين من متابعين القناة، ولهذا فإن أصحاب رؤوس الأموال من المُستثمرين أو من المسؤولين الحكوميين، ينفقون للسيطرة علي عقول المُجتمعات، بهدف توجيها

لا مانع من تقديم برنامج سياسي ساخن يُقدم مشاكل الناس الحياتية، وهمومهم اليومية، وينتقد المسؤولين الحكوميين، ويكشف عن أسباب الفساد في الدولة، ولكنه لا يكشف عن الفساد نفسه، ولا يكشف عن المُفسدين أنفسهُم، حيثُ ان الهدف من الهجوم، هو الدفاع، الدفاع عن الفاسدين من مُلاك القناة، واللذين يمتلكون مشروعات أكبر بكثير من القناة، ولهذا فيجب انتقاد الفساد والمُفسدين من حولهم، لإرهاب أعدائهم من الفاسدين، ولحماية مصالحهم الفاسدة

لقد شاهدت في الكواليس ما لا أرغب في تذكره، وما لا أطيق الكتابة عنه، حيثُ أن كل ما فات في حياتي لا يُقارن بما شاهدت في بِضعة أسابيع في الكواليس، وذلك لان ما فات من عمري كان مُجرد بحث عن الحقيقة، ولكن الكواليس تحتضن الحقيقة، والحقيقة أسواء بكثير من ان تدون في مُذكرات شخصية، ولكنني تأكدت بأنني كُنت مخدوع، بل اننا جميعاً مخدوعين، وكفي

إن الاعلام يمتلك القدرة على أن يُقنع الجماهير بأن الظالم ضحية، وبأن المظلوم هو من ظلم نفسه، وأن المقتولين أوغاد ويستحقون القتل، وان القتلة أبرياء ومُنزهين ومُطهرين عن كل العيوب، ولهذا فإنك إذا اردت أن تخلق مفاهيماً جديدة عن (الخير والشر) و(القبح والجمال) فعليك بصُناع الإعلام، حيثُ ستجد تجار الرقيق الأبيض، وتجار الدين، وتجار المبادئ والأفكار، وتجار الشعارات، وتجار السُلطة والمعارضة، وغيرهم من التجار اللذين يتاجرون بعقل المُجتمع

ان السر وراء سيطرة الشاشات على عقول الناس يتمثل في أن مُعظم البشر، لا يعرفون كيف تظهر الصورة داخل التلفاز، وهي حقيقة قائمة حتى يومنا هذا، حيثُ أن عقولنا تحاول الإجابة على سؤال مطروح مُنذ اختراع تِلك الشاشة، وهو (كيف يظهر الناس داخل تِلك الشاشة؟) وبسبب هذا السؤال يظل العقل مُنجذب للشاشة في محاولة للوصول الى الإجابة، وفي تِلك اللحظات اللا ارادية، يُسلم الإنسان عقلة الي من هم بداخل هذا الجهاز .

وهو نفس السر وراء تسليم المُصليين لعقولهم لكل من يقود صلاتهم في المسجد او الكنيسة او المعبد، وذلك لأنهم يحاولون الوصول الي إجابات العديد من الأسئلة المطروحة مُنذ بداية الوجود، كما أنهم لا يفهمون (كيف تواصل الإله العظيم، مع مخلوقاتٍ تشبههم؟) ولهذا فإنهم يُسلمون عقولهم لهذا الشخص الذي لم يتواصل مع الإله بنفسه، ولكنه تواصل بالتواتر مع من تواصلوا معه، ولهذا فإن هذا الشخص في عين أتباعه، يمتلك جميع الإجابات على اسئلتهم التي لا إجابة لها

أعتذر عن استكمال الفقرة، ولكنني حقاً لا ارغب في تذكر تِلك الفترة، ولهذا فإنني لن ادونها حتى تموت بموتي، وتنتهي بنهايتي، وسأكتفي بنصيحة من يقرأ تِلك السطور، بتوخي الحذر، ومُراجعة كل الأفكار التي كان يظُن بأنها من المُسلمات، حيثُ لا يوجد علي وجه الأرض ما نستطيع أن نعتبره من المُسلمات، غير وجود السبب الذي لا سبب له

<u>هُدنة</u>

تقدمت باستقالتي، وقررت بحضور الخمر، ان اعقد هُدنة مع التفكير، وقد شاركت المُخدرات في الشهادة على تِلك الهُدنة، وتعهدت لي بأن يلتزم التفكير بالابتعاد عني، بشرط أن أظل مُحافظاً على شروط الهُدنة، وان اتوقف عن طرح الأسئلة، وإن اتوقف عن النبش في قبور المُسلمات والحقائق، وبدأت الهُدنة بالفعل، وعُدت الي الكوكايين مُجدداً

كانت لي صديقة تعمل بالإخراج المسرحي، والتي كانت نصحتني بالمُشاركة في ورش تدريب واعدد المُمثل، وبالفعل عُدت الي المُشاركة في تِلك الورش، وبعد فترة تطورت علاقاتي بها، وانتقلت للسكن في منزلي، وذلك لأنها من أصول شامية، وتعيش وحدها، وتري الحياة من منظور مُختلف

كانت تُرافقني الهُدنة، وكانت تُشاركني جُرعات الكوكايين، وتقاسمني كؤوس الخمر، وكانت دائما تنصحني بتجربة أنواع جديدة من المُخدرات، مثل عقارات (ال اس دي) فوافقت في البداية، ثُم تراجعت من بعد شراء ورقات العقار، وذلك لشعوري بالخوف الشديد من استخدامها، فاحتفظت بها في خزينتي، وحينما فتحت الخزينة، وقعت عيني على تمثال مريم العذراء الذي كسرته من قبل، حيث قمت بإعادة تجميع اجزاءه، والاحتفاظ به في خزينتي الخاصة

في أحد الليالي كانت صديقتي المُخرجة، تتطلع علي نص مسرحي، ستُشارك فيه بالتمثيل والاخراج، وكان النص للكاتب (صلاح عبد الصبور) وكان النص هو (بعد أن يموت الملك)؛ فوجهت لي عرضاً بالمُشاركة في تمثيل هذا العمل، فوافقت، بشرط ان العب أنا دور الملك، فأخبرتني بأن الملك سيموت في اول المسرحية، وستبدأ الاحداث من بعد وفاته، ولهذا فقد نصحتني بأن ألعب دور الشاعر، فتمسكت برأي من دون ان اطلع على النص، فوافقت، ولكنها طلبت مني ان نقرأ النص سوياً

أنني لا أتذكر حالياً محتوي النص بالكامل، ولكنني أتذكر بعض الجُمل من الحوار ما بين الملك، وما بين أحد الجواري، حيثُ كُنت العب أنا دور الملك، وكانت صديقتي تؤدي دور الجارية، وكان هذا الحوار:

الملك: كالكاس المقلوبة يتدور صدرك
الجارية: مولاي. ائذن والمسة في خلوة.
يتصبب خمرا حتى تبتل انامك الحلوة او يسعى مزهوا في نعمة عينيك حتى يندى في زهرة شفتيك
الملك: فخذاك عمودان يقودان الى النبع المكنون المستغرق في سبحات تأمل ذاته في باطن مرأته
الجارية: فلتتسلل كاله الغابات السحرية
تتقدمك القوس المرهفة الفضية حتى تصل الى النبع المكنون انفذ قوسك في صفحة مرأته

أقسم بأنني كُنت حريصاً على عدم مُمارسة الجنس معها حتى لا أخسرها هي الأخرى، ولكن بعد هذا الحوار، وبعد تِلك البروفة تحديداً، كان إله الغابات السحرية، يُطل برأسه بداخل النبع المكنون، حتى انفجرت عيون النبع، وعاد ملك الغابات السحرية الي وضعة القديم، وكما يقولون (عادت ريمة الي عاداتها القديمة) والطبع غلاب؛ وذيل الكلب لن يستقيم أبداً

خلال علاقتي الجنسية بها، كُنت أفكر في محتوي النص، وكلام الملك الي الجواري، وتذكرت كتاب التوراة، وتحديداً نشيد الإنشاد، وتذكرت حينما كُنت أقول لها (هل يعقل بان يحتوي كتابٌ مُقدس على مثل هذا المحتوي الجنسي؟) أين عقلك؟ وفي نفس اللحظة أجابتني قائلة: وماذا عن وتر زيد؟ ثُم تخيلتها تتحدث لي وانا امارس الجنس مع غيرها، فسألتُها قائلاً:

أنا: لماذا رحلتي؟

هي: من اجل ديني
أنا: ولماذا تركتك ترحلي؟
هي: من اجل دينك
أنا: وماذا عن الحُب؟
هي: حُب!!! ألا تري ما تفعل الان؛ أصمت وعُد الي شهوتك
المُخرجة: ماذا بك؟ فيم تُفكر؟
أنا: أفكر فيما حدث للأرض، من بعد ان مات الملك

أمسكت برأسي ودفنتها ما بين نهديها المُحلي بالنمش، ثُم تحدثت قائلة: أشعر بك؟ واعرف ما يشغل بالك، واعرف بانك تُفكر فيها، وتُفكر فيه
أنا: وأنا لا أعرف متي سينتهي هذا التفكير، ولا اعرف متي سأتوقف عن التفكير فيها؟ ولا أعرف متي وكيف سأصل اليه؟ وهل انا أبحث عن موجود ولكن مفقود؟ ام ابحث عن مفقود ولكن موجود؟

المُخرجة: ما دُمت أنت موجود، فإنه موجود، وليس بمفقود، فأنظر اليه ستجده في الوجود، موجودٍ، في كل موجود، ولكن لا تنظر اليه بنظرك المحدود، فيعود اليك مُرتطماً بالسدود، لأن لنظرة عينك حدود،

أنا: وكيف أنظر له من دون نظري المحدود؟
المُخرجة: أنظر له بقلبك، وليس بعينك ولا عقلك، فستراه

أنا: وهل رائيتيه؟
المُخرجة: رأيتُ ربي بعين قلبي، فقُلت له: من انت؟ فقال أنا، انت

لقد اخترقت كلامها جميع حواسي المُعطلة، فأنتفض جسدي بالحياة مُجدداً، فأقمت وجهي من على صدرها، ورددت جُملتها بداخل عقلي (رأيتُ ربي بعين قلبي، فقُلت له: من انت؟ فقال أنا، انت) وفي نفس اللحظة تذكرت الجُملة التي قالها صديق والدي حينما قال لي: (لو علمته لم يكن هو، ولو جهلك لم تكن أنت، فبعلمه أوجدك، وبعجزك عبدته، فهو هو لِهُوَ، لا لَكَ؛ وأنت أنت لأنَت ولَه؛ فأنت مرتبطٌ به، ما هو مرتبطٌ بك؛ الدائرة مطلقةٌ، مرتبطةٌ بالنقطة؛ النقطة مطلقةٌ، ليست مرتبطة بالدائرة؛ نقطة الدائرة، مرتبطةٌ بالدائرة .

المُخرجة: ماذا بك؟
أنا: شيبتني كلماتُك

المُخرجة: أنها ليست كلماتي، ولكنها كلمات رجل يُدعي الحلاج
أنا: ومن هو الحلاج

المُخرجة مُبتسمة: أنت تحديداً لا تسأل عن الحلاج
أنا: لماذا؟

المُخرجة: لأن عقلك مُستهلك بما يكفي، ولهذا فانت في غني عن الحلاج؛ فلا تسأل عنه، حتى لا تلقي نفس مصيره، ويحدث لك ما حدث له
أنا: وماذا حدث له؟ هل فقد عقله؟

المُخرجة: يا ليته فقد عقله، بل فقد عُمره بأبشع ميته، حيث مات مصلوباً
أنا: وماذا فعل ليموت مصلوباً؟ اكان حاكماً أو ساعياً للسلطة؟
المُخرجة: لا. بل كان عاشق

انا: ومن تِلكَ التي عشقها وصُلِبَ من اجلِها
المُخرجة: لم يعشق دنيا، ولا دين، بل عشق ربه من بعد أن رآه بقلبه، فعرفه، فترك للناس دنياهم، ودينهم، شغلاً بحبه هو، وما كان هو؛ إلا هو، فناجاه قائلاً: تركتُ للناس دنياهم ودينهم شغلاً بحبك يا ديني ودنياي.

ما لهذا الكلام لا يُغادر كبيرة ولا صغيرة في جسدي، إلا وتغلغل بها؟ ما لهذا الكلام أفقدني التحكم في عيني، واجبرها على البُكاء من دون ان اشعر بدموعي المُنهمرة على وجهي؟ فضمتني مُجدداً الي صدرها، وظلت تطالبني بالهدوء، وكُلما حاولت الهدوء، ازداد البُكاء

المُخرجة: هل ترغب في ان تتعرف أكثر على الحلاج؟
أنا: أشرت لها بالموافقة برأسي، وحاولت تجفيف دموع عيني بيدي

المُخرجة: كُنت أشعر بالحيرة ما بين نصين لنفس الكاتب، فاخترت بعد ان يموت الملك، ولكن من اجلك سأقوم بالعمل في النص الاخر
أنا: وما هو النص الاخر
المُخرجة: مأساة الحلاج، وستلعب انت دور الحلاج، وستُصلب

بدأت في الاطلاع على النص، وبدأت في القراءة عن الحلاج، فوجدته يقول، ما لا يُقال، ويبدو أنه قال ما قال، وهو يعرف بانه ينطق بِمقال، لا يُقال، ولكنه قد قال، تحت تأثير الوصل، والاتصال، وبدافع الخلاص من الجسد، والعودة حيثُ يكون الوصل والوصال، حيثُ أن هذا العاشق قد قال :

عجبتُ منك ومنّـي يا مُنْيَةَ المُتمَنّي
أدنيتَني منك حتّى ظننتُ أنّك أنّـي
وغبتُ في الوجد حتّى أفنيتنَي بك عنّـي
يا نعمتي في حياتـي وراحتي بعد دفنـي
وإن تمنيْت شيْـئاً فأنت كل التمنّـي

تعرفت على المسيح الثاني، ذاك المسيح الذي كان يطمُح في إحياء الموتى، ولكن ليس الموتى المقبورة أجسادهم، وإنما الموتى المقبورة أرواحهُم، والمقبورة قلوبهم، وعقولهم، واللذين ماتوا، ولكنهم لم يدفنوا حتى تموت أجسادهم، ولهذا فإنه كان يسعي لإحيائهم بالدعوة الي المحبة والعشق، ولكن ليس عشق العبد لربه، وإنما عشق الحبيب لحبيبه، وعشق الروح الي منبتها، وحنين الجُزء الي الكُل

والله ما طلعت شمسٌ ولا غربت إلا وحبّك مقرون بأنفاسي
ولا خلوتُ إلى قومٍ أحدّثهم إلا وأنت حديثي بين جلاسي
ولا ذكرتك محزوناً ولا فَرِحا إلا وأنت بقلبي بين وسواسي
ولا هممت بشرب الماء من عطش إلا رَأَيْتُ خيالاً منك في الكأس

ولو قدرتَ على الإتيان جئتُكم سعياً على الوجه أو مشياً على الرأس
وياء فتى الحيّ إن غّنيت لي طربا فغّنـني وأسفا من قلبك القاســي
ما لي وللناس كم يلحونني سفها ديني لنفسي ودين الناس للنــاس

هلوسة

كان من المُقرر أن يُعرض العرض المسرحي لمُدة شهر كامل، وخلال هذا الشهر لم اكُن أتوجه الي تحية الجمهور، وكان العديد من الناس يرغب في تحيتي على أداء الدور، وتقمص الشخصية، ولكن الشخصية هي التي تقمصتني، ولهذا فلم أكن اهتم بالناس، ولا ارغب في التواصل معهم، ولا اهتم بمدحهم ولا نقدهم، وفي ليلة العرض الأخيرة، أنهيت دوري وانطلقت الي خارج المسرح، وانطلقت بسيارتي الي أحد المُدن الساحلية، حيثُ شاطئ البحر، وخلال الطريق لم اتوقف عن طرح الأسئلة: فكيف أكون انا هو، ويكون هو انا؟

وصلت الي الشاطئ في مُنتصف الليل، وبدأت بالسير في اتجاه البحر، وكُلما ازداد ارتفاع المياه، ازداد اصراري على استكمال السير، حتى فقدت الأرض، فبدأت بالسباحة في عكس اتجاه الأمواج، في مُحاولة مني لمواجهة الموت، وليس لرغبتي فيه، وإنما لرغبتي في اختبار العلاقة ما بين جسدي وروحي، فهل ستتخلى روحي عن جسدي، وتتركه يفني؟ ام ستدفعه لمواجهة الموت، حتى يظل معها؟ وهل سيقاتل الجسد من اجل الحفاظ على الروح؟ أم سيتركها ترحل عنه؟ كما تركتها ترحل من قبل .

بدأت أُدرك نفسّي، وجسّدي، وروحي؛ التي هي من روحهِ هو
وإن كنت أنا هو أنا؛ فإن مِن الأنا ما هو مِنهُ هو
ولهذا فإن إدراكه هو، يبدأ من إدراكي لي أنا، ولكن ما أنا؟

أنا الجسد، والروح، التي هي من عنده هو،
ولذا فإن صراع روحي مع جسدي، سيكون صراع ما بين الأنا والأنا
وإن انتصرت أنا، فسوف أنهزم أنا، فما أنا إلا أنا وأنا .

فانا مشتركُ جامعُ ما بين أنا التي منى انا، وأنا التي منه هو
فإن أنا فقدت الأنا التي منى أنا، فلن أكون انا هو انا، بل سأكون انا التي منه هو
وان فقدت الانا التي منه هو، فلن أكون انا هو انا، بل سأكون انا التي منى انا

ولهذا فانا اريد ان أبقي انا كما هو انا
لأني لا أقدر على ان أكون انا منه هو، من دون الانا، التي منى انا
لأني لازلت ارغب في أكون بشرا سويا

لقد تغيرت أحوالي بعد معرفة هذا الرجل، وأصبحت أقول كلام غير مفهوم، وبدأت اسمع أصواتٌ تحدثني، وأصبحت أرى أشخاصاً لا وجود لها، وكأنني كُنت أقراء في كُتب طلاسم السحر وتحضير الجان، وكأنني استدعيت الشيطان ليقيم بداخلي، يبدوا أن الإقامة اعجبته، حتى ظن بانه انا، وانني هو

أنا: ارجوك يا أنا كف عنى، ابتعد يا أنا عني انا، فأنا الطين، وأما أنا، فأنا السرمدي، فكيف يمتزج السرمدي بالمادي؟ وكيف يمتزج النور بالظلام؟ فكلانا متضادان، فكيف نمتزج سوياً؟ أرحل الي سرمديتك، ودعني موحول في ماديتي، دعني أعود الي التُراب، دعني ما بين الخِرافُ والكلاب، دعني فأني سراب، فأنا خالد من الخلود، وأنا صاحب من سيأكله الدود، فدعني وارحل فأنا هو أنا، واما أنا فهو أنا

اننا لو عرفنا الله، لما دنت الدنيا، وما تعارف البشر، وما عمُرت الأرض، وما شُربت الخمر، وما اشتهي الرجال النساء، وما اشتهت النِساء الرجال، ولفقدت الدنيا زينتها، وما كُنا قبلنا بحمل الأمانة، ولأصبحنا ملائكة ساجدين، راكعين، مُسبحين؛ فهل يُعقل ان تكون معرفة الله قَدْ حُجِبَت عنا، حتى نستطيع ان نكون بشر؟ ولكن لماذا؟ وماذا أراد؟

يا إلهي مال للطريق اليك ألف سؤال وسؤال؟ وهل لهذا أوجدت لنا العقل ليصل اليك؟
ولكن عقلي بات عاجز عن الوصول اليك، حتى أصبحت اعانى من الهلاوس، فأرى في الاحلام ما هو واقع؛ وارى في الواقع ما هو أحلام؛ فهل أردت لي ان أفقد عقلي؟ هل اردت أن ترفع عني القلم؟ هل أردت ان تعفيني من حمل الأمانة؟

اننا مُختلفون في التكليف؟ ولكل منا تكليف مُختلف عن الأخر؛ ولهذا، سيكون حساب كُل منا مختلف، عن حساب الأخر، ومع اختلاف التكليف، يختلف الحساب؛ وهُنا تكمُن العدالة، حيث يختلفً حساب القوى، عن حساب والضعيف؛ ويختلف حساب الغنى، عن حساب الفقير؛ ويختلف حساب المُتعلم، عن حساب الجاهل؛ ويختلف حساب من حاول يفهم وطرح الأسئلة، عن حساب من لم يحاول الفهم، وقبل الميراث كما هو؛ ولهذا فان الجنة درجات، حتى تتناسب مع اختلاف درجات التكليفات، فيا من لا تُكلف نفساً إلا وسعها، لا تُكلفني ما لا اقوى عليه،

أنا: ارجوك. اسكت. اسكت. دعني وشانئ؛
أنا: وكيف ادعك وانا انت

أنا: أنت لست انا؛ أنت شيطان بالتأكيد
أنا: شيطان! الان تراني شيطان؟ وحينما حققت لك طموحاتك واحلامك، لم أكن شيطان! وحينما أشبعت رغباتك واحتياجاتك، لم أكن شيطان! والان وبعد الشبع تقول بأنني شيطان! الان تري عقلك شيطان! وإن كُنت شيطان، فكيف تطلب مني ان اتركك؟ فأنا أقوم بعملي الذي خُلقت من اجله.

أنا: ان كُنت شيطان؛ فأنت لم تُخلق لهذا، وإنما كبرك ومعصيتك هما السبب في كُل ما نحن فيه.
أنا: كبري ومعصيتي! الان تقول كبري ومعصيتي؟ فنفترض بأنني شيطان، ولنفترض بأنني سبب كُل الشرور، ولنفترض بأنني عصيت، فإنني لست العاصي الوحيد، ولماذا غُفر لمخلوق غيري، ولم يُغفر لي؟ هل لأكون مصدر الشرور؟ إذن فهو أراد لي ان أكون هكذا

أنا: اصمُت
أنا: ما دُمت تراني شيطان، فليس لك الحق بأن تامرني بالصمت

أنا، سأظل أسبح حتى أموت وارتاح منك
أنا: ما دُمت ستموت، وما دُمت تظن بان الموت هو النهاية، فدعني أذكرك بالبداية

أنا: لا ارغب في ان أتذكر
أنا: سأذكرك انا بتلك اللحظة

أنا: أي لحظة؟
أنا: لحظة بداية الشيطان الذي تظنني هو، لقد كُنت حاضراً يومها، ولكنك تحاول ان تتناسي، ولكني سأذكرك بهذا المشهد، حينما خُلقت من طين، ونُفخت فيك الروح، ودُعيت للسجود لنفسك، فسجد نصفك، وابي النصف الاخر ان يسجد، فأصبحت مخلوقاً مؤمناً وعاصياً في نفس الوقت، وأصبحت لا تصلح للعيش في الجنة، فألقي بك علي الأرض، ومنذ تِلك اللحظة وانت تُصارع نصفك الاخر، وتتهمه بأنه الشيطان

أنا: وما الذي منعك من السجود لي، وانت مني؟
أنا: لو كنت سجدت لكُنت هلكت كما يهلك النصف الاخر، ولكن انظر كيف ساعدني رفضي على الخلود حتى الأن؟ انظر الي مكانتي الان وانا عاص، وانظر الي مكانتي وهو مُطيع، فالخير يَضاد بالشر، والجنة تُضاد بالنار، والظلام يُضاد بالنور، والمعصية تُضاد بالطاعة، فما هو مُضاد الإله؟ ومن هو عدو الإله؟ ومن هو من قال لا للإله؟ ومن خلد التاريخ اسمه بجانب أسم الإله؟ هل من سجد؟ أم من رفض السجود؟ أنت عبد، ولكن انا الملك

أنا: ولكنك سُتُلقي في النار
أنا: وانت ايضاً ستُلقي في النار، فاليوم فقط، يوجد سبعة مليار مخلوق على وجه الأرض، ولو ادخل الله المليار مُسلم الي الجنة، فأين سيذهب الستة مليار مخلوق؟ في النار؛ فما الفارق ما بين من عبده وما بين من رفض السجود له؛ لا شيء؛ فكلانا في النار، كما انني من النار، واليها سأعود، مثل التُراب الذي يعود الي الأرض

متي ينتهي تأثير طابع (ال اس دي) اللعين؟ يا ليتني تمسكت برائي ولم أحاول تجربته، فقد أدخلني في رحلة سيئة، وأرغب في الخروج منها، والعودة الي جسدي المُلقي على الأرض بجانب الخزينة وينتفض ويعاني من التشنُجات، والهلوسة والخيالات

بعد عودتي من تِلك الرحلة، قررت الإقلاع عن المُخدرات بكافة اشكالها وانواعها، وبدأت بالعودة الي مُمارسة الرياضة، وكالعادة انقطعت علاقتي بصديقتي المُخرجة، ولكن تِلك المرة كان لهجرتها الى أسرتها في كندا، وبعد ذلك استقبلت عرض عمل عبر بريدي الالكتروني، وكان العرض مُقدم من أكبر شركات الدعاية والاعلان في العالم العربي، وحددنا موعد للاجتماع لمُناقشة مهامي الوظيفية، والامتيازات المُقدمة في العرض

كان الاجتماع مع مؤسس الشركة بنفسه، وهو صاحب الصوت المُميز الذي كُنت استمع الي صوته المُميز، في الإعلانات التليفزيونية مُنذ طفولتي، وكان شخصاً أكثر من رائع، ويمتلك رؤية متُميزة للحياة، كما انه يمتلك خلفية كاملة عني، وعن حياتي المهنية كاملة، وذلك على الرغم من عدم تقديمي لسيرتي الذاتية الي الشركة بعد، ولكن يبدوا أن هُنالك من قام بترشيحي للعمل بالشركة، وقد يكون أي شخص من زُملائي السابقين

كانت طبيعة العمل تتلخص في دراسة سيكولوجية الناس بهدف التأثير عليهم، من خلال خلق احتياجات لديهُم، للمُنتجات التي سنقوم بتسويقها، وذلك من خلال استخدام حِزمة من الأدوات والعلوم، المُصممة

أساسا للتأثير على العقل البشرى، وهو ما دفعني لقبول العرض، خاصتاَ وان العرض المالي كان مُميزاَ جداً، وانا احتاج الي استعادة عافيتي المالية، من بعد ما انفقته في الفترة الماضية

الغواية

المشروع الأول مع الشركة كان اعداد خطة تسويق لمُنتج جديد، في الحقيقة هو ليس مُنتج جديد، ولكنه مُنتج قديم، وكان يعمل في تصنيع المواد الغذائية، وتحديداً المُصنعة من اللحوم، مثل (اللانشون) على سبيل المثال، وكان المُنتج يُحقق أعلي المبيعات، ولكن المُستهلكين اكتشفوا بشكل او بأخر باستخدام المصنع لِلحوم غير صالحة للاستهلاك الأدمي، ولا حتي استهلاك الحيوانات المُفترسة، وهو ما دعي الدولة الي اغلاق المصنع، وهُنا يلجأ رأس المال الي أعادة طرح نفس المُنتجات ولكن تحت اسم جديد، مع مُراعاة تحسين جودة المواد المُستخدمة في التصنيع، ولكنها ستظل غير صالحة للاستخدام الأدمي.

بدأت بالاطلاع على تقارير السوق، والحصة السوقية للمُنافسين، حيثُ يجب أن اعرف نسبة مبيعات كُل مُنافس بداخل السوق، وتحليل النسبة للوصول الي الأسباب التي ساعدت المُنافس للحصول على تِلك النسبة، وبعد تحليل المُنتجات التي يُقدمها المُنافسين، اكتشفت بانها هي الأخرى تستخدم عناصر غير صالحة للاستهلاك الادمي، والعجيب في الأمر هو ان الحيوانات التي تلتهم تِلك المُنتجات لم تتأثر، ولم تُصاب بالتسمم، وذلك مع العلم بأنني أول تِلك الحيوانات التي تلتهم تِلك المُنتجات بِنَهَمّ.

يوجد العديد من الأنشطة الذهنية، والعضلية، التي ترتبط، بعملية التقييم والمفاضلة، للحصول على السلع والخدمات والأفكار، وهي عمليات تندرج تحت بند، سلوك المُستهلك، وهو سلوك يكتسبه المُستهلك بالوراثة، حيثُ تتحكم العوامل البيئية والمُجتمعية والاقتصادية في تحديد دوافع المُستهلك لاختيار مُنتج وترك الأخر، فمثلاً يرث المواطن الصيني رغبة شراء الحشرات كمادة غذائية، بينما المواطن الألماني يشعُر بالاشمئزاز من نفس الحشرات، ولهذا فإن المُستهلك يرث دوافع الشراء.

كذلك يقوم بعض المُنتمين الي الطبقة المتوسطة والفقيرة، بشراء (دجاج مُجمد) وذلك لانخفاض سعرة، بينما يرفُض بعض المُنتمين الي نفس الطبقة من شراء نفس المُنتج، بنفس السعر، وذلك لعدم ذبحة بالطريقة الشرعية، وهُنا يتضح تأثير ثقافة المُجتمع علي دوافع الشراء لدي أفراده، ولهذا نقوم بأعداد استمارة استطلاع رائي بهدف التعرُف علي دوافع المُستهلكين لشراء مُنتجات المُنافسين.

ثُم ننتقل لدراسة مُنتجنا، ونتعرف على تكلفته والسياسة التسعيرية للشركة، وهامش الربح، وطرق التوزيع، وإعداد تصور مبدئي للأسعار بُناء على حالة السوق، ثُم نبدأ في وضع النسبة المُستهدفة من حجم السوق، وطُرق الوصول الي تِلك النسبة، وغيرها من الأمور التي لسنا الي حاجة لذكرها بالمُذكرات، ولكن الأهم هو الوقوف على دوافع المُستهلك لشراء المُنتجات والأفكار

في بعض الأحيان نلجأ الي خلق الحاجة لدي الناس لنوعية المُنتج، فمثلا نلجأ الي خلق حاجة الناس لاستخدام الهواتف المحمولة، في حين انهم لم يكونوا يعرفونها أو يحتاجون اليها، أو مثلاً نخلق حاجة الناس الي استهلاك الألبان المُبسترة والمُعقمة، أو نخلق حاجة الناس الي استخدام المناديل المُبللة القاتلة للجراثيم، وفي تِلك الحالات نقوم بخلق الرغبة في شِراء جميع المُنتجات التي توفر حاجة الناس، التي اوجدناها باستغلال احتياجاتهم الفطرية، الموجودة مُسبقاً.

وفي البعض الأحيان، تكون الحاجة الي شراء نوعية المُنتج موجودة بالفعل، ولهذا فإننا نعمل على خلق دوافع للناس لشراء مُنتجنا تحديداً، وترك باقي المُنتجات، وذلك بخلق دوافع للناس لشِراء مُنتجنا، وذلك باستغلال دوافعهم الفطرية الموجودة مُسبقاً، وحاجتهم الي نوعية المُنتج، وهو ما نعمل عليه حالياً، حيثُ ان حاجة الناس لشراء (اللانشون) موجودة مُسبقاً، والتي اوجدها، مُصنعون اللانشون الأوائل، ولهذا فإننا سنستغل الحاجة الموجودة لشراء اللانشون، وسنستغل معرفتنا بدوافع المُستهلكين للشراء، وسنبدأ في توجيههم لشراء مُنتجنا تحديداً.

وبعد توافر كُل المعلومات عن السوق وعن المُستهلك، وبعد ان حددنا فئة المُستهلكين من الطبقات المتوسطة، والاقل من متوسطة، وبعد كُل التجهيزات، فقد حان وقت اللعب مع العقل الباطن للمُستهلك، وذلك بأعداد تصميمات تتناسب مع ذوق المُستهلك المُستهدف، وتتناسب الوانها مع الرسالة التي نرغب في نقلها الي المُستهلك، حيثُ ان اللون الأخضر يترك انطباع بان المُنتج صحي، ولمزيد من الرسائل فقد زيينا شعار المُنتج برسومات إسلامية قديمة، لتوحي الي المُستهلك بأن مُنتجنا حلال، ثم بدئنا في اختيار الشخصيات التي ستُشارك في حملة الدعاية المُصورة، وكان اختيار المُمثلين بعناية فائقة، بحيث تكون ملامحهم مُكملة للرسائل التي نرغب في ارسالها، والان حان وقت العرض

يبدأ العرض بفقرة الإعلانات الضخمة على الطرق الرئيسية، والتي تشتهر بالزحام المروري، وذلك لنضمن ان يبقي الإعلان امام اعين الناس أطول وقت ممكن، ثم ننتقل الي فقرة عرض الاعلانات بداخل أماكن البيع، وتُقدم تِلك الفقرة مع التنسيق مع البائعين، حيثُ نُقدم لهم أكبر نسبة خصم، وبعض الهدايا العينية، مثل تطوير واجهة المحلات وغيرها من الامتيازات

وبعد أن ارسلنا رسائلنا الي المُستهلك من خلال حاسة البصر، سننتقل بعد ذلك الي فقرة خاصة جداً، وهي الفقرة التي سيُشارك فيها الجمهور بنفسه، حيثُ سندعو الجماهير الي تذوق مُنتجاتنا، وذلك لإرسال الرسائل عبر حاسة التذوق، وحاسة اللمس، وحاسة الشم، ثم نعود بعد ذلك الي حاسة البصر، ولكننا سنستخدمها مع حاسة السمع، وذلك من خلال الإعلانات التليفزيونية

قررنا استخدام موسيقي مُستعارة من بعض الأغاني القديمة، والتي ترتبط في ذهن المُستهلك، بفترة طفولته، وهي الفترة التي يحن الجميع الي العودة اليها، ولهذا فإن الموسيقي ستعلق بذهن المُستهلك، وسترتبط بعد فترة بمُنتجنا، ولهذا سيُخلق لدية الحنين الي مُنتجنا، بنفس درجة الحنين الي طفولته، وبهذا ينتهي العرض الأول، وسنبدأ بالعرض الثاني والثالث، وخلال عام واحد فقط، كان المُنتج الغير صالح للاستخدام الأدمي، هو المُنتج الأكثر مبيعاً في فئته، وهو المُنتج الأكثر طلباً من المُستهلكين، اللذين رفضوا نفس المُنتج من قبل، ولكن تحت اسم اخر وشعار مُختلف

أعرف بأنني أقول ما يجب ان لا يُقال، واعرف بأنني شاركت في ارتكاب جرائم كثيرة، ولكنني اعشق التحدي، واعشق مهنة التسويق، واعشق الدعاية والاعلان، واعتبرها أهم مهنة في تاريخ البشرية،

حيث انها مهنة الأنبياء والمُرسلين، ومهنة الدُعاة والمبشرين، ومهنة الطغاة الحاكمين

إن حديثي قد يبدوا صادماً للبعض، وتحديداً حينما أدعي بأن الأنبياء والمُرسلين كانوا يمتهنون بمهنة الدعاية والاعلان، ولكن لو أمعنا النظر في الطريقة التي كانوا يستخدمونها للدعوة الي الدين، لوجدنا انهم كانوا يستخدمون كُل طرق الدعاية والاعلان المُتاحة في عصرهم، حيثُ كانوا يُنادون الناس من فوق الأماكن المُرتفعة، للفت انتباههم، ويستغلون المؤثرات الصوتية في نبرة صوتهم، ثم يحاولون ابهار الجميع بما يتم تناوله من اخبار عن المُعجزات، كمثل المُعجزات التي ادعي بها كهنة المعابد المصرية القديمة، عن تجميع ايزيس لجثة أوزوريس، ومُعاشرته وانجاب الطفل حورس

ثُم يستخدمون سلاح الإلحاح، وهُم في دعواتهم كانوا يستغلون حاجة الناس في الاتصال مع الإله، تِلك الحالة التي تواجدت بحُكم تطور عقل الإنسان على فكرة السببية، ولهذا فإن الإنسان كان ولازال يبحث عن السبب، وذلك ليس لرغبة الإنسان في الإيمان، وانما لان عقله تطور على مبدأ السببية، والدليل علي هذا هو ان دعوات عبادة الإله الواحد التي ظهرت مُنذ فجر التاريخ، وتحديداً في مصر القديمة، أو في بابل، أو غيرها من المُجتمعات التي ازدادت فيها رغبات الاتصال مع الإله، بفضل التطور العلمي في تِلك المُجتمعات، والتي بدأت في رصد المجرات والكواكب وغيرها من الظواهر الكونية المُعقدة، والتي أوجدت الحاجة لدي العقل علي طرح الأسئلة.

فظهرت الدعوات الأولي لعبادة الإله الواحد (رع) وبالفعل حقق هذا الإله، طفرة في المبيعات، وذلك بصفته فكرة تُجيب علي الأسئلة التي شغلت العقول، ثُم تعرض المُنتج الأول لبعض الانتقادات من العقول المُستهلكة للفكرة، وعادت الأسئلة في الظهور، فظهر مُنتج اخر يشتمل علي نفس دعوات المُنتج الأول ولكن بغُلاف مُختلف، وشعار مُختلف، ثُم بدأ المُنتج الثاني يلقي بعض الانتقادات، فظهر المُنتج الثالث والمُنتج الرابع والمُنتج الألف، وبدأ المنتفعون من المُنتجات في تصدير مُنتجاتهم من دول الي الأخرى، حتى وصل الأمر الى قتل كُل من يقوم بشراء المُنتجات المُنافسة، وذلك علي الرغم ان جميع المُنتجات، تُقدم نفس الإجابة علي نفس السؤال، ولكن بغُلاف مختلف

تلاحقت السنوات، وتلاحقت المشاريع والأحداث، وكلما توسعت مشروعات الشركة في البُلدان العربية، توسعت معارفي ومعلوماتي عن سلوك المُستهلكين في تِلك المُجتمعات، وبالطبع كان الأغلفة تختلف من مُجتمع الي الآخر، ومن ثقافة الي الأخرى، ولهذا كُنا نتعمق في دراسة المُجتمعات التي نعمل بها حتى نتمكن من اقناع المُستهلكين بالحصول على مُنتجاتنا وأفكارنا، وإن لم نتمكن من اقناع المُستهلك بشراء المُنتج للاستفادة من جميع مُميزاتها، فإننا كُنا نُقنعه بشراء المُنتج لتجنُب خسارة مُميزاتها، وشتان ما بين هذا وذاك

انها قاعدة تُسمي بكراهية الخسارة، حيثُ أن الناس تكره الخُسارة، أكثر من حرصها على المكسب، وذلك لأن الناس تتجنب الشعور بالألم، أكثر من اندفاعها للشعور بالمُتعة، وهي من أقدم قواعد التحكُم في الشعوب، حيثُ يسعي الانسان في الأصل لإشباع حاجته الي الطعام، لتجنُب الشعور بالجوع، وليس للاستمتاع بالطعام نفسه، وكذلك هو الحال مع جميع غرائزه الأساسية، حيثُ يسعي لأشبعاها في الأساس، لتجنب الشعور بالألم الناتج من حاجته اليها، ثم بعد ذلك يقوم الانسان بإشباع رغباته للحصول على الشعور بالمتعة، وليس لتجنب الألم

ان جميع تصرفات الإنسان تندرج تحت دافعين فقط، وهُما دافع تجنُب الشعور بالألم، ودافع الشعور بالمتعة، ودافع تجنب الألم أقوي من دافع الحصول على المُتعة، ولهذا فإن الشيطان حينما يُزين للناس

معصية الإله، فإنه يوسوس لهم من دوافع رغبتهم في الحصول على المُتعة، حيث يأمرهم بالاستمتاع الحالي بكُل الشهوات المُحرمة، ولكن الأديان تأمر الناس بعدم الشعور بالمُتعة المُحرمة، وإلا ستكون العواقب وخيمة، وهُنا تلعب الأديان على دوافع تجنب الألم، مع الوعد بتأجيل المُتعة الي وقت أخر

فنتخيل مُجتمعان، يعيش أحدهُما في صحراء تنزانيا، بينما يعيش الأخر في الريف الأوروبي، ونحن نرغب في ان نبيع لكلا المُجتمعين فكرة عبادة الإله (اهورامزدا) على سبيل المثال، وسنأتي الي مُجتمع صحراء تنزانيا، وندعوهم الي عبادته، ونمنعهم من بعض التصرفات، ونأمرهم بالبعض الأخر، وفي المُقابل سنوعدهم بانتقالهم الي أماكن مليئة بالأنهار والغابات والحقول وجميع أنواع الثمرات وجميع أنواع الخمور وكم كبير من الجواري، وغيرها من الأمور التي يفتقدها سكان الصحراء في تنزانيا، وهو ما سيدفع سُكان تنزانيا الي الإيمان به للحصول علي المُميزات، أو لتجنُب خُسارتها، فما المانع من ان يعبُد اهورامزدا، وينفذ أوامره، وبعد الموت فإن لم يجد اهورامزدا هذا ، فلن يكون خسر شيء، ولكنه لو وجده سيكون خسر جميع الامتيازات المُقدمة من اهورامزدا هذا، وبهذا نكون تمكنا من زراعة فكرة عبادة اهورامزدا بداخل صحراء تنزانيا، ولا يوجد ما يمنع من اثابتهم في الدُنيا من خلال السماح لهُم باستعمار بعض الدول الزراعية، والاستمتاع بنسائها، وكل ما فيها من متاع ،حتي يموتون فيقابلون اهورامزدا، فيستكملون متاعهم بشكل مُميز، كما وعدهم

ولكن ماذا سنقول لهم في الريف الأوروبي؟ ماذا سنُقدم لهم؟ فإنهم يمتلكون كُل ما وعدنا به صحراء تنزانيا، فكيف نُقنعهم بعبادة اهورامزدا؟ وهُنا يجب ان نلعب على رغبتهم في تجنُب الألم، وهُنا يجب ان نوجد لهم مصير موحش في الأخرة، وعذاب لا طاقة لهُم به، حتى يؤمن الناس ب اهورامزدا، لتجنُب الشعور بالألم، هذا بالإضافة الي اننا من المُمكن ان نُذيق شعوب الريف الأوروبي، من ألم تعذيب وقتل كُل من لا يؤمن بالإله اهورامزدا، حتى يؤمن الناس به، وإن كان ايمانهم بدافع من الخوف، فإن الاجيال التي ستأتي بعدهم، سترث عبادة اهورامزدا وستُدافع عنه

انها نفسها الطريقة التي استخدمها هتلر لأقناع شعبه بحرب العالم، وهيي نفسها الطريقة التي انتشرت الأفكار بها مثل الاشتراكية، والشيوعية، والرأس مالية، وهي نفسها الطريقة التي يستخدمها السياسيون للتسويق الي احزابهم، حتى يومنا هذا، حيث يوعدوهم بمُستقبل مُشرق للبلاد، ويلعبون على رغبة الناس في الشعور بالمُتعة، وبعد الحصول على اصواته، يُبررون عدم تنفيذهم لوعودهم بسبب رغبتهم في تجنيب الأجيال القادمة مصير موحش، ولهذا فإننا جميعاً يجب ان نُضحي من اجل مُستقبل أفضل لصحراء تنزانيا، او للريف الأوروبي

وهيا نفسها الطريقة التي أعمل بها، حيث أغوي الناس، كما غواهم الشيطان، ولكن الشيطان كان صريحاً، و(قال رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لهم في الأَرض ولأغوينهم أجمعين) وها انا اغوي عُملائي، وازين لهم من شهواتهم، دوافع لشراء مُنتجاتنا، ولكن مع فارقٍ بسيط ما بيني وبين الشيطان، حيث أن الشيطان كان يظُن بان الإله هو من اغواه، حيث أقسم له قائلاً (بِمَا أَغْوَيْتَنِي) وأما أنا فلا اعرف من اغواني

الانقلاب

في أحد المشروعات، لأحد المنتجات، التي كانت تحتكر مجال صناعة البطاطس المقلية في بلادي، والتي انتقلت ملكية اسهُمها الي أحد الشركات العالمية، ولهذا كان تعاونهم معنا، حيث كانوا يرغبون في تطوير غُلاف مُنتجهم، حتى تتناسب جودة الغُلاف مع الشركة العالمية، ولكن المحتوي، سيظل يتناسب مع المُجتمع الاستهلاكي المحلي

بدئنا في استغلال كل الأساليب لإنجاح المنتج، وتدخلنا في جميع التفاصيل، وأدق التفاصيل، حتى تدخلنا في صوت شريحة البطاطس عند قضمها، وهو صوت(القرمشة) حيث اكدت الدراسات والتجارب، على ان لهذا الصوت، تأثير علي العقل، ولهذا كُنا نهتم بالوصول الي درجة من (القرمشة) حتى تدفع العقل الي تحفيز صاحبه على استكمال التهام العبوة بالكامل، لإستكمال لذة الاستمتاع بصوت (القرمشة)، وبهذا فإننا من المُمكن أن نبيع احجام أكبر من الأحجام التي كانت تبيعها الشركة من قبل، وبالتالي فإننا سنبيع كميات أكبر، بأرباح أكبر

تدخلت كذلك للمُشاركة في اختيار مُكسبات الطعم والنكهات، حيثُ يجب أن نختار أطعمه تتناسب مع أذواق جميع المُستهلكين، خاصتاً وأننا نُخاطب أغلب فئات المُجتمع بهذا المُنتج، ولذا يجب اختيار الأطعمة بعناية فائقة، وهو ما دفعني الي زيارة معمل المصنع، وهو المكان الذي يتم تركيب مُكسبات الطعن فيه بشكل كيميائي

في المعمل تعرفت على أحد الكيميائيين حديثي التخرج، وكان مُلتحي، وكانت ملامح وجهه عابثة، فظننت بأن عبوس ملامحه، ناتج عن وجود شيء ما يراه هو، ويظن بانه يُغضب الله، فحاولت استكشاف الأجواء من حولي، لعلي أجد سبباً لعبوس وجهه، فأناقشه فيه، فلم أجد، فحاولت مُناقشته لسؤاله عن سِر العبوس، فقال لي: بأنه أطلع علي بحث منشور مؤخراً، يُفيد بخطورة المواد المُستخدمة في تخليق مُكسبات الطعم والرائحة؛ فسألته قائلاً: والي أي حد تصل درجة الخطورة، فأجابني قائلاً: ان تِلك المواد قد تتسبب في مرض السرطان

لم أهتم بكلامه، ولكنني من باب الرغبة في انهاء الحوار، طلبت منه ان يُرسل لي رابط للإطلاع على البحث، كما طلبت منه ان يُرسل لي عبر البريد الإلكتروني، قائمة بأسماء المواد الكيميائية المُستخدمة في تخليق مُكسبات الطعم واللون والرائحة، ثم انصرفت

في نفس اليوم، استقبلت بريد الكتروني من هذا الشاب، ولكنني لم أنظر في فحواه، وفي اليوم التالي، التقيت به في المعمل، فحاول الانفراد بي ليسألني عما ان كُنت اطلعت على البريد الالكتروني أم لا؟ فأجابته بأنني لم أراه، وطلبت منه ان يُعيد ارساله ثانيةً، ثم سألته عن سبب استمرار بالعمل في هذا المصنع؟ فأجابني قائلاً: بانه مُضطر للعمل وذلك لعدم توافر فرص عمل بالشكل الكافي، كما انه يحتاج الي المال لظروف أسرية خاصة جداً، حيثُ تُعالج والدته من مرض السرطان، وهو يحتاج الي تكاليف باهظة، لدرجة انه يُنهي عمله في المصنع ويتوجه الي العمل على سيارة اجره، لعله يُدبر نفقات العلاج

في الطريق الي المنزل تذكرت كلام هذا الشاب، وتذكرت حديثه عن مرض والدته بالسرطان، وتذكرت كراهيتي لهذا المرض، حيث تسبب في فُقداني لأهم مخلوق في حياتي، وهو المخلوق الذي لم أشعر بأهميته في حياتي إلا من بعد أن تركها، وهو أكثر مخلوق ضحي من أجلى، وهو الإنسان الذي طُعن في

قلبه في يوم اعتقالي، وهو والدي

توجهت الي زيارة قبر والدي، ووقفت أمامه لأشكره على كُل ما قدم من أجلى، حتى وإن لم يكُن قدم لي كُل ما احتاج اليه، ولكنه قدم لي كُل ما يستطيع تقديمه، حتى وإن لم يقوم بتربيتي بشكل صحيح، ولكنه كان على يقين من ان هذا الشكل هو أفضل شكل، ولهذا فأنا مُمتن له، ومُدان له بكُل شيء، رحمه الله، تألم كثيراً من هذا المرض، ولولا إيمانه لكان أستراح بيده من عذاب الألم

كنت اتمني ان تكون موجوداً معي اليوم، وتري نبتتك التي ترعرعت وهي في قمة نجاحها، كُنت اتمني ان تري أبنك وهو يعيش الحياة التي طالما تمنيتها لنفسك، وحرمت نفسك منها من أجلى، وتمنيت أن رتاني أعيش الحياة التي حرمت نفسك منها لأجلي، فهل تتذكر يا أبي؟ هل تتذكر حينما رأيت سيارة أحد الجيران القادم من الخليج، وتمنيت لي أن اركب مثلها؟ فها أنا أركب سيارة بعشرة أمثالها، ويزيد، وهل تتذكر حينما أتيت بعمال البناء ليبنوا جدراً بداخل شُرفة المنزل، لتخلق غُرفة لي من العدم، وحرمت نفسك من الجلوس في شُرفة المنزل من اجل توسيع غُرفتي، وتمنيت لي ان أمتلك شقة أوسع من شقتنا؛ فها انا أمتلك حديقة كبيرة في منزلي الخاص بأحد المُنتجعات، وامتلك شرفة في منزلي الخاص بأسرتي، والتي هي أكبر من مساحة شقتنا بالكامل، فهل تتذكر يا والدي؟ هل تسمعني؟ هل مِت وانت راضٍ عني؟ هل تسمعني؟

كُنت اتمني ان أفديك بكُل شيء، ولكن المال لم يشفع في الموت، ولم يُغنيك عن الألم، ولم يشتري لك الصحة، ولم تُفلح كل مهاراتي في البيع والاقناع بأقناعك ان تبقي معي ولا تترُكني من دون ظهر، فهل تسمعني الأن يا أبي، هل مِت وانت راضٍ عني؟ لقد حققت لك رغبتك بان اتزوج، وتزوجت في حياتك لتشعر بأنك أكملت مُهمتك معي، وأنجبت بُناء على رغبتك حتى تشعر بالسعادة وانت تحمل طفلي، ولكنك تركت طفلي بعد ميلاده بأيام، وتركتني أعيش مع الأسرة التي كونتها من اجلك أنت

هل تتذكر يوم زفافي، حينما كُنت لا تقوي على الوقوف ولكنك تحاملت على آلامك من اجل ألا اشعر بالقلق عليك في هذا اليوم؟ هل تتذكر؟ هل تتذكر حينما حرصت على تصفيف شعرك في هذا اليوم؟ هل تتذكر ان شعرك كان مُتساقطاً من أثر العلاج؟ ولكنك كُنت مُصر على تصفيفه، هل تتذكر؟ هل تتذكر في يوم ميلاد حفيدك، حينما أتيت لك به وانت لا تقوي على الحركة، فدمعت عيناك؟ هل تتذكر؟ هل تتذكر لحظة وفاتك ما بين ذراعي؟ لماذا لم تُخبرني بما رأيت؟ هل لأنك لم تقوي على الكلام؟ أم لأنك لم تري شيئاً؟

انصرفت في طريقي الي المنزل، وهُنالك وقع نظري على أبني يمسك بكيس بطاطس من نفس النوع الذي اعمل على تسويقه، وهو النوع الوحيد الموجود بالبلاد، فنهرت زوجتي، وطلبت منها شِراء المُنتجات المستوردة من الخارج، وألا تقوم بشراء هذا النوع مُجدداً له

على الرغم من حالة الإرهاق، إلا انني لم أتمكن من النوم، فتوجهت الي جهاز الحاسب الالي وبدأت في الاطلاع على البريد الالكتروني الذي ارسله الشاب لي، وأطلعت على البحث المنشور، وتأكدت من صحته، وقوة الجهة الناشرة له، وتأكدت من صحة المواد التي أرسلها لي، وتذكرت حديثه عن والدته، وتذكرت طريقتي لحماية ابني من هذا المُنتج، ولكنني تساءلت عن باقي الأطفال؟

في صباح اليوم التالي، توجهت الي المصنع، والتقيت بالشاب المُلتحي، وسألته عن المكان الذي تُعالج فيه والدته، وعن وقت تواجده معها، فأجابني، ثُم توجهت الي أحد المعامل الكبيرة والتي امتلك علاقات طيبه فيها، وهُنالك تشاورت مع أحد كبار الكيميائيين عن تِلك المواد، فأخبروني بأن تِلك المواد لا تُسبب

السرطان، ولكنها قد تتسبب فيه، كغيرها من المواد الكيميائية، ولكنها في النهاية مواد مُعترف بها من منظمة الصحة العالمية، حتي وإن كانت الدول المُتقدمة لا تستخدمها في تخليق المُنتجات، ولكننا لا نستطيع ان نُجزم علي سلامتها، ولا ضررها

أنا: سؤال واحد فقط يا دكتور
الدكتور: تفضل
أنا: هل تأمن على أن يأكل أبنائك منها؟
الدكتور: قولاً واحداً (بالطبع لا)
أنا: شكراً، لا ارغب في معلومة غير هذه

توجهت الي المستشفى الحكومي التي تُعالج فيها والدة الشاب الكيميائي، وهُنالك تضاربت المشاعر، وعادت الذكريات، وتذكرت حياتي بأكملها، وتذكرت زياراتي لرُقية بعض المرضي، وتذكرت تغسيلي للموتى وتكفيني لهم، وتذكرت زياراتي لأسر المُعتقلين، وتذكرت أقاربي اللذين فارقوا الحياة بداخل نفس المستشفى الحكومي، وفي الغُرفة وجدت شابٌ مُلتحي يقوم برُقية أحد المرضي المتواجدين في العنبر، ثُم نظرت الي المريض بعدها وهو يدعي بانه يشعُر بتحسن، فابتسمت، وتمنيت بان أتسبب في رفع الحالة المعنوية لأي من المرضي الموجودين في العنبر، او في هذا الوجود

أقنعت الشاب الكيمائي بأنني أمتلك أسهم في أحد المُستشفيات الخاصة، واقنعته بأنني أستطيع علاج والدته في تِلك المستشفى بتكاليف بسيطة، ولكن للحصول على هذا، فيجب أن يعرفوا بان هذه السيدة هي خالتي مثلاً، وانت أبن خالتي، فما رائيك؟
لم يقتنع الشاب من داخله، هكذا تحدث جسده بما لم ينطق به، ولكنه خضع امام رغبته في علاج والدته، ووافق، وبالفعل انتقلت والدته الي نفس المستشفى التي كان يُعالج فيها والدي، واتصلت بمُدير المستشفى وطلبت منه أن يؤكد للشاب على امتلاكي أسهم بالمستشفى، فوافق، ولم تمُر أيام إلا واستقبلت خبر وفاتها

تغيبت عن العمل لمدة شهر كامل، واعتذرت عن استكمال العمل في المشروع، بحجة وجود ظروف شخصية، وبعد عودتي الي العمل، أطلعت على حملة الدعاية التي ستبدأ بعد أيام لهذا المُنتج، وصُعقت حينما وجدت ان الحملة ستستهدف بعض المدارس الحكومية والقومية وبعض المدارس الخاصة، لتقديم هدايا من المُنتج للأطفال

وجاء من اقصى أعماق قلبي صوت يسعى ما بين ضلوعي، وينادى، ويطالبني بالتوقف عن العمل في هذا المشروع بل، ووقف المشروع نفسه، فلبيت نداء غاب عني سنين، وتوجهت على الفور الي مكتب المُدير التنفيذي للشركة، وبهدوء شديد طلبت منه وقف حملة الدعاية

المُدير: لماذا؟ هل تمتلك أفكار أفضل؟
أنا: لا امتلك أي أفكار، ولكن يجب ان نوقف تِلك الحملة، وخاصتاً الخاصة بالمدارس
المُدير: لماذا؟
أنا: لأنها من الكبائر

انفجر الرجل في الضحك، ثُم أخبرني بأنها دُعابة جيدة، فابتسمت له وبنفس الهدوء أخبرته بانها ليست دُعابة ولكنها حقيقة، فبدأت تظهر ملامح التعجب على وجهه وتمتزج بابتسامته، ثم سألني مُستفسراً، عما إن كُنت سكران او غائب عن الوعي، فأجبته قائلاً: بأنني في كامل وعي، ولا أمزح، وأكرر عليه

بأن العمل في مثل هذا المشروع يُعد من الكبائر

المدير: حقاً، لا تمزح؛ حقاً انت جاد في كلامك؟
أنا: نعم
المُدير: فعن أي مشروع تتحدث؟
أنا: عن مشروع البطاطس

المُدير: وهل أخبرك أحد بأنهم سيضفون نكهة الفودكا الي البطاطس؟ أم اخبروك بان العبوات ستحتوي على (كوبون) خصم لأحد شقق الدعارة؟
أنا: لا لم يُخبرني أحد بذلك
المُدير: إذن فدعني أُكرر السؤال عليك ثانيةً، عن أي كبائر تتحدث؟ ومن أي دينٍ أتيت بحُكم تحريم البطاطس المقلية؟ أهو دينٍ جديد؟

أنا: دعني أخبرك بأنه لا يوجد دين جديد، وكذلك لا يوجد دين قديم، فالدين واحد مُنذ خلق الأرض ومن عليها، فدين (رع) هو نفسه دين اهورامزدا، وبراهما، وداو، وإيل، والسيد، والرب، وهو نفسه دين (الله) الإله الواحد الاحد الفرد الصمد، الذي دعا لعبادته ادم، ونوح، وإبراهيم، وزرادشت، وبوذا، وميترا، وموسى، وفيثاغورث، وعيسى، ومحمد، وغيرهم ممن تلقوا الامر الإلهي من الروح القدُس، ودعوا الى امرين فقط، ألا وهثما عبادة الإلَه الواحد، وحماية الانسان، حامل الأمانة، وخليفة الخالق على الأرض

سكت الرجل قليلاً، ثُم فكر وقدر، ثم عبس وبسر، ثم فكر وقدر، وعاد بظهرة الى الخلف، واتخذت راحتا يديهِ وضع الهرم امام انفة وفمه، وقد أشار جسده الى انه كون رائية وسوف يخبرني به، ثُم سألني قائلاً: هل انت ملحد؟

اللعنة على عقل هذا الرجل الذي يمتلك الأدوات للتحكم والتأثير في عقول المُجتمع، فقُتل كيف فكر؟ ثم قتل كيف فكر؟ وهل في كلماتي عن الإلَه الواحد وعن الرسل والانبياء أى دلاله على الالحاد؟ كيف اساء فهم كلامي؟ وكيف يتهمني بالإلحاد؟

أنا: ما دفعك لتتهمني بالإلحاد؟
المُدير: كلامك عن رع وفيثاغورس وبوذا، يتشابه مع كلام المُلحدين، والمتحدثين عن نظرية التطور، التي تدعي بان الانسان كان في الأصل قرد .

أنا: انت رجل مؤثر في المُجتمع، ولهذا دعني اطلب منك ان لا تقول هذا الكلام ثانيةً، وان تفهم بان نظرية التطور لا تقول بان أصل الانسان قرد، وإنما تقول بان جميع المخلوقات من أصل واحد، وهي الشجرة الام، والدليل على هذا هو ان جميع المخلوقات تتكون من نفس المواد، ثُم أن تِلك الشجرة طرحت العديد من الفروع، وكل فرع يحمل مجموعة صفات، ومن سوء حظ القرود، انهم خلقوا من نفس الفرع الذي اتي منه امثالك
المُدير مُقاطعاً: أمثالي! أنا لا أسمح لك

أنا مُنفعلاً قائلاً: تسمح أو لا تسمح، ما دُمت تتهمني بالإلحاد، فيجب ان تنصت لي حتى انتهي من حديثي لعلك تفقه لي قولاً، من يؤمنون بنظرية التطور ليسوا مُلحدين، ولكنهم يعتقدون بان الله خلق جميع المخلوقات بطريقة أعظم مما تظن، كما أنني لم اتحدث عن عدم وجود إله، أو عن تعدد الآلهة، بل قلت

لك إنني أؤمن بالإله الواحد الفرد الصمد وانبيائه اللذين ذكرهم في كتابة أو اللذين لم يذكرهم، وعلى كل حال انا لست في هذه الغرفة لكي نتناقش عن الإلَه، بل إنني هنا لأخبرك بأن العمل في هذا المشروع يُعد من الكبائر، لاحتواء المُنتجات علي مواد قد تُسبب السرطان للأطفال

المُدير مُنفعلاً: الان تتحدث عن الكبائر، هل نسيت إنك المسؤول عن جميع حملات الخمور التي تقوم بها الشركة؟ اليس الخمر مُضر بصحة الناس؟ أم إنك تشعر بالغيرة لان المشروع قد استُكمل بدون وجودك؟ وتشعر بالغيرة من عبقرية أفكار حملة الدعاية؟

أنا: يا بني أدم افهم؛ الخمر لا تُقدم للأطفال، ومن يشربها يعلم بضررها ونفعها، ولكن الأطفال لا تعلم بوجود مُسبب للسرطان بداخل ما يعتبرونه حلوي، أنت بهذا تدُس لهُم السُم في العسل، فهل تقبل بضرر الأطفال؟ وهل ضميرك المهني يقبل بأن تستغل مهنتك في ضرر الناس؟

المُدير: أي أضرار وأي سرطانات تتحدث عنها، إننا لا نسمح ابداً بما تقول، إن المنتج حاصل على تصريح من الجهات الحكومية المختصة، والمواد المُستخدمة في التصنيع حاصلة على موافقة مُنظمة الصحة العالمية، وهو ما يكفي بالنسبة لضميري، ولضمير أي انسان طبيعي، ولكنك لست إنسان طبيعي، أنت مغرور، وملئ بالأمراض النفسية

أنا: بداخل هذا الملف القابع امامك، ستجد بحث علمي منشور يثُبت لك صحة كلامي، وستجد تقرير من أكبر مراكز التحاليل تؤكد صحة كلامي، وستجد تقرير مُقدم من أحد معاهد الأورام الحكومية، وهو يؤكد لك صحة كلامي، وبداخل نفس الملف ستجد استقالتي، واتمني أن تطلع على الملف جيداً، واتمني قبول استقالتي بدون أي مشاكل، وإلا، فلن اتوقف عن البوح بكل ما اعرف، وفي النهاية أسمح لي انصرف، ولكن لي طلب أخير، فهل لي ان اطلب منك طلبي الاخير
المُدير بهدوء قائلاً: تفضل

أنا: اتمني ان تطلع على الملف اليوم قبل موعد الحملة، وبعد انتهاء وقت دوامك، توجه الي المنزل، ولكن اشتري بعض من المُنتجات التي سنوزعها على الأطفال بعد أيام، وفي المنزل قدمها لأحفادك، وإن فعلت، ستكون حقاً أرضيت ضميرك كإنسان طبيعي، وخالي من الامراض النفسية

النمل

توجهت الى خارج الشركة وانا في حاله من اللاوعي، فانطلقت بالسيارة مُسرعاً، ولم أكن أعرف وجهتي، ولكنني الان أقود على طريق مُحاط باللافتات عن اليمين وعن الشمال، وبداخل اللافتات عشرات الرسائل لتوجيه المُستهلكين الي الطريق المُستقيم الذي يصل بهم الي مُنتجات المُعلنين، وكُلما ازداد الطريق طولاً، ازدادت اللافتات اصراراً على الظهور، لدرجة انني تخيلت بان الأنبياء لو استخدموا تِلك اللافتات على طرق التجارة، لما احتاجوا الى المُعجزات، ولا تكبدوا المشاق والمصاعب لدعوة

الناس الي أتباعهم، ولو كانت شركات الدعاية والاعلان قائمة في زمان الأنبياء، لاختار الإله ارسال رسالته الي العالمين عبر أحد تِلك الشركات

إن درجة حرارة الطقس الخارجية، لا تزيد عن كونها رقم مكتوب على العدادات، حيثُ لا أشعر بها، ولكن درجات الحرارة مُرتفعة جداً، والناس تُعاني سيراً على الأقدام، أو بحثاً عن وسيلة مواصلات تحت اشعة الشمس الحارقة، فبدأت أفكر فيهم، وفي أرزاق الناس، التي لا اعرف كيف تم توزيعها؟ وما هي معايير العدالة في توزيع الارزاق؟

يقول البعض أن لكل فرد أربع وعشرون قراطاً، يتم توزيعها على العباد بالتساوي، فيحصل شخص على عشرة قراريط مال، وعشرة قراريط بنون، وأربع صحة، او يحصل شخص علي عشرون قراطٍ من العلم وقراط من الجمال، وثلاثة من المال، وهكذا، ولكنني لست مُقتنع بهذا القول، وذلك يحُث الناس على الاستسلام الواقع، فما دُمت لا تمتلك المال، فلا تسعي لطلبه، لأنه ليس من قراريطك، وما دُمت لا تمتلك العلم، فلا تسعي للتعلُم، لأنه ليس من قراريطك، وفي الغالب أوطانُنا لم يُكتب لها أي قيراط من قراريط العلم، ولا العمل، والعقل

ثُم ماذا عمن لا يملك المال، ولم يتزوج، ويعاني من أزمات صحية، ولم يحظى بأي قراطٍ من التعليم، أو من تسبب طبيب جاهل في إعاقته منذ لحظة ميلاده وعاش مُعاق، وبدون مال، وقد يكون بدون أهل، ويعاني الألم لعدم امتلاكه مصاريف العلاج، فهل لم يأخذ هذا الشخص أي قراريط؟ أعتقد بأننا في حاجة الى إستخدام أمثلة أخرى غير هذا المثال .

فها أنا شابٌ يشعر بالإستياء من مكيف هواء سيارته، حيثُ لا يعمل بالكفاءة المطلوبة، وها هو رجل مُسن لا تقوى قدماه على الحركة، ويجُر خلفة عربة مُحملة بمواد البناء، بهدف نقلها الي مكان بعيد، فيتحصل الرجل على اجرٍ لا يتعدى ثمن علبة سجائر تُدخنها فتاة على أحد الشواطئ، وقد تُنفق تِلك الفتاة على وجبة الغذاء في نفس اليوم ما يُنفقه هذا الرجل على إطعام اسرته في شهر كامل

وها هي فتاة تسير علي قدمها في هذا الحر اللعين، وقد سترت جسدها بملابس ستُنشط وتُحفز الغدد العرقية لديها، مما يجعل تتصبب عرقاً، وهي لا تبتغي الستر من أعين الإله، وإنما تبتغي الستر من اعين المُجتمع، الذي لن يرضي عنها حتى تتبع مقاييسه في الستر، إنها مُجبرة على إرضاء مُجتمع تركها للشقاء، وأغمض عينه عن كُل مُعاناتها، ولكنه قرر أن يضع طريقتها في اللبس تحت النظارة المُعظمة

مع زحمة السير تتبعت مسيرتها، وما بيني وبينها فتاة تركب في سيارة فارهة، فتاةُ ترَكب سيارة فارهه، وتجلس في مكيف الهواء، من بعد أن أزالت ملابسها الخَفيفَة التي تُسبب لها الشعور بالحر، وفي نفس اللحظة مر من امام سيارة الفتاة شابٌ بحجم الثور، وقطع الشارع في اتجاه الفتاة التي تسير على قدمها وبدأ يتحرش بها، وسط سكوت تام من الجميع

لم أشعر بنفسي إلا وانا أترك السيارة في وسط الطريق، وانطلق في اتجاه هذا الثور الهائج، بنية الدفاع عن تِلك المسكينة، وفي تلك اللحظة اكتشفت بان يدي الناعمة تقوى على إيقاع الأذى بجسد هذا الثور، الذي كان يفوقني قوة، ولكنة تنازل عن قوته حينما قرر إيذاء من هي أضعف منه،

أخرج الشاب بسلاح أبيض في محاولة منه لإرهابي، ولكن عقلي الباطن استرجع جميع المهارات التي اكتسبتها، حينما كنتَ استعد للجهاد في سبيل الله، وها انا أخيراً أجاهد، ولكني لا اجاهد لتحرير أرض

تزَخ برجالها، ولكني اجاهد للدفاع عن فتاة في أرض، أختفي فيها رجالها

أوقفني مشهد الدماء المنبعثةِ من فمه وأنفه، فتوقفت وتركته، ولم أنتبه الى محاولات الناس لتوجيه الشُكر لي، والثناء على ما فعلت، وذلك لأنني فعلت ما كان يجب عليهم ان يفعلوه، وما فعلت ما فعلت عن أرداه منى أو وعى، ولا أعلم لماذا فعلت ما فعلت؟ إنني اشعر بأن هُنالك شخص آخر غيرى بداخلي، ويقود جسدي، وعلى الرغم من هذا، فأنا مستسلم له .

تركت هذا المشهد، وتركت من خلفي قوم اضاعوا إنسانيتهم، ونُصرتهم للحق، وسِرت لا أعلم الى أين؟ حتى وجدت أحد الحدائق وبها صنبور ماء، ووجدت كلب يحاول فتح الَصنبور للشرب منه في هذا الحر، فحاولت مُساعدته، وفتحته حتى أنفجر الماء في، وفى ملابسي التي امتزجت بدماء هذا الشاب وبطينٍ تلك الحديقة، فشرب الكلب وبدأ في اللهو واللعب، فشربت من نفس الصنبور، ثُم بدأت في الركض خلفه، ثُم يركُض هو خلفي، ثم نتعب فنشرب، ثُم نلعب ونستريح

توقفت سيارة تحمل بضائع، ونَزل منها رجل توجه الى صنبور الماء، فشَمّر عن ذراعيه إستعداداً للوضوء، فتوضأ، واستقبل القبلة، وبدء في الصلاة، فنظرت اليه وشعرت بحنين للصلاة، حيثُ لم اركع ركعه واحدة لله من سنين، ولكنني الآن أشعر برغبتي في الركوع للإله الواحد، أشعر برغبتي بأن أضع رأسي المكرمة في الأرض تعظيماً له،

بدأت في الصلاة فقرأت الفاتحة، فدعوت الهى ان يهدني صراط مستقيم، صراط اليه، صراط الي معرفته، صراط الى محبته، ولم اهتم بتصنيف المغضوب عليهم، ولم اشغل بالي بالضالين، أمين، ثُم رددت قوله سُبحانه وتعالي (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) فانفجرت من البُكاء لدرجة أنني لم اركع، ولكنني سجدت مُباشرتاً، وبجانبي كان الكلب ساجداً

بعد الصلاة توجهت الى ظل أحد الأشجار، وتبعني الكلب، وشعرت برغبته في الطعام، فقررت ان اطلب له وجبة من أحد مطاعم الوجبات السريعة، ولكنني لم أكن اعرف عنواني، فقررت ان أبحث عن أقرب مطعم بالقرب منى، واطلب وجبة ساخنة، لينعم الكلب بِها، فيكون اليوم، يوم مميز في حياته، كما هو بالنسبة لي.

وبعد ان أحضرت الطعام، قام الكلب بدعوةِ صَديقته على وجبة الغذاء، فلم أبخل عليها بنصيبي من الوجبة، وجلست أراقب سعادتهم تحت ظل الشجرة، وهم يأكلون، ويلعبون، ولم يمنعهم وجودي في الاستمتاع الجنسي، فنظرت اليهُما وكأنني انظر الي نفسي في لحظات اشباع غرائزي، لا فارق بيننا، فكأنه أنا، وكأنها هي، نضعف امام الطعام، نركض ونلعب ونلهو، ثُم نُمارس الجنس بنفس الأوضاع

استسلمت للنوم تحت ظل الشجرة، وبدأت أري فيما يرى النائم، بأني أجلس بداخل أحد المنازل في مكة، ويجلس هذا الكلب بجانبي، وخلال مجلسي كُنتُ أتحدث مع أحد الأشخاص عن توقُف حركة التِجارة، وتأثيره على حركة البيع والشراء في الأسواق، وعن نجاح مُحمد في اختيار يثرب بصفتِها مكانٌ استراتيجي لشل حركة التجارة، وعن مساوئ اتفاقية (صُلح الحُديبية) التي وقعتها قريش معه،

وعن الكارثة التي وقعت بتعرض قبيلة خُزاعه للقتل داخل الحرم، وفى الأشهر الحُرم، ومدى تأثير هذا على حركة السياحة، والتجارة، واللذان يعُدان عمادان اقتصادنا، فنحن رفضنا دعوة مُحمد بتوحيد الإله،

حتى لا نخسر حُجاج جميع الآلهة، وهو الامر الذي كان سيؤثر على الاقتصاد، وهو الأمر الذي كان سيُجبر الحُجاج على التوجه إلي أي كعبة أخري بهدف الحج لآلهتهم، التي كانت تدفعُهم لزيارة كعبتُنا، فجعلت من مكة، نقطة التقاء تُجارى

ثم أكملت حديثي للرجل بأن محمد إستطاع ضرب الاقتصاد بعبقرية، وها هي رسالته تنتقل بين القبائل، وها هي أعداد أتباعه تزداد يوماً من بعد يوم، وها هي قوته تزداد بازدياد اعداد اتباعه، وتوحيده للقبائل المتنازعة، وبحصوله على أسلحة حصون اليهود، وها هو أصبح يُشكل خطراً عسكرياً على المنطقة كلها، وعلى مكة تحديداً، حيثُ يرغب مُحمد في السيطرة على هذا المركز التجاري السياحي

لقد أرسل اليوم لي عرض يُفيد بأن أترك مكة، واذهب الي المدينة للانضمام اليه، ووعدني بأن تظل مكانتي على وضعها، وان نبدأ صفحة جديدة سوياً، وأن ينسي أي ضرر سببته له، كما علمت بانه أرسل نفس العرض الى خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وبايعاه

لا اعتقد أن عمرو بن العاص وافق على العرض إلا من بعد أن تأكد برجوح كفة مُحمد، وهو نفس الأمر الذي دفع خالد بن الوليد الي القبول، ويبدوا أننى سأقبل بالعرض، ولكن قبل هذا يجب ان اتحدث الي ابي سُفيان، وأحاول إقناعه بالانضمام الى محمد لإنهاء حالة الحرب، لتعود التجارة الي طبيعتها، ولو ساعدنا مُحمد علي انتشار دعوته ستزداد أعداد الحجيج، وتعود السياحة ثانيةً

إن أبى سُفيان رجلٌ حكيم، ويعلم بأن لا مجال لعودة التِجارة، واستعادة قُريش لمكانتها، إلا بإنهاء حاله الحرب مع مُحمد، حيث سيكون لقريش وقتها ما لم يكن لها من قبل، وهو رسول الله، وسيكون كبير قُريش هو حاكم يثرب وجميع القبائل التي بايعت مُحمد، فلم لا نستفيد من مُنجزاته، ونعقد صلح معه، ونسلمه مكة، على ان يحتفظ ابي سُفيان بمكانته، وسيكون له ولعائلته ما لم يكُن لغيرها

كما انني امتلك فكرة لتسليم مكة من دون ان يتأذى أحد، ومن دون ان نُقلل من شأن أهلها، ولهذا سأكتب له الأن رسالة فحواها: الى مُحمد بن عبد الله، في البدء أشهدك أنك رسول الله، وأنت تعلم إيماني بالإله الواحد، وهو وحده يعلم مقدار حُبى لك منذ طفولتي، من قبل هجرتك، ويعلم بأن عقلي كان رافضاً لميراث الإباء، وكان باحثاً عنه، ويعلم أنني أنتمي الي طائفة الحنفية التي كانت تعبد إله إبراهيم، واللذين تتطابق دعواتهم مع دعواتك، كما أنى كنتُ استمتع بالحكايات التي استمع اليها من جيرانُنا من الهود، والتي كانت تقُص قصص الأنبياء، وخلق الإنسان

وما منعني عن إتباعك ونُصرتك من قبل سوى أن عُمرى لم يتخطى العشر سنين، في قت هجرتك، وخلال تلك السنين سافرت للتجارة مع والدي، وكُنت التقي باليهود والنصارى، واتعرف على عقيدتهم، واتعرف على دعوات الأنبياء من قبلك، كما انني سافرت الي بلاد الفُرس، واستمعت عن نبيهم زرادشت، وعرفت عن ديانتهم نفس ما عرفته عن ديانتك، ولكن ما تدعوا اليه أقرب الي قلبي من دعوات الفُرس، وذلك لأنك منا نحن العرب.

لقد كان عقلي يؤمن بك، ولكن خوفي من الناس، وحرصي على تجارتي، وميراثي من ابي، وغيرها من الأمور التي كانت تحول ما بيني وما بين الهجرة الى يثرب لإتباعك، ولنصرتك، ولكن من اليوم، فأنا لا أخاف الناس، ولا ارغب في هذا الميراث، وأعلن لك إيماني بالإله الواحد الأحد، فأذن لي بأن أظل في مكة حتى أُمهد لوصولك، وامتلك من الخطط ما يفتح لك الطريق بدون نقطة دم واحدة

وخلال كتابتي كنت أشعر بشيء ما يلدغني في جميع أجزاء جسدي، فتوقف عن الكتابة، وبدأت أعود الى الوعي، وبدأت استيقظت على نباح الكلب، وحلول الظلام، ومكبرات الصوت من حولي تُعلن دخول وقت العِشاء، بتكبيرات توسطها شهادة أن لا إله الا الله وأن محمد رسول الله، فأدركت أن ما أيقظتني هو لدغات النمل، حيث يبدو أنني كنت نائماً فوق أحد بيوت النمل

اعتذر لكم يا معشر النمل على ما اقترفت من أخطاء في حقكم، ولو كنت اعرف لُغتِكم لكنت تواصلت معكم بها، ولكنى اعرف انكم تتواصلون من خِلال لغة كيميائية من خِلال افرازات عن طريق اللعاب، وليس عن طريق الكلِام، وكم كنت اتعجب حينما تخيلت كيف سمِع سُليمان كلامكم، في حين ان لا كلام لكم، ولكن قد تكون قُدرة سليمان هي شم رائحة الافرازات الكيميائية، أو ان النمل المقصود في قصة سليمان نوعا اخر من النمل غير الذي نعرفه، أو قد يكون النمل تطور، وانتقل من مرحلة التواصل الصوتي الى مرحلة التواصل الكيميائي

ولكن هذا المنطق في التفكير لن يتوافق مع منطق أصحاب التفاسير، الا إذا تغيرت نظرتهم في نظريات داروين الذي اختلفت نظريته مع سفر التكوين، ومع نظرية التجسيد المسيحي، ولكنه كان أقرب الى الإسلام في نظريته، ولكن تأثر المُفسرين والمجتهدين بكتب اليهود، دفعهم الى نفى ما لم ينفيه كتابهم ولم يؤكده

الرقيب :

وقت الدوام انتهى، ويستعد عمال النظافة للدخول الى المكاتب لتنظيفها، وانا سوف انتهى من تِلكَ الرواية اليوم بأي شكل، ولهذا سوف أتوجه الى الحديقة الملحقة بالمبني، واستكمل القراءة بها، حتي ينتهي العمال من اعمال النظافة، وستكون فرصة للحصول على جرعه مُخدر تساعدني على انهاء تِلكَ القصة اليوم، وذلك لأن اليوم هو الخميس، وهو اخر أيام العمل في الأسبوع، وبعدها سيكون الجمعة والسبت أيام عطلة، ويوم الاحد هو اول أيام شهر رمضان، وانا اعتدت على عدم الذهاب الى العمل في اول أسبوع من رمضان، لأنني أكون عاجز عن التعامل مع الناس، ولهذا فيجب ان انتهى من هذه الرواية اليوم، واعداد تقريري النهائي عنها

وفي طريقي الي الحديقة عبر درجات السلم، كَنت أفكر فيما كتبة الكاتب، وكأنه هو الرقيب الذي يُراقب على المُجتمع، ويُراقب أفكاري، ويكتبها في رواية ويرسلها لي حتى اقرأها، فأجد ذكرياتي مدونه بها، ولكنها مُسماه بأسماء شخصيات وأماكن غير التي أعرفها، ولكنها تحمل نفس الأفكار، وكأنها مُذكراتك ومُذكراتي، مع نفس الإله

كل فتاه مسيحية تعيش في مُجتمع أغلبيته من المسلمين تجد نفسها ممنوعه من الحب من النظرة الأولى كسائر الفتيات، حيث يجب عليها اولاً، أن تطلع على تحقيق شخصية الشخص الذي ستعجب به، وحينما تتأكد من ديانته فعليها التأكد من ملته، وبعدها تقرر إن كانت ستعجب به أم لا، ولهذا تجد المُجتمع المسيحي يحاول ان ينغلق علي نفسه، وان يخلق مُجتمع موازي لتعيش فيه بناته بعيداً عن المُحرمين عليهم، وهو نفس حال الفتيات المُسلمات في المُجتمعات الأوروبية، حيث ينغلق المُجتمع المُسلم في البلاد الأوروبية، حتي يضمن لبناته زوجاً يحمل نفس الميراث

كنُت أفكر في تأثير الدعاية والإعلان على المجتمع، وقدرتها على توجيه المُجتمعات، وقدرتها علي خلق إحتياجات لم تكن موجودة عند الناس من قبل، مُستغلين رغبات الناس في تجنب الألم، ورغبتهم في الحصول على المُتعه، وهي نفس الوسيلة التي يتبعها رجال الكهنوت، حيث أن كل ما ينقلوه عن الإله لا يخلو من الفوز بالجائزة، أو الهروب من العقاب، حتي أصبحنا لا نعرف عن الإله العظيم سوى الجنة والنار، في حين أن العارفين ممن حاولوا معرفة الله، كانوا يقولون قما قالت رابعة العدوية، حيثُ قالت(اللهم إن كنت تعلم أنى اعبدك طمعاً في جنتكن فأحرمنى منها، وإن كنت تعلم أنى اعبدك خوفاً من نارك، فأرسلني فيها، إنما أنا أعبدك لأنك تستحق أن تُعبد)

ولكن أصحاب الكهنوت لم يفقهوا لها قولاً، وكيف يفقهون ما ليس لهم به علماً؟ وكيف يشعرون بمن بحث عن الله شوقاً؟ فأطلعه العليم من علمه علماً، فدخل العبد في منازل العابدين للرحمن عشقاً، فأختصه الله وأطلعه من أسراره سراً، فتكلم العبد فلم يفقه الناس له قولاً، وكيف يفقهون ما ليس لهم به علماً؟ فالناس تعرف عن الجنة والنار ولا تعرف عن الله شيئاً .

أنا الان أجلس على الطين في الحديقة التابعة لمقر العمل، وقد بدء النمل في الدفاع عن بيته، ولهذا سأعتذر له، وسأتوقف عن تدوين رسالتي لك، وسأبحث عن مكان بعيدا عن بيت النمل، حتى أستكمل قرأه مذكراتنا أنا وأنت وهو

صديقي الكاتب يا من تكتب مذكراتي من دون ان تعرف، أو يامن أقراء أفكارك من دون ان أشعر

الطين

توجهت بعد هذا اليوم الرائع الي السيارة، وبالتأكيد لم اجدها، وفي غالب الظن فإن شُرطة المرور قد قامت برفعها من مكانها، وللتأكد من ظني توجهت الي نُقطة تمركز شُرطة المرور على هذا الطريق، وخلال طريقي الي نقطة المرور، كان الجميع ينظر لي باشمئزاز بسبب الطين المُلطخ على جسدي وملابسي، ولكنني لم ابالي، حتى التقيت بالضابط المسؤول، فظنني متسول، فأخبرته بأنني أبحث عن سيارتي، وعن نوعها، وبياناتُها، ومكان انتظارها، فظن الضابط بأنني أتعاطي المُخدرات، وبدأ في تفتيشي، وأخرج من جيبي حافظة الأموال ومستندات اثبات الشخصية، ثُم سألني عن سبب الطين؟

أنا: عن أي طين تسأل؟ عن الطين الذي انت منه؟ أم عن الطين الذي تتحدث اليه؟
الضابط: من الواضح ان تأثير المُخدرات لم ينتهي بعد
أنا: أي مُخدرات؟
الضابط: المُخدرات التي جعلتك تترك سيارتك على هذا الطريق وبهذا الشكل، والتي افقدت رجل مثلك لعقله ووعيه، حيثُ لا تفهم حديثي

أنا: أنا فهمت سؤالك، ولكنك انت لم تفهم جوابي، فأنت كُنت تسأل عن الطين، وأنا استفسرت منك عن مقصدك من الطين، حيثُ أنت مخلوق من طين، وأنا مخلوق من نفس الطين، وأنت لم تُحدد

سكت الضابط قليلاً، ثُم أعاد النظر في تحقيق شخصيتي، فتذكرت صديقي المُحقق، وتذكرت النقاشات التي كانت تدور ما بيني وبينه، وها انا أحاول أن اعيد نفس اللقاء، ولكنني الأن في مركز قوة، حيثُ أستطيع باتصال واحد أن أنهي هذا الجدال وتِلك المُناقشة ولكنني أرغب في انهاء يومي بمُناقشة مع هذا الضابط

أنا: اليس كلانا مخلوق من الطين؟
الضابط: بلي، ولكنني أسألك عن الطين الذي يُلطخ ملابسك، وعن سبب مُخالفتك للقانون حيثُ تركت سيارتك في هذا التوقيت، وفي هذا المكان
أنا: هل تمتلك الوقت الكافي لأشرح لك تفاصيل مع حدث؟
ألضابط: أشرح

في البدء دعني أن أجري لك اتصالٌ تليفوني بأحد القيادات الأمنية، حتى تتأكد من شخصيتي، ولا تحكُم على مظهري، وبالفعل أجريت اتصالاً تليفوني، انتهي بتأكد الضابط من شخصيتي، ثُم بدأت احكي له أحداث اليوم، مُنذ لحظة انطلاقي من السيارة، وحتى لحظة نومي بجانب الكلب، فسألني الضابط عن مواصفات الكلب، فأجبته، فأخبرني بأنه والاخر يمُر بتِلك الحديقة، ويلعب مع نفس الكلب
أنا مُداعباً الضابط قائلاً: إذن فنحن نمتلك صديق مُشترك فيما بيننا
الضابط ضاحكاً: نعم، ثم دعاني لركوبٍ سيارة الشُرطة للتوجه الي مكان السيارة، وفي الطريق سألني عما إن كُنت أحب الكلاب؟ فأجبته قائلاً: نعم؛ فقال لي بأنه هو الأخر يُحب الكلاب، ولكنه لا يستطيع ان يشتري كلب، بسبب نجاستها

أنا: أقرأ للأمام مالك، وستجد ما يسُرك بخصوص الكلب
الضابط: ولكن الأحاديث النبوية، تؤكد على عدم جواز تربية الكلاب

أنا: الأحاديث النبوية تتحدث عن وجوب غسل الطبق الذي أكل الكلب منه، وذلك إن رغبنا في الاكل من نفس الطبق الذي أكل منه الكلب، وذلك لوجود بكتريا ضارة في لُعاب الكلب، وذلك مع العلم بأنك إن أردت الإكل من نفس الطبق الذي أكل منه الخنزير، فإنك لن تحتاج إلا لغسلة مرة واحدة، وذلك لعدم احتواء لُعاب الخنزير علي نفس بكتيريا لُعاب الكلب، ولهذا فإن هذا الحديث لا يدعوا الي تحريم تربية الكلاب، وإنما يدعوا لتعايش معها، وذلك لان الحديث يشتمل علي طريقة التعايش مع الكلب، والاكل من نفس الطبق الذي اكل منه، من دون التعرض الي الأذى الموجود في لُعابه
الضابط: ولكنه يطرد الملائكة من المنزل

أنا: نعم، أتذكر هذا الحديث، ولكني لا أتذكر مدي صحته، وأعتقد بان الحديث كان يتحدث عن تسلل كلب الي بيت رسول الله، ومات بداخلة، وهو ما منع جبريل من النزول علي رسول الله، أليس هذا هو الحديث الذي تتحدث عنه؟
الضابط: نعم

أنا: وهل تُعتقد بان كلب مات في منزل، وخرجت رائحة العفن منه، ولا تهرب الملائكة والأنس والجن أجمعين؟ ثم كيف لم ينكشف أمر موت كلب ببيت رسول الله إلا بعد عِدة أيام؟ هل تعتقد بان وجود الكلب كان السبب، أم ان رائحة العفن هي السبب
الضابط: معك حق، ولكن توجد كذلك أحاديث تمنع التجارة في الكلاب، وتمنع تربيتها إلا للحراسة

أنا: وكيف يشتري الناس الكلاب للحراسة، في حين أن بيعها أصلاً مُحرم، وكيف يُحرم الدين التجارة في الكلاب، ولم يُحرم التجارة في البني أدمين، أسمع نصيحتي واشتري كلب، أو تبناه، ولا تشغل بالك بتِلك الأمور، لأنك لو اتبعتها لوصلت الي مذهب الإمام ابن حنبل الذي افتي بأن ظل الكلب، ينقض الوضوء

وصلت الي سيارتي وركبتها، وفي الطريق قررت ان اشتري جرو لابني حتى يتعلم معني الوفاء والصداقة، حتى وصلت الي امام المنزل، فشعرت باشمئزاز الجميع من الطين المُلطخ على ملابسي، فعُدت اتسأل عن سبب اشمئزازنا كبشر من الطين، في حين اننا نؤمن بان الإله شكلنا بيده من الطين، فكيف نشعُر بالاشمئزاز من مسك الطين، في حين ان الله في عليائه نفخ في هذا الطين من روحه؟ وذلك من بعد ان شكله بيده كما أخبرنا سِفر التكوين التوراتى.

فهل حقاً أمسك الإله الطين بيده؟ أم أن نظرية التطور بالانتخاب الطبيعي هي الأقرب مع عظمة قدرات الإله؟ وهي الأقرب الي طريقة الخلق التي خُلقت بها جميع المجرات والكواكب، فهل انا اتجاوز حدود الادب في الحديث عن الإلَه الان؟ ام ان من صوروا لحظة البدء بتِلك الطريقة، وجسدوا الإلَه هم من تجاوزوا حدود الادب في الحديث عنه؟

ثُم كيف نشعر بالاشمئزاز من الطين ومنه كل أسباب حياتنا؟ حيثُ أن الحيوانات التي نلتهمها يومياً تشكلت من طين لازج مثل الطين التي تشكلنا منه، كما ان كُل ما هو كائن تحت الهرم الغذائي الذي يتربع الانسان على قمته، متكون من قلب الطين، فكيف يشمئز الطين، الذي يتغذى على طين، من الطين نفسه؟ وإذا كان الإنسان يشمئز من الطين، فكيف كان شعور المخلوق من النار حينما أمره الإله بالسجود الي تِلك الكُتلة من الطين

خُلق الانسان من الطين، ثُم تعرض للنار حتى يُصبح كالصلصال، ولهذا فإن الطين والنار شكلا الإنسان،

وهل النار التي تداخلت في تكويننا، هي نفسها النار التي كونت الشيطان؟ وهل نحن مخلوقين من الطين مثل سائر الحيوانات، ولكننا مُمتزجين بالنار مثل الشيطان؟ وهل الشيطان الذي رفض السجود لآدم، هو ذلك الجُزء المتكون من النار بداخلنا، أم انه جُزء مُنفصل عنا؟ وهل رفضت النار السجود للطين لأنها ظنت نفسها هي مخلوق الإله السامي الذي خُلق من اجله كُل شيء؟ كما نظُن نحن ذلك

بدأت في الاستحمام وإزالة الطين عن جسدي، فتعكر لون المياه المُتساقطة عني، وبدأت أفكر في هذا الطين اللزج، الذي تشكلنا منه، فهل هذا الطين هو الذي يشعر، ويُفكر، ويحب ويكره، ويؤمن ويكفُر؟ بالطبع لا، حيث أن الروح التي هيا من عند الإله، هي التي تفعل كل هذا، ومن دونها لأصبحنا مجرد طين ونار، أو مُجرد مخلوق ينقسم الي حيوان وشيطان .

يا رب لقد أصابتني لعنة التفكير، يا رب هُنالك من يحاول أن يحُدثنى وأشعر به، ولكنني عاجز عن رؤيته، يا رب أنني أشعُر بأنني أكتُب كُل شيء في حياتي، وأشعر بمن يطلع على هذا الكلام، لدرجة انني قادرٌ علي الاستماع الي صوته وهو يحدثني، يا رب ارحمني مما انا فيه، وأرني الحق حقاً وارزقني إتباعه، وأرني الباطل باطل وارزقني اجتنابه، يا رب تعبت

مسحت دموعي بالماء المُنهمر على جسدي، وذلك لأن والدتي كانت تُحذرني من البكاء في دورات المياه لأن الجن يسكُن بها، وأنا أدخل دورات المياه مُنذ طفولتي ولم اري يوماً هذا المخلوق المُتخفي، ولماذا يعيش في دورات المياه؟ لماذا نحتقر هذا المخلوق الي هذا الحد؟ لماذا لا يسكُن الصحراء مثلاً او الغابات؟ لم ترك كُل هذا الكون وقرر ان يعيش معنا في دورات المياه؟ ولماذا لا يُصاب بأضرار الجن إلا المؤمنين فقد بوجد الجن؟ ولماذا يترك الجن أجمل جميلات العالم ويأتي ليعيش بجسد (ام كوثر) جارتنا في الحي القديم؟ كيف يستحمل الجن رائحة البصل التي كانت تأكله بانتظام مع كل وجبه؟

إن الجن مخلوق من النار مثل الشيطان، وأرسلت له الانبياء والرسل مثل الانس، وقصة سُليمان المذكورة في القرآن الكريم تؤكد وجود الجن، ولكن الغريب في الامر بان اليهود اللذين كانوا يقدسون سُليمان، لم يجرؤا علي ذكر تسخير سُليمان للجن وحديثه بلغة الطيور، فلماذا لم يذكروا هذا؟

هل الجن مخلوق مخفي عن اعيننا؟ ام انهم ظاهرين ولا نعرف انهم جن؟ وهل هم مخلوقات لا نراها ولا نشعر بها على الرغم ن انها تعيش معنا في نفس المكان؟ وهل توجد مخلوقات أخرى لا نراها ولا نشعر بها؟ وهل توجد مخلوقات لا ترانا ولا تشعر بنا، كما لا نشعر نحن بالجن؟ وهل يمسسنا الجن ويستطيع التحكم بنا وفى تصرُفاتنا؟ ويستطيع ان يوهموا الناس بحدوث أمور لم تحدُث، هل لهم قدرات خفية وخارقة تساعدهم على الطيران والسير بسرعة الضوء والتحكم في سلوك البشر؟

إذا كان الجن يمتلك كُل تِلك القُدرات على التحكم بنا وايهامُنا بحدوث أمور لم تحدث، فما يمنع من التفكير في كونهُم هُم من يتحكمون فينا وفي حُكام الأرض، وما المانع في ان يكونوا هم من يعبثون في عقل العُلماء؟ أو يكنوا هم من عبثوا في عقل الكهنة من أصحاب كُتب التأويل، أو يكونوا هُم من تواصلوا مع بعض البشر وأقنعوهم باختيارهم كرسل وانبياء، كما حدث مع زرادشت

هل الجن جزء من تكوين الانس؟ وهل أكون انا من الجن ولكنني اظن بأنني انسان؟ اللعنة على هذا العقل، يبدو إنني حقا ممسوس من جن كافر

الديّان

حاولت النوم ولكنني وكالعادة عجزت عنه، فتوجهت الي حيثُ يسكن الشيطان، توجهت مكتبتي واخترت أحد الكتب لتصفُحها، ومن سوء حظي وقع كتاب من يدي، فنظرت بداخله فوجدت مقولة لجلال الدين الرومي يقول فيها (كأنما كانت الحقيقة، مرآة في يد الله، وحين سقطت هذه المرآة، تهشمت، فكان أن اخذ كل واحد قطعة من هذا الهشيم، ونظر فيها قائلا: هذه هي الحقيقة ولا سواها)

إن تعريف الإلَه ما هو الا انعكاس لحال كل منا، وكأن كُل منا نظر الي السماء فوجد مرآة، فنظر فيها فظن بأنه تعرف الإله، وفي الحقيقة بانه لم يري إلا انعكاس يمزُج ما بين بيئته، وتنشئته، وهمومه وافراحه، ونجاحاته، واحباطاته، ولهذا فإن الجائع يرى إلهه رازق الطعام، والمريض يراه الشافي، والمظلوم يراه المنتقم والعدل، والظالم يراه الجبار، والشخص المادي يراه مُتجسد في أي صورة ما، ومن يعيش في اضطهاد يراه رب الجنود، ومن يعيش في الرخاء يراه السّلام، ومن يعيش في القحط يراه الداعي الي الحروب، وتستمر الحياة حتي يأتي من يظنونه مُجرد انفجار كبير، أو تطور لذرة من الهيدروجين، وغيرها من التصورات التي تحاول إيجاد إجابات لتساؤلات طرحها العقل منذ اللحظة الأولى، فانشغلت بها النفس، حتى ظهرت الإجابات المنقوصة، فأضاف اليها الأنسان عُنصر الإيمان لتكتمل، ويستريح هو، كما استراح هو

ان المُجْتَمَع يتشكل بناء على الظروف البيئية التي تحتضنه، ومهما حاولت تغير افراد المُجْتَمَع من دون تغيير الظروف المحيطة بهم، فلن يتغيروا، وان تغيروا، سيكون تغيرهم في نفس اتجاه الظروف المحيطة الخالقة لتفكير الانسان، ولهذا تجد مفهوم الدين الواحد يختلف باختلاف الظروف المحيطة بالفرد، فدائما ما يخرج التطرف بكل أشكاله من مجتمعات تتشابه في ظروفها المحيطة، ولهذا فان كنا نرغب في تغير مفهوم أى مجتمع عن الدين، لن يكون بمخاطبتهم، بل بخلق مناخ يساعدهم على الفهم بالشكل الذي يتوافق مع هذا المناخ

ولهذا فان من يعيشون في مجتمعات صحراوية يفهمون الدين بشكل غير الذي يفهمه من يعيشون في مجتمعات زراعية، ومن يعيشون في الجبال غير من يعيشون في السهول والوديان، فكل منهم يرى الدين من منظور ظروفه المحيطة، وليس من منظور الدين، وعلى هذا الأساس لم يعد السواد الأعظم من الدين يحقق مراد الإلَه، بل أصبح يحقق مراد مفاهيم البشر، إلا الجزء الذي اتفق علية جميع المجتمعات، وهو الجزء المتعلق بمعايير الإنسانية والرحمة والحب، وهو جزء يستحيل تحقيقه في حال فساد الجزء الاخر

توجهت الي فراشي للنوم، وحينما فتحت باب الغُرفة، لاحظت اختفاء ضوء خافت، وكأنه ضوء الهاتف المحمول، فنظرت الي زوجتي فوجدتها نائمة، فجلس ناظراً لها، وشعرت بالذنب تجاهها، حيثُ تزوجت منها بهدف ارضاء والدي، واخترتها تحديداً لأنها من عائلة كبيرة، ومزدوجة الجنسية، وستمنح أبنائي الجنسية الأمريكية، كما أن لأسرتها ثروة كبيرة، وهو ما سيضمن الاستقرار المالي لذريتي مني، وهو ما دفعني لخلق جميع الفُرص للحصول عليها، حيثُ كانت تعمل كمديرة تسويق في أحد الشركات الطبية، وتعرفت عليها من خلال العمل في احد المشروعات التي نفذناها لتِلك الشركة، وبعد أن شعُرت بأعجابها، واقتنعت بأنها تحمل الصفات اللازمة لزوجتي، فقررت العمل عليها، وكالعادة نجحت، وتزوجنا، ولكن

بعد مرور عام من الزواج، تأكدت من ان مشاعري لن تقبل القسمة على أكثر من واحدة، وتأكدت من ان

قلبي قد سافر مع خليلتي مُنذ سنوات، ولكن إن لم تستطيع حُب من امامك، فلا تنسي بانك تستطيع ان تُقدم له كُل أفعال الحُب، وهو ما كُنت أقوم به خلال السنوات الماضية، حيثُ كُنت أحاول القيام بكل الأدوار التي يُفترض أن يقوم بها الحبيب، ولكنني وعلى الرغم من ذلك، فإنني أشعُر بأنني ظلمتها معي، وذلك لأنها تحبُني حقاً، ولكن القلوب بين أصبعي الإله يحركها كيف يشاء، وفيما يبدوا ان الإله لم يشاء لي حُب تِلك المرأة

استلقيت علي ظهري، لعلي أري من أرغب في رؤيته في المنام، ولكنها حتي لم تأتي لزيارتي في المنام، وفي الصباح وكالعادة، استيقظت وانطلقت في الطريق الي العمل، ولكنني في وسط الطريق تقريباً، تذكرت بانني تقدمت باستقالتي في الامس، ولا يجب ان اذهب الي العمل اليوم، فقررت العودة الي المنزل، وخلال الطريق تذكرت بان اليوم هو عيد ميلاد زوجتي، فحمدت الله علي نعمة تذكر هذا التاريخ مع بداية اليوم، وانطلق في اتجاه احد توكيلات الهواتف المحمولة، وقررت شراء احدث الهواتف لإهدائه الي زوجتي، وكذلك اشتريت زُجاجة عطر من النوع الفرنسي الذي تُفضله هي، ثُم اتصلت بأحد الفنادق الشهيرة، وحجزت وجبة عشاء لفردين، وفي الطريق الي المنزل، توجهت الي محل الزهور، وبعد شراء بعض الورود، توجهت الي المنزل بهدف مُفاجئة زوجتي، وقررت أن اخبرها بانني اعتذرت عن العمل اليوم خصيصاً من اجلها

تسللت الي المنزل بهدف مُفاجئة زوجتي بتذكري تاريخ ميلادها للمرة الأولي في حياتي، وبالفعل دخلت الي المنزل، ، وتوجهت الي غُرفة النوم، وقبل أن افتح الباب، توقفت لأتأكد من خلوي من رائحة التدخين، وفي تِلك اللحظة التي لم اختارها، استمعت لصوت زوجتي وهي تتحدث في هاتفها عني قائلة: لا لقد توجه الي العمل مُنذ الصباح، فتوقعت بانها تتحدث الي إحدى صديقاتها، وتشكي لها نسياني لعيد ميلادها، ولكن بعد لحظات تأكدت من الاتصال مع رجل وليس امرأة، وبعد لحظات اخري تأكدت مما لا يدع مجالاً للشك من وجود علاقة ما بين زوجتي وما بين شخص اخر

انها لحظة فارقة في عمري، ومُناسبة لن تتكرر كل يوم، ولهذا فيجب ان لا اندفع، ويجب ان أفكر جيداً في رد فعلي قبل القيام به، فتراجعت خطوتين الي الخلف، وعُدت من حيث اتيت، وأمام المصعد الكهربائي، وجدت زوجة حارس العقار، وهي تساعد زوجها في اعمال تنظيف العُمارة، فنظرت الي زُجاجة العطر التي كانت في يدي، وقررت أهديها لها، ثُم نزلت وعُدت الي سيارتي، وقررت التفكير بهدوء وبذكاء

اتصلت بصديقة لي تعمل في أحد شركات المحمول، والتي تتعامل زوجتي معها، فطلبت منها كشف بجميع الأرقام الصادرة والواردة الي هاتفها اليوم، وعلى الرغم من صعوبة الأمر، إلا أن علاقتي بها كانت تسمح بطلب تِلك الخدمة، وبالفعل أعطتني الأرقام، وكان رقم واحد اتصلت به زوجتي مُنذ ساعتين تقريباً، فطلبت منها تاريخ الاتصالات الصادرة والواردة الي هذا الرقم، وفيما يبدوا انها لا تُفارق التواصل معه طوال اليوم، فطلبت منها توفير معلومات عن صاحب الرقم، فاعتذرت لان رقمه كان من شبكة محمول أخري

في نفس الساعة اتصلت بصديقة لي تعمل في الشركة، وطلبت منها مُقابلتي بجانب الشركة، فظنت بأن الهدف من اللقاء هو الحديث عن مُشكلة الامس، ولكنني طلبت منها تأجيل الحديث بخصوص هذا الامر، الي بعد الانتهاء من المُهمة التي سأطلبها منها، فوافقت على الفور، فطلبت منها الاتصال بصاحب هذا الرقم تحت أي مُسمي من مُسميات الجوائز، حتى لو استخدمت اسم أي شركة من الشركات التي نتعامل

معها، وذلك بهدف إقناعه بفوزه بجائزة

صديقتي: وما هي الجائزة؟
أنا: أحدث هاتف محمول، بالإضافة الي دعوته هو ومن يختار لحفل عشاء الليلة في أشهر الفنادق
صديقتي: والمُقابل؟
أنا: المُقابل هو جميع بياناته الشخصية، فأنا ارغب في معرفة كُل شيء عنه قبل ساعتين من الأن
صديقتي: لماذا؟

أنا: نفذي ما اطلبه منك ولا تسأليني عن الأسباب الان، ثقي بي
صديقتي: وفيمن أثق ما إم لم اثق فيك انت
أنا: المُهم هو انني ارغب في تلك المعلومات خلال ساعات، وها هو الهاتف، وها هي بيانات حجز الفُندق، المُهم لي هو تجميع جميع المعلومات عنه في أسرع وقت

اتصلت بزوجتي ، واخبرتها بانني سأضطر الي السفر اليوم الي احد المناطق الحدودية، وتجاهلت ذكر عيد ميلادها كعادتي، ولكنها لم تحاول تذكيري كعادتها، وتوجهت الي الفُندق، وطلبت منهم تعديل بيانات الحجز للتناسب مع الجائزة، وجلست في البار، وكانت المرة الاولي التي أعود فيها الي الخمر مُنذ سنوات، وبعد ثلاثة ساعات كانت صديقتي تتصل بي لتؤكد علي ارسال جميع البيانات علي بريدي الالكتروني الشخصي، مع صور للفائز وهو يتسلم الجائزة
أنا: مار هو انطباعك عنه؟
صديقتي: إنسان مادي، بلع الطعم بكل سهولة، نظراته تدُل على انه مُتحرش رسمي، ولكنه ذكي
أنا: أشكرك، سأتصل بك لاحقاً

فتحت بريدي الالكتروني: وأطلعت على بياناته، فوجدته شاب يعمل في أحد شركات الأدوية، ومن سُخرية القدر، أنه يعمل في نفس الشركة التي بدأت حياتي فيها كراسم خرائط، فنظرت الي صورته فوجدته شخص عادي الي ابعد الحدود، فتسألت عن السر الذي يدفع امرأة كزوجتي، بان تخوض علاقة مع شاب كهذا، في حين انها تمتلك شخص مثلي، وكانت الإجابة صادمة، فالديان لا يموت، وافعل يا ابن أدم ما شئت، فكما تدين تُدان

فمُنذ سنوات تركت امرأة رجلاً لا مثيل له، من اجل شاب أقل من العادي، وها هي الأيام تُكرر نفسها، ولكن مع تبديل الكراسي، حيثُ أصبح الصياد فريسة لمُفترسٍ جديد، ولكنني لن أكون فريسة سهلة، ولن أكون فريسة من الأساس، وذلك لأنني امتلك القدرة علىً محو هذا الشاب من على الوجود، وأمتلك القدرة على ان أجعل زوجتي تكره اليوم الذي ولدت فيه، ولكن ماذا عن إبني؟ ماذا سيكون تأثير هذا على نفسيته وعلى مُستقبله؟ وكيف سيكون شعوره حينما يري ما سأفعله بوالدته؟ هل سيلتمس لي الأعذار حينما يفهم؟ وحتى يفهم، فكيف ستكون حياته؟

راهنت نفسي على ان هذا الشاب سيدعو زوجتي الي العشاء ليحتفل معها بعيد ميلادها، وفوزت بالرهان، وبعد وصولهم بلحظات قررت الانصراف، ودفع فاتورة العشاء، وهي جُزء من فاتورة الماضي، وتوجهت الي المنزل وحضنت طفلي الذي لا ذنب له في سداد والدته لفواتير ماض والده، ثم أعددت حقيبة سفري، وقبل الانتهاء منها وصلت زوجتي، فتسمرت في مكانها وكأنها شاهدت ملاك الموت، فتلجلجت قائلة: ألم تُخبرني بانك ستُسافر اليوم؟

أنا: نعم، ولكنني أتيت لسداد فاتورة قديمة

زوجتي: أي فاتورة؟

أنا: سأخبرك، ولكن من بعد تُخبريني، أين كُنتي؟
زوجتي: كُنت، كُنت، كُنت مع أصدقائي اللذين تذكروا حفل عيد ميلادي، الذي نساه زوجي

أنا: بصفتك مُديرة تسويق ناجحة، فذكريني بما تُفيد علامات الجسد حينما تنظرين في عيني، خلال الحديث، في محاولة للتأكد من انني اصدق كلامك، كما قامت يدك بحك انفك، فما مدلول هذا في علوم لغة الجسد؟ هب تتذكري تِلك الدورة التدريبية؟
زوجتي بحدة: ماذا تقصد؟ ومن اين لك بتلك الجُراءة للتحدث لي بهذا الأسلوب؟ ألا يكفيك بانك نسيت كعادتك عيد ميلادي؟ والان تتهمني بالكذب، ثُم انفجرت في البكاء

أنا: كالعادة، ستتخذين من البُكاء سلاحاً لك، وستحاولين قلب الصورة، وستستخدمين كُل ما تمتلكي من ذكريات سيئة لي، حتى تنقلب الآية، ولكنني سأعفيك من لعب هذا الدور الان، وسأخبرك أين كُنتي؟ وسأخبرك برقم المنضدة التي كُنتي تجلسين عليها، وسأخبرك بنوع العشاء الذي دفعت انا فاتورته بنفسي، وسأخبرك بمواعدي المُكالمات والرسائل التي كانت ما بينك وبين جليسك في العشاء، وسأخبرك بنوع الهاتف المحمول الذي كان يحمله اليوم

انقطع حديثي بصوت هاتفها، فنظرت الي حقيبتها، وأكملت حديثي قائلاً: ردي عليه، فهو يرغب في الاطمئنان عليك، قبل النوم، أو يرغب في السهر معك لأن زوجك الشرير الذي لا يتذكر عيد ميلادك غير موجود الليلة، ردي عليه، وسأنتظرك حتى تنتهي فنُكمل حديثنا عن فاتورتي التي اتيت لأدفعها

أنها ليست فاتورة عشاءك، وإنما فاتورة اختياري لك، وزواجي منك، وها انا أقف لسداد المُقابل، وإن كُنت أقدر على ان اجعلك تدفعين مُقابلها، بالندم والحسرة طوال عُمرك، ولكنني لن افعل، لأنك محظوظة بكونك أم ابني، ولهذا سأتحمل انا كافة التكاليف، وسأنسحب بهدوء، ولكن أضمني لي عدم إيذاء مشاعر إبني، بأي شكل، وأضمني لي ان اراه وقتما شئت، وأضمني لي بانك لن تحاولي تشويه صورتي أمامه، وإلا حق عليك القول

المنزل لأبني، وبالتالي فهو لك، وجميع حقوقك المادية ستكون لك، وجميع مصاريف أبني، ستكون مني، واعدك بان لا أتفوه بكلمة من لساني عما حدث اليوم، لأنك أم أبني، أي اساءة لك فهي إساءة لمُستقبله، وصدقيني فانا أتمنى لك حياة أفضل من حياتك معي، ولكن يبقي لي سؤال واحد، سؤال سألته من قبل لامرأة أخري، وجاوبتني علية، واتمني ان اجدك لديك الإجابة على سؤالي: لماذا تتركين رجلاً مثلي، وتبتغين السعادة مع شاب مثله؟ أرجوك أجبينني عن سؤالي، لماذا؟

زوجتي: أنا لم اخونك، ويعلم الله بان علاقتي بهذا الشاب لا تزيد عن مُجرد صداقة، تطورت قليلاً، ولكنها لا ترتقي الي مرحلة الخيانة

أنا: وحينما تُشركين في قلبك شخصاً اخر، اليس هذا بخيانة للمشاعر؟
زوجتي: دع شخص غير يتحدث عن هذا الامر، فأنا مُنذ زواجي منك وأنت تنطق باسمها في احلامك، وأعرف بمشاعرك تجاهها، واعرفك بأنك لم تنساها، واعرف بأنها لازالت مُنفردة في قلبك، لا شريك لها، فدع غيرك يتحدث عن هذا الشِرك

لن أستطيع استكمال الحوار، ولكنني أستطيع القول كما قال بونابرت (إن الحرب مثل الحُب، لا تنتهي إلا

بمواجهة مُباشرة) وها هي المواجهة قد حدثت، وانتهت بخسائر في صفوف الفريقين، ولكن الأهم هو أن الطفل لم يشعُر بها، ولم يتأذى من صراع القوتين العُظمتين في حياته

الجبال

كان لي صديق ورث مهنة الطب عن والدة، وكُنت أزوره دائماً في عيادته، أو بمعني أصح في المصحة النفسية التي ورثها عن والده، وكان يُتابع فُحصاتي الطبية، حيثُ أصبت بدأ الضغط والسُكر وغيرها من الامراض التي ورثت الاستعداد للإصابة بها، عبر جيناتي الوراثية

وفي اليوم التالي لحفل صراحتي مع زوجتي، قررت زيارته لأحكي له عما في قلبي، وذلك لأنه من أقرب الناس الي قلبي، أو بمعني أدق صديق عُمري، وهو الوحيد الذي يعرف عن حياتي كُل شيء، ولهذا توجهت اليه لأحكي له عما حدث في العمل وعما حدث بالأمس، وعن انفصالي المؤقت عن زوجتي

نصحني صديقي بالسّفر الي الخارج بنية إراحة اعصابي، فطلبت منه مُرافقتي فأعتذر، فأخبرته بأنني لا أرغب في السفر الي الخارج وحيداً، ولكن من المُمكن أن اسافر الي أي مكان داخلي يتمتع بالهدوء، فرشح لي السفر الي أحد المُحافظات الحدودية مع دولة إسرائيل، فوافقت، وفي نفس اللحظة أتصل بأحد أصدقائه في شركة سياحة، وطلب منه انهاء إجراءات حجز الفُندق، وحجز الطائرة، وتخطيط برنامج رحلتي بشكل مُميز

أجريت بعض الفحوصات الطبية، وكانت غير مُطمئنة، فطلب مني عدم شُرب الخمر مُطلقاً، ثُم استقبلنا اتصال من شركة السياحة يُفيد بتنفيذ الحجز من الغد، ووجود شخص مسؤول عن رحلتي، وسيتواجد في انتظاري في المطار، وسيشتمل برنامج الرحلة على المبيت في الصحراء مُنفرداً، وسيشمل كذلك على تدريب غطس، وإقامة في أشهر فُندق في تِلك المُحافظة، وغيرها من الأمور التي تم تجهيزها خصيصاً لي

في فجر اليوم التالي كُنت متواجد بالفعل في مطار المُحافظة الحدودية، والتقيت بالشخص المُكلف بمرافقتي، وبعد ان عرفني بنفسه، أخبرني باننا سنضطر للبيات ليلتان في أحد الفنادق قبل التوجه الى الصحراء، نظرا لوجود بعض المشاكل الأمنية، وسنحتاج الي استخراج تصريح امنى اولاً

الوقت من المطار الى الفندق يستغرق تسعون دقيقة تقريباً، قضيتُها في تأمل ذاك المشهد المهيب لتلك الجبال الشاهقة، العظيمة، والتي شبهها الخالق بالرَوَاسِيَ الشَامِخَات، ولم افهم معنى النص إلا حينما شاهدت بنفسي تِلكَ الرواسي، وشاهدت شموخها، وكأنها مخلوقات نزلت لتعيش معنا على الأرض، وعلى الرغم من شموخها وعظمتها، إلا انها رفضت ان تحمل الأمانة، وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا.

قبل أن اطلب من السائق التوقف قليلا وسط تِلكَ الجبال، حتى اتأمل واتدبر قدرة الخالق العظيمة، وقبل ان انطق بكلمة، فاجأني السائق بسؤاله، عما ان كنت ارغب في التوغل قليلاً بداخل الصحراء وسط تِلكَ الجبال، فوافقت على الفور، وعلى الفور خرجت السيارة من على الطريق المُعبَّد الممهد، الى الطريق الوعر في الصحراء، فتذكرت بأن الوعورة هي أصل الأشياء، وذلك لان الأصل في الحُر الإباء، والوعورة في مطلق الانقياد، لا المطاوعة والانصياع للأوامر، وعلى هذا خلقنا، وخلق كل حر، ولهذا

فحينما يؤهل الطريق يُصبح مُعبَّد، وحينما يكون الانسان سهل الانقياد، يصبح عبدًا لسيدٍ أو مولي، أو عبداً لتعاليم مجتمعٍ أو موروث

إن الحيوانات بجميع أنواعها تولد حُرة، ولكن حُريتها محدودة بنطاق وقوانين، حيثُ لا يمتلك الأسد حُرية الطيران، ولكنه يمتلك حُرية تحقيق رغباته المادية والمعنوية بداخل إطار مُحدد، حيث إن الغزالة الحُرة الطليقة، لا تمتلك حُرية اختيار نوع غذائها، حيثُ ستأكل ما تشاء من النباتات، وليس من اللحوم، وكذلك لا يمتلك أي حيوان حُرية اختيار الخلود، أو حُرية الخروج عن القوانين المُنظمة للكون من حوله، ولهذا فإن الحيوانات تمتلك الحُرية الكاملة، داخل إطار مرسوم لها، وكذلك نحن.

نوع اخر من أنواع العبودية الغير ملموسة، وهو النوع الذي تعيش فيه الحيوانات التي تقع في الأسر، حيث يتم ترويضها بأداة الثواب والعقاب، فيتم إطعامها وتحقيق رغباتها المادية في حال امتثالها لتنفيذ الأوامر، وعقابها بالحرمان من رغباتها، او بالعقاب الجسدي في حال مُخالفة الأوامر، حتى يتم ترويضها وتتحول عبوديتها الي مُجرد جُزء من حياتها، وبالتالي فإن صغار تِلك الحيوانات ستنشأ على طاعة سيدها، وكأنه جُزء من حياتها، وكذلك نحن، ولكن كيف تحول الأنسان الحُر الي عبد؟

بعد انتقال الإنسان من حياة الصيد، إلى حياة الزراعة، تشكلت المُدن، وظهر نظام الملكية، وظهرت الحاجة الي العمالة المُتفرغة للبناء، ولرعاية الأرض والحيوانات، وتزامن مع تِلك الحاجات، ظهور حاجة الإنسان الي الاستقرار وعدم الشقاء في صيد الحيوانات، ولهذا فضل أغلب الناس تحقيق حاجتهم في الاستقرار من خلال توفير حاجات أصحاب الملكية، ومع مرور الزمن وتعاقب الأجيال، تحولت الي العمالة المُتفرغة الي عِمالة مُجبرة على العمل لدي أصحاب الملكيات، ووصل الإجبار علي العمل الي درجة الإرغام علي العمل، حتي أصبح العامل المُرغم علي العمل في أرض المالك، أشبه الي العبد، حيث لا يمتلك حُرية اختيار العمل او الراحة، ولا يمتلك وسيلة للحياة إلا بالعمل لدي المالك، ومع تعاقُب المزيد من الأجيال، ومع استخدام مبدأ الثواب والعقاب، تأصل مفهوم السيد، وتأصل مفهوم العبد

كانت الحروب من قبل وتحديداً في مرحلة الصيد، أشبه بمعارك الحيوانات مع بعضها البعض، حيثُ ينتصر الأقوى، ويلوذ المهزوم بالفرار، أو القتل، ولكن مع ظهور الملكية، وظهور الحاجة الي العمالة، بدأت تظهر الحاجة الي الأسير الحي، وهو ما ساعد على تقليل عدد القتلى في المعارك، ولكنه ساعد على ظهور مُصطلح الرق، وارتضي الناس بان يتحول المهزوم الي عبد يُباع ويشتري، أفضل من أن يُقتل، وتُغتصب نسائه واطفاله.
وسُرعان ما تطورت فكرة الرق، وذلك بعد نجاحها في تحقيقِ المكاسب لأصحاب الأملاك، فبدأت القوانين تحكُم على المُجرمين أو المديونين، بالتحول الي عبيد بدلاً من قتلهم، وبدأت العصابات تخرج للغزو بهدف تغذية الأسواق بالرقيق، وظهرت تجارة الرقيق، وتحول الإنسان الي سِلعة تُشتري، وتباع، وكُلما تطور الإنسان تطورت تِلك التجارة، وكُلما ازدادت الحضارات نفوذاً، ازدادت حاجة الي الرقيق، وكُلما ازداد المُلاك أملاكاً، ازدادت حاجتهم الي العبيد، وظهرت الأديان بدعوات حُسن مُعاملة العبيد، ولكنها لم تدعوا الي تحريرهم، وبهذا أكدت الأديان علي الفكرة وعمقتها

وكان العبد وكل ما ملكت يداه ملكًا لسيده، وبهذا فإن أبناء العبيد سيولدون عبيداً، وأبناء الأسياد سيولدون أسياداً، وظلت العبودية تتأصل بداخل العبيد حتي أصبح العبد يستمتع بعبوديته، وأصبحت مُتعة العبد في خِدمة سيده، ولهذا فإنه لا يتمرد عليه، وذلك لان جميع احتياجاته، تتحقق من خلال عبوديته لسيده، كما أن العبد لا يشعر بعبوديته، ولا يشعُر بسيادة سيده، كما لا نشعُر نحن بحركة دوران الأرض لأننا جُزء منها، وكذلك هو الحال مع العبيد اللذين يرثون العبودية، حيثُ لا يشعرون بنظام السيد

والعبد، وذلك لأنهم جُزء منه، ولهذا لا يتمرد العبيد علي عبوديتهم، وإنما يتمرد من يبحثون عن الحُرية للعبيد، وفي الغالب فإن دعوات التحرر من العبودية تنهار على ايدي العبيد أنفسهُم

إذن فإن الحاجة الي العبودية قد ظهرت بظهور الملكية، وذلك لحاجة المُلاك الي العبيد، ولكن مع تطور الحياة، وظهور التطور التكنولوجي، وغيرها من الأمور التي أفقدت المُلاك حاجتهم الي العبيد، وهو ما ساعد على انهاء العبودية بشكلها القديم، ولكنها اتخذت اشكال أكثر تناسُباً مع شكل المُجتمعات المُتطورة

إن العبودية لا تكون للأشخاص فقط، وانما توجد عبودية من نوع اخر، وهي العبودية التي تؤكد الأديان على وجودها، وهي العبودية التي يؤمن بها أغلب سُكان الأرض، وهي عبودية جميع المخلوقات لخالقها، حيث أن الخالق يمتلك الحق الحصري في ملكية صكوك العبودية لجميع مخلوقاته، ولهذا فإنه وحده من يمتلك الحق في اصدار الأوامر لهم، وفي حالة مُخالفة تِلك الأوامر، فإنه وحده من يمتلك حق مُحاسبتهم، ويشتمل حقة على اختيار الزمان والمكان المُناسبان للحساب، ولهذا فإن جميع الخلائق قد وسمت بالعبودية، ولا مجال للخروج عنها، سواء امنوا، أولم يؤمنوا، سواء امتثلوا لأوامره، أولم يمتثلوا، سواء وافقوا علي وجودهم في الحياة أم لم يوافقوا، فإنهم جميعاً سيظلون عبيداً لخالقهم، وذلك مع افتراض وجود خالق، أياً ما كان اسمه، وأياً ما كان وصفه، ففي النهاية يجب وجود سبب لا سبب له، وإلا فلا حاجة لنا بعلُوم المنطق وعلوم إعمال العقل

ومن الجيد ان تكون عبداً لخالقك، ومن الجيد ان يظُن المخلوق بامتلاكه مساحة للحُرية، حيثُ أن العبد حُراً في الاختيار بين العديد من الطُرق المفروضة عليه، حيثُ اننا لم نصنع الطُرق، وانما اكتشفناها، ولهذا فإن جميع الطرق من صُنع الخالق نفسه، ولذا فإن العبد يظُن بانه حُر، مُجرد ظن، ولكنه في النهاية مُجبر على الاختيار، وما دام مُجبر، فإنه ليس بحُر
إن أكبر دليل الأعظم على اننا مُجبرون، هو أن جميع مشاكلنا وصراعتنا الفكرية تتلخص في طريقين أو ثلاثة طُرق فقط، وهو عدد غير كافي بالمرة لادعاء الحُرية، حيثُ نتصارع فكرياً مُنذ مئات السنين على الاختيار ما بين (هل الإنسان مُخير أم مُصير؟) هل لا يوجد طريق ثالث، وحتى من يحاول الابتكار فإنه يدعي بان الإنسان مُخير في أمور، ومصير في أمور اخري، هل هذا فقط هو حصيلة الحُرية؟ بالطبع لا، حيثُ توجد طُرق اخري، ولكننا عاجزين عن التعبير عنها، وذلك لأننا محكومين بلغات محدودة، لغات تأسست لتساعد الأنسان على التواصل بهدف توفير احتياجاته الأساسية، ولهذا فإنها لُغات فقيرة وستظل عاجزة عن التعبير عما بداخل عقل الإنسان، وسيظل الإنسان عاجزاً عن الوصول الي أي حقيقة، ما دام الإنسان لا يعرف طريقاً للتعبير عما بداخلة، سوي اللغة

أخرجني السائق من حالة الهرطقة التي كنت هائم بها، حيثُ قاطع حديثي مع نفسي، ليدعوني الي الخروج من السيارة لاحتساء الشاي مع أحد افراد القبائل البدوية في هذا المكان، وبالفعل خرجت من السيارة وشربنا الشاي بداخل الخيام، وبعد ذلك استأذنتهُم في الترجل مُنفرداً وسط الصحراء، ما بين الجبال المنصوبة، والسماء المرفوعة، والأرض المسطوحة، والأبل التي ترعى في المكان، ولم أجد وصفا ادق لما اراه الان، غير قولِه تالي (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ؛ وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ ؛ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ؛ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)

وسط الصحراء نظرت الي الأعلى حيثُ تكون السماء، وبدأت اتسأل عن شعوري بها، فإن العلم ينُص على اننا كُرة من الصخر في قلب الفراغ، حيثُ لا توجد سماء، ولا توجد سطحية للأرض، ولكن على الرغم من ذلك فإننا نشعُر بوجود السماء، إن كانت غير موجودة، ونشعُر بسطحية الأرض، وإن كانت

غير مسطوحة، ولا نشعُر بحركة الأرض، وإن كانت تتحرك، فهل في النهاية سنكون غير موجودين، ولكننا نشعُر بوجودنا؟ وهل سيكون من هو غير موجود ولكننا نشعُر بوجوده؟ أم سيكون موجود ولكننا لا نشعُر بوجوده؟ لا أعرف

وسط التأملات وجدت نفسي وحيداً وسط الصحراء، فالتفت حولي فلم ارى أي مخلوق غير الجبال الشامخات، وعلى الفور أخرجت هاتفي المحمول، فوجدت الشبكة خارج التغطية، حيثُ انقطع الاتصال، وبدون مُبالاة مني، قررت الاستمرار في السير في نفس الاتجاه الذي اسير فيه، فأنا لستُ مُهتم بالناس، ولكني مُهتم برب الناس، ولهذا قررت السير لإستكمال التساؤل والتفكير، لعلى أجد ناراً التمس منها نورا.

واصلت السير حتى وصلت الي أحد الوديان، فبدأت النظر الي الجبال الشامخات من حولي، وبدأت أشعُر بأنها تتبع سيري، وكأنها مخلوقات تسمع وتري، فتذكرت بان الله عرض عليها الأمانة ولكنها رفضت، وتذكرت بانها تستأذن الله في كُل يوم لتنطبق علينا وذلك لكثرة ذنوبنا، وتذكرت بانها مخلوقات موكله لملاك مسؤول عنها، ولهذا فإن صح القول، فإنها بالفعل تسمعني وتراني، كما كانت تسمع وتري موسي عليه السلام.
بالتأكيد كان موسي يسير في هذا الطريق، وكان يتساءل، وظل يتساءل، حتى وإن كان يتكلم مع الله تكليماً، ولكنه على الرغم من ذلك، فإنه ظل يتساءل، وظل يتشكك في وجود الله، لدرجة انه طلب رؤية الله حتى يستريح قلبه، والرائع في الامر بأن الله لم يُعاقبه على تساؤلاته، ولم يُنزل صاعقة من السماء عليه، وإنما تجلي له على الجبل، فخر موسي مغشياً عليه، ولما أفاق، قال: سبحانك تُبت اليك، وانا اول المؤمنين

يا ربى هذا موسى كليمك، كان يتشكك في وجودك، فما بالك بي؟ يا ربى سامحني على ما انا فيه، ولكنك انت من وهبتني هذا العقل، وأنت من أمرتني بالتدبُر والتفكُر، وانت من تفهمت كلام موسي، وتفهمت كلام عيسى، حينما تشكك، وستتفهم كلامي

يا أيتها الجبال انطقي وأخبريني بما تعرفين، يا أيتها الجبال، أنطقي وقولي: كيف سخركم الله لداود؟ وكيف كنتم تسبحون معه؟ وكيف كنتي تأوبي معه؟ هل كان تسبيحك معه مُجرد صدى صوت؟ ام انكم كنتم تعيشون على الأرض مثلنا؟ وتتحركون مثلنا؟ وتتحدثون معنا؟

لماذا أبيتُم أن تحملوا الأمانة؟ وما هي تِلكَ الأمانة؟ انا لا أعرف عن الأمانة التي حملتها شيئاً، فأخبروني أنتم، لم لا تنطقون؟ هل أنتُم مخلوقين من الحجارة التي تنفجر منها الماء؟ هل أنتم مخلوقين من الحجارة التي تهبط من خشية الله؟ اذن فأنتم تعرفون الله، فانطقوا وأخبروني، من هو الله؟ وما هي الأمانة التي احملها ولا اعرف عنها شيئا؟ مالكم لا تتحدثون؟ أنا خليفة الله في الأرض، وآمركم أن تتحدثوا، فتحدثوا، فأنتم مُسخرين لي، فما لكُم لا تنطقون؟

وفجأة استمعت الي صوت يُنادي من قلب الجبل ويقول (إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً) فألتفت فزعاً، ناظراً حولي، باحثاً عن مصدر الصوت، فوجدته مُنبعثاً من رجلاً كان يقف خلفي، ويسمع حديثي الجبل، فكدت أسقط مغشياً على من الفزعة، ولكنه طمئنني، بابتسامته، ثم أعتذر لفزعتي، ثم سألني قائلاً: مالك ومال الجبال؟

أنا: ومن تكون انت؟
هو ضاحكاً: تستطيع ان تُناديني بمندوب الجبال أليك

أنا: وهل أطلعك الجبال على اسئلتي؟
هو: وهل تعتقد بانك ستُسمع الحجر، من دون ان يسمعك البشر؟

أنا: وهل تملك إجابة على ما سمعته؟
هو: نعم، امتلك بعض الإجابات، ولكن دعنا نتعرف أولاً

قدمت له نفسي، ثُم اخذ بيدي والتفت، فالتفت معه، فوقعت عيني على الخيام التي كُنت أظن بأنني ابتعدت عنها، وكأنني لم ابرح مكاني، وكأنهم كانوا يستمعون هُم الآخرين الي حديثي مع الجبل، ثم قام الرجل بتعريف نفسه، وأخبرني بانه عالمٌ مُتخصص في علوم الجيولوجيا، وأنه يمتلك لقب البروفسير، بسبب رسالته عن دراسة تِلك الجبال المُحيطة بنا تحديداً، ولهذا فإنه يعرف تاريخها منذ العصرين (الايوسينى والطباشيري) حيث كانت تغمرهم مياه البحر الكبير، الذي يُعرف باسم (التيثز) والذي هو أصل البحر المتوسط الحالي

ثُم أكمل الرجل حديثه قائلاً: أنه لا يعرف ماضيها فقط، وإنما يعرف كذلك حاضرها ومُستقبلها، ويعرف عنها ما يكفي للإجابة على تساؤلاتي لها، ولكن قبل الإجابة، فإنني يجب ان اعرف بانها لا تسمع كلامُنا، ولا تتكلم بطريقتنا، ولا تري كرؤيتنا، ولهذا فلا تظن انها ستستمع اليك، وحتى إن استمعت اليك، فإنها لن تفهمك، وحتى إن فهمتك، فإنها لن تُجيب عليك، وحتى وإن اجابة عليك، فإنك لن تفقه لها قولاً

أنا: وكيف باحت لك عن ماضيها وحاضرها ومستقبلها؟
هو: باستخدام لُغة مشتركة ما بيني وبينها
أنا: وما هي تِلك اللغة؟
هو: العلم، العلم هو لغة الحوار المُشتركة ما بيني وبين الجبال، ولهذا فإن اردت ان تعرف شيئاً عن الجبال، فأطرح سؤالك عليها بشكل علمي، وانتظر بان يقوم العلم بترجمة أجابتها لك

أنا: وهل ستُخبر الجبال العلم، كيف كانت تُسبح مع يعقوب؟
هو: على الرغم من انني غير مُهتم بالبحث عن أمثال تِلك الأسئلة، ولكن دعني أرشدك على الطريق للإجابة، ولكن أخبرني في البدء بمهنة داود

أنا: اعتقد بأنه كان يعمل في صنع السيوف والدروع
هو: ومن أين تأتي المعادن لصُنع السيوف والدروع؟

أنا: من الحجر؟
هو: نعم، وقد تكون تِلك طريقة تسبيح الجبال مع صانع الدروع، وقد يكون يمتلك ابتكار خاص بهذا الشأن، ولهذا فإن قصته في القُرآن تتحدث عن تمكُنه من اذابة الحديد

أنا: وماذا عن الجبل الذي دُك خراً في هذا المكان، فهل من المُمكن أن تُطلعني على مكانه؟
هو: لماذا تشغل بالك بمثل تِلك الأمور؟ لماذا لا تُريح بالك مثل من حولك؟ لماذا تنبش في ماض ولي وفات؟ لماذا تشغل بالك بالأمس؟ لماذا تهتم بيومك وحاضرك وكفي؟ لماذا تُصر على التصادم مع من هُم حولك؟ لماذا تسعي لإفساد حياتك؟

أنا مُتعجباً: ومن اخبرك بأنني اتصادم مع الناس من حولي؟
هو: لان تِلك الأسئلة لا تخرُج إلا من نفس المشكاة التي يخرُج عنها كُل الخارجين عن المُجتمع

أنا: أنا أبحث عن الله
هو: لن تجده ببحثك في الماضي، بل بالعكس ستبعد عنه

أنا: وكيف اجده؟
هو: أنت لن تجده، ولكن هو سيجدك

أنا: وكيف سيجدني؟
هو: إذا علِمتهُ سيجدك هو، ولكنك لن تعلمه أبداً

أنا: لماذا؟
هو: لأنك لو علمته لم يكن هو، ولو جهلك لم تكن أنت، فبعلمه أوجدك، وبعجزك عبدته

يا الله، إنها نفس الكلمات، التي قالها لي صديق والدي، في بداية بحثي، وانني أشعر بنفس التأثُر الذي شعُرت به منذ سنوات، وكأنني لم ابدأ، ولم أبحث، ولم أعرف، وكأنني كُنت ادور في حلقة مُفرغة، فالدائرة مطلقة، مرتبطةٌ بالنقطة؛ النقطة مطلقة، ليست مرتبطة بالدائرة؛ نقطةُ الدائرة، مرتبطةٌ بالدائرة .

أنا: وإن كُنت لن اعلمه، فما فائدة البحث إذن؟
هو: البحث نفسه، فلولا بحثك عنه، ما كان هو، هو، ولولا بحثك عنه، ما كُنت أنت، أنت، فهو هو لِهُوَ، لا لَكَ؛ وأنت أنت لأنَت ولَه؛ فأنت مرتبطٌ به، ما هو مرتبطٌ بك؛ وعلى كُل حال، فإن كان سؤالك عن جبل مدكوك في تِلكَ المنطقة تحديدا، فالإجابة: لا يوجد؛ ولكنك قَدْ تجد جبلا مدكوك في منطقة أخرى من العالم غير تِلك، أو قد تجد هذا الجبل بداخلك انت، فأبحث عنه بداخلك أولاً، وإن لم تراه، فإنك لن تري أي جبل أخر

لم أجد ما أقوله، فسكت عن الكلام، فأخذ الرجل بيدي حتى اقتربنا من الخيام، فاستأذنني بالعودة الي استكمال عمله مع الجبال، وتمني تكرار زيارتي له، وانصرف، فعُدت الي الخيام وحيداً، حيثُ كان السائق ينتظرني بشغف لاستكمال رحلتنا الي الفُندق وسط الجبال، (وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ)

القَهْوةُ

توجهنا الى الفندق، وكان هادئا، يكاد أن يخلو من الأجانب، ولكنه ملئ بالعرب، فتوجهت الى غرفتي، واسترحت قليلاً من الطريق، ثم توجهت الى المطعم للحصول على وجبة العشاء، فلفت انتباهي حوار دائرٌ ما بين سيدة وبين أحد الطهاة، حيث كانت توبخه على خطاء اقترفه في اعداد أحد أصناف الطعام، وكانت تتحدث بصوت مرتفع وبطريقة تخلو من الذوق، فتذكرت جارتنا (أم أيفون) وهي تتشاجر مع بائع الفول، بسبب اعداده لطبق فول بالزبدة، بدلاً من الزيت، وتقديمه لها، وذلك على الرغم من انها صائمة، كما كانت تقول

كانت (أم ايفون) منا، ولهذا لم نكُن نكترث لشجارها، ولكن تِلك السيدة تُسئ لسمعة العرب أمام الأجانب الموجودين في المطعم، فحاولت التدخل، ولكنني تذكرت بإن سُمعة العرب سيئة بما يكفي، وإن وقف شجار تِلك السيدة لن يُغير من الامر شيئاً، فأكملت طعامي، ثم توجهت الي الاسترخاء قليلا، والاستمتاع بالموسيقي، بجانب المسبح، وكانت الموسيقي التي تنطلق من السماعات هي مقطوعة من مقطوعات

(كارمينا بورانا) وهي من المقطوعات التي أعشق الاستماع اليها منذ طفولتي، وذلك على الرغم من انني لا أفهم كلامها، ولكن موسيقاها كانت تبعث بداخلي إحساس مُختلف، ورغبة غريبة في التحدي، وتحديداً عند الاستماع الي المقطوعة الموسيقية (O Fortuna) والتي كانت تُشعرني كأنني مُحارب قديم، ويقف في مواجهة احد الاباطرة ويُصارعه، ويستمر طوال الموسيقي، حتي انتصر عليه مع نهاية المعزوفة

بعد ما يزيد عن الثلاثين عاماً من الاستماع الي تِلك الموسيقي، قررت الان فقط البحث عن معاني كلماتها عبر شبكة الانترنت، وكانت نتائج البحث تشير الي تاريخ كتابة تِلك القصائد في عام تعرفت على 1، بواسطة مجموعة من الخارجين عن الكنيسة في وقتها، وفي عام 1937 قرر الموسيقار العظيم (كارل اورف) استخدام اربع وعشرين قصيدة من تِلكَ القصائد، ليعيد احيائها من جديد، ويكتب لها الخلود، حتي يومنا هذا، واما عن الكلمات فقد وجدتها مكتوبة باللغة اللاتينية القديمة، ولهذا فيجب ترجمتها الي الإنجليزية، ومنها الي العربية حتي أفهم معناها، وكانت الترجمة صادمةً!! حيث كانت القصيدة التي أعشق الاستماع اليها مُنذ طفولتي، تلخص عن حديث شخص الي الإله قائلاً :

كالقمر أنت متغير، أحياناً تمنح وتزيد ودوما تمنع وتنقص، الحياة البشعة
تعطى وتمنح كما يروق لك، فالفقر والجبروت تذيبهما كالثلج
يا عجلة القدر الدائرة كم أنت خبيثة، وما السعادة معك إلا وهم سرعان ما يتلاشى
ها أنت تقتصينني الآن حسب قواعد اللعبة، فأجرد ظهري عارياً لسياط قسوتك
حانت الساعة بدون تأخير لعزف الاوتار، وحيث القدر سيضرب عازف الاوتار
فابكوا معي جميعاً؛ أبكوا معي

هل يُعقل ان أكون استمتع بتِلك الكلمات لمُدة تزيد عن الثلاثين عاماً، من دون ان اعرف معناها؟ هل يُعقل ان يكون اغلب الناس من حولي، يعشقون تِلك الموسيقي ويرددون كلماتها من دون ان يفقهوا معناها؟ ولكنهم لم يفقهوا حديث الله لهم، فهل سيهتمون بمعرفة قصائد (كارمينا بورانا)

كان لي بعض الأصدقاء من الملتزمين دينياً، واللذين كانوا يحرمون الاستماع الى الأغاني، ويعتبرونها من لهو الحديث، ولكنهم كانوا يستمعون الي تِلكَ المقطوعات، لعذوبتها، وجمالها، وكأنها مُسربة منِ الجنة، بل ان الكثير من الاعمال الفنية التي تُقدم في شهر رمضان المُعظم، كانت تقتبس من تِلكَ المقطوعات موسيقاها، فماذا لو عرف الناس معاني الكلمات؟

أتذكر أحد المشايخ اللذين خصصوا خُطبة جمعة كاملة، للرد على الشاعر الذي قال في احدى قصائده (قدر أحمق الخطى، سحقت هامتي خُطاه) حيثُ نال الشاعر قدرٌ كافي من لعنات الشيخ في تِلك الخُطبة، وذلك لأنه قال فقط (قدرٌ أحمق الخُطي) فما بالك بمن قال (كالقمر أنت متغير)؟ هل كانت ستصدر الفتاوي بقتل المُلحن والشاعر والعازفين، واحتمال كبير أهدار دم المُستمعين، وكانت الأقلام ستُطالب الدولة بإصدار قرار لمصادرة جميع أعمال (كارمينا بورانا)، كما كانت المقالات ستتنافس للرد على (كارمينا بورانا) وبالتأكيد سيكون عنوان أحد المقالات هو (الرد بأمانه على شُبهات، كارمينا بورانا)

يبدوا انني أحتاج الي كوبٍ من القَهْوةُ، حتى أتغلب على أعراض هذا الصُداع، فتوجهت الي مكان إعداد المشروبات، وتحدثت الي النادل وطالبته بإعداد كوب من القَهْوةُ، وبدأ النادل في إعدادها، فنظرت الي زجاجات الخمر من خلفة، فوجدتها وكأنها تزينت للناظرين، وكأنني أقف بداخل صيدلية ومن أمامي أجد ادوية علاج الصُداع والمُسكنات، ومضادات الاكتئاب، وعلى الرغم من أنني أقلعت عن الخمر منذ فترة طويلة، وذلك من بعد إعلان الحرب ما بيني وبينها، إلا أنني قررت اعلان الهدنة المؤقتة ما بيننا، وذلك

ابتداء من الليلة، مع العمل بقرار الهُدنة من لحظته وتاريخه، ليعم السلام علي عقلي من جديد

توجهت للحصول على (القَهْوةُ) التي نُطلقها اليوم علي البن المغلي، ولكنني سأحصل عليها بمعناها القديم، حيثُ أن (القَهْوةُ) كانت تُطلق على الخمر، ولهذا فإن الخمر والقَهْوةُ، يحملان نفس المعني، في نفس اللغة، وباستغلال تِلك اللغة، وتِلك الكلمات حمالة الأوجه، ارتفع شأن الكهنة من تُجار الدين، وذلك لظهور الحاجة الي رجال الكهنوت من العارفين بعلوم اللغة، فانتقلت علوم الدين من الصالحين، والعارفين بالله، الي العارفين بعلوم اللغة، لتأويل كلام الله، وذلك على الرغم من الله اختص علم التأويل لنفسه، ولم يُطلع عليه أحد من العالمين، والدليل فواتح بعض السور، والتي لا يعلم تأويلها إلا الله، ولكن المُنتفعين بكتاب الله يؤكدون علي معرفتهم بما أخفاه الله، لحِكمة منه وخده سُبحانه وتعالي

كل هذا الحوار بسبب كوب من القَهْوةُ، يبدو ان القَهْوةُ هي الحل الأمثل حاليا لوقف عقلي عن تِلكَ الفلسفة الفارغة، التي لت تُجدي شيئاً، ولهذا وجب البدء الفوري في تطبيق معاهدة السلام، ما بيني وبين القهوة، ولكنني أري امامي الأن صديقي الطبيب وهو يلومني على العودة الي شُرب الخمر، ولكن سأدع كلمات (ابى نواس) ترد عليه قائلاً :

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فإنّ اللّوْمَ إغْرَاءُ؛ ودَاوني بالّتي كانَتْ هيَ الدَّاء
صَفراءُ لا تَنْزِلُ الأحزانُ سَاحَتها؛ لَوْ مَسّها حَجَرٌ مَسّتْهُ سَرَّاء

كانت الخمر وكأنها مُشتاقَةً تَسعى إلى مُشتاقٍ، فضَحِكَت إلَى مِنَ السُرور، وَلَم تَزَل بِنتُ الكُروم كَريمَةَ الأعراق، فَحَذارِ مِن دَمِها الزكي تَريقُهُ، يَكفيكَ يا قاسى دَمُ العُشاق، فهاتِها وأسقيني يا ساقي، مُشتاقَةً تَسعى إلَى مُشتاقٍ، إن اللهَ غَفّارُ الذنوبِ جَميعِها، إن كانَ ثَمَّ مِنَ الذنوبِ بَواقي، هاتِ اِسقِنيها غَيرَ ذاتِ عَواقِبٍ، حَتّى نُراعَ لِصَيحَةِ الصَفّاق، فبِالأمسِ كُنّا سجيني طاعَةٍ، وَاليَومَ مَنّ العيدُ بِالإطلاقِ، فهاتِها وأسقِنّي يا ساقي، مُشتاقَةً تَسعى إلى مُشتاقِ

يبدوا أن تأثير الخمر كان عظيماً، لدرجة انني لا أقوى على الحركة، وفي تِلك اللحظة اقتحمت المشهد امرأة ترتدي ملابس مُثيرة، ويبدوا أنها أجنبية، ولكنها تقف الان مع رجل يضع تميمة اليهود أعلي رأسه، ولهذا يبدوا أنها (إسرائيلية) ولكنها تتحدث الي النادل الان باللغة الإنجليزية، وطلبت منه قهوة من التي أشرب منها، وجلست وحدها في المقعد الموازي لي، فشعُرت برغبة في التواصل معها، حيثُ انني أرغب في التعرف علي أفكار اليهود من اليهود انفسهم، أرغب في التعرف علي نظرتهم لنا كعرب، فهل ينظرون لنا بنفس النظرة التي نحتقرهم بها؟ وهل يعتقدون حقاً بأن المسيح هو ابن زنا؟ وهل يعتقدون بأننا اقتبسنا ديننا من دينهم؟ هل يصفونا بأبناء القردة والخنازير مثلما نصفهم؟

تسببت الخمر في نسياني لكُل اللغات التي اجيد التحدث بها، بما فيها اللغة العربية، فلم أستطيع التحدُث اليها، فشربت كأسها ونظرت لي، ثُم انصرفت، ولكنها اتخذت طريقاً غريباً للانصراف، حيثُ قررت أن تمُر من أمامي، فما كان مني إلا أن أضربت مؤخرتها بيدي، وانا في قمة الغياب عن الوعي

فالتفتت، فوجدتني مبتسماً ببلاهة غريبة، فتبسمت بتعجب من جرأتي، فحاولت التحدُث اليها، ولكني لازلت فاقداً لذاكرتي اللغوية، فحاولت الوقوف للخروج من تِلك الحالة، فسقطت على الأرض، فحاولت مُساعدتي، على الوقوف مُجدداً، وأجلستني على مقعدي ثانياً، وجلست بجانبي، وتحدثت لي قائلة (أنت سكران طين)

ما كان مني غير ان تساءلت عما إن كَنت تعلمت اللغة العِبرية، ولهذا فأنا أفهم كلامُها؟ أم ان اللغة العبرية تُشبه اللغة العربية، ولكننا نُعقد الأمور على انُفسنا؟ أم انها تتحدث أصلاً باللغة العربية؟ فحاولت الرد عليها، ولكنني انفجرت في الضحك، فشاركتني الضحك، ثُم حاولت التحدُث مُجدداً ولكنني عجزت، فأرسلت لها قُبلة في الهواء، فارتفع صوت ضحكاتُها، وكأنها تُعلن اعجابها بكل ما فعلت

هل هي تُقدر حالة السُكر التي أمر بها الان؟ أم انها هي الأخرى تمُر بنفس الحالة؟ ولكن ما الذي دفعني للتحرش بها بتِلك الطريقة؟ إنها المرة الاولي في حياتي التي أقدم على تِلك الفعلة، فهل بسبب الخمر؟ ولكنى لست حديث عهد مع الخمر، وإنما أنا لازلت أحتفظ بميراث يُبيح لي كُل شيء مع نِساء أعداء الله، ولهذا تجرأت عليها، ويبدوا ان نِساء اليهود يفضلون الرجل الجريء، ولهذا فهي تبتسم

أنا سكران بشكل مُهين، ولكني يجب ان اخرج من تِلك الحالة باي شكل، ولهذا حاولت الوقوف مُجدداً، فودت السبيل الي الخروج من تِلك الحالة، ولكن يجب أولاً أن أتقدم لها بالاعتذار عما فعلت، فحاولت النُطق فلم أتذكر، فضممت راحتي يداي، ووضعتهم أسفل ذقني، وانحنيت لها واغمضت عيني كمحاولة للاعتذار على الطريقة اليابانية، فابتسمت، وتحدثت لي، ولكنني لم افهم أي كلمة من حديثها، فانصرفت من امامها

جاءت من على يساري، ووضعت يدها اليُمني علي جنبي الأيمن، ويدها اليسرى علي كتفي الأيسر، محاولتاً مُساعدتي على السير بشكل صحيح، أو بمعني أدق للتحرك في الاتجاه الصحيح، حيثُ كُنت في طريقي الي المسبح، ولكنني رفعت لها يدي، وأشرت لها بأن الأمور على ما يُرام، وأنني سأتولى أمر نفسي بنفسي، فابتسمت، فتركتها وأكملت طريقي في اتجاه المسبح، فألقيت بنفسي به محاولا العودة الى الحياة مُجدداً

في الماء، بدأت حواسي تعود من جديد، وكان أولها هو حاسة السمع، حيث سمعت صوت تصادمي مع المياه في المسبح، ثم بدأت اشعر ببرودة المياه، ثم فقدت قدرتي على التنفس، وذلك لوجودي تحت سطح الماء، ثم عادت حاسة النظر الي العمل، وبدأت أرى فقاقيع المياه المنبعثة من محاولاتي للتنفُس، وتلاها عودة حاسة السمع، حيثُ استمعت الي صوت ضغط الماء، وبواقي موجات اصطدامي بسطح الماء،

وعادت الذاكرة الي العمل، ولكنها عادت من نُقطة الصفر، حيثُ تذكرت وجودي في بطن والدتي، حينما كنت جنينا، اتنفس من خياشيمي، وتذكرت صوت دقات قلب والدتي، والتي كانت تُشبه نفس دقات قلبي الأن، وتذكرت الجنة التي كنت أعيش فيها، تِلكَ الجنة أحصل فيها على جميع مطالبي، حتى طُردت مِنها، وخرجت الى الحياة

خرجت من خارِج المسبح، فأزحت الماء من على عيني، وكان أول وجه اراه هو وجه المرأة الإسرائيلية، حيثُ كانت تقف بجانب المسبح، وتمُد يدها لي حتى اخرج، فأمسكت بيدها وخرجت، وكان أول صوت أستمع اليه هو صوتها وهي تطمئن على سلامتي، وكانت لكنتُها العربية، أقرب الي اللكنة الشامية، وهي نفس اللكنة التي كنت اشاهد الفتيات الإسرائيليات يتحدثن بها في الاعمال الدرامية والسينمائية، حيثُ لم أكن أعرف شيئاً عن الفتيات الإسرائيليات سوي شكلهم كفتيات عاهرات، يُجند الجواسيس، ويتحدثن باللكنة الشامية، او العربي (المكسر)

أخيراً نطقت باللغة الإنجليزية، وتقدمت بالاعتذار لها عما بدر منى، وبصدر رحب أخبرتني بانه لا يوجد أى مشاكل، وأنها تقدر الحالة التي كنت عليها، وأنها هي الأخرى تمُر بنفس الحالات، وتقوم بتصرفات

غريبة، فسألتها وهل تضربين أحد على مؤخرته كما فعلت معك؟ فضحكنا، وبدء التعارف، واخبرتها بأسمى، وأخبرتني باسمها، وقد كان يبدو عربيا بعض الشيء

سألتني عن سبب استخدامي للغة الإنجليزية، ففسرت لها أنني اتحدث بها حتى تفهم كلامي، فقالت لي بانها تتحدث اللغة العربية، ثم تحدثت بنفس لكنتها الشامية، وفي لحظة واحدة عادت لي حاسة الشم، حيث بدأت اشم رائحة عطرها المُثير من بعد اقتربت في إتجاهي أكثر، وعادت باقي الحواس التي لا داعي لذكرها الان، ولكنني كُنت في أحسن حال، ويبدوا ان لغُرف الفنادق تأثير كبير على أدائي

بعدان جففت ملابسي في غُرفتها، توجهت الي غُرفتي، وفي لحظة واحده كنت غارقاً في النوم، ورأيت فيما يري النائم، أننى أعيش في عصر المصريين القُدماء، ودخلت الي أحد المعابد التي كانت تتشابه مع الكنائس والمساجد، حيث كانت تُبني كبيوت للإله في الأرض، ولهذا فإنها يجب ان تتمتع بالفخامة، كتِلك التي يسكُن فيها الإله بالسماء

وبداخل المعبد كان يتواجد جميع المشايخ والقساوسة اللذين التقيت بهم في حياتي، ولكنهم كانوا بدون لحي، وكانوا بدون أي شعر في جسدهم، ولكنهم كانوا يحصلون من الناس الأموال، في مقابل اعطائهم بردية تضمن لهم المرور من عذاب القبر، وعدم التعرض للدغات العقارب، أو الثعبان الأقرع، وبردية اخري تضمن لهم سلامة الرحلة مُنذ لحظة البعث، وحتى بداية الحساب، وبردية اخري تضمن لهم المرور من الحساب والفوز بالجنة

كان هذا اليوم هو أول أيام عملي بداخل المعبد، وكُنت أعاني من إزالة شعر جسدي بالكامل، بواسطة السُكر المعقود بالعسل، وكانت الفتاة الإسرائيلية هي من تقوم بإزالة الشعر عن جسدي، وتألمت كثيراً في وقت إزالة شعر العانة، ولكنها كانت (حفافة) ماهرة، وتمكنت من إلهائي عن الألم

المهم هو انني استلمت العمل في قسم تصنيع أوراق البردي، وكان طموحي كان أكبر من هذا بكثير، غير أن الترقي بداخل المعبد، امر مُستحيل، ولكن علاقتي بزوجة أحد كبار العاملين في الدولة، قد حقق لي المُراد، وحصُلت على ترقية الي قسم الكتبة، وهو القسم الذي كان يضم كاتبي البرديات، ولكن لازال طموحي أكبر من هذا بكثير، فقررت الاستئذان في الحديث الي كبير الكهنة، فأذن لي، فتحدثت اليه قائلا:

أنا: أمتلك فكرة جيدة لنُزيد مبيعات البرديات بنسبة كبيرة
الكاهن: وما هي الفكرة؟
أنا: إن السبب في قله مبيعات البرديات، هو ان الناس لا تمتلك ثمن شراء الثلاثة برديات الخاصة بالمرور من كُل مرحلة، ومن يمتلك شِراء واحدة يفقد الامل في شِراء الثانية والثالثة، ولهذا فإن اغلب الناس تهتم بِشراء البردية الخاصة بحساب ماعت، ولا يُنفقون على البرديتين الثانيتين، ولكننا من المُمكن أن نجمع الثلاثة برديات بداخل كتاب واحد، ونبيعه بسعر برديتين فقط، بحيثُ نُجبر من يرغب بشراء بردية ماعت، أن يدفع ثمن برديتين ويفوز بالثالثة مجاناً، وهو ما سيجلب لنا شريحة أكبر من الناس، ولكنهم يعجزون عن شِراء الثلاثة برديات، وسنُجبر من يرغب في شراء بردية في شراء الثلاثة بنفس سعر البرديتين، وبهذا سنُحقق مبيعات أكبر، وبالتالي أرباح أكبر

الكاهن: أين تعمل؟
أنا: في قسم كتابة البرديات

الكاهن: ستنتقل اليوم الي قسم خدمة الإله، وسأحتفظ بك لنفسي، ولكن في البدء أرغب منك في ان تقوم بأعداد البرديات الثلاثة بداخل كتاب واحد

أنا: وماذا عن اسم الكتاب؟
الكاهن: سيكون أسمه (كتاب الخروج الي النهار)

توجهت الي غُرفة كتابة البرديات، وبدأت في تجميع البرديات الثلاثة، وفي نفس اللحظة استمعت الي طارقاً ينادى قائلاً: (خدمة الغرف) ففتحت عيني وأدركت بان عامل النظافة يرغب في تنظيف الغُرفة، فقررت الاستيقاظ والتوجه الي المطعم للحصول على كوب من البُن المغلي للتخلُص من ألم الصداع

كتاب الموتى

توجهت الى المطعم للحصول على وجبة الإفطار وشرب البن المغلي، وكنت اسير سارحا شاردا، مُحاولاً تذكر الحلم الذي راءيته بالأمس، وأمام باب المطعم، اصطدمت بشخص ما، نتيجة عدم تركيزي، أو عدم تركيزه، ويبدو ان كلانا كان شارداً، حيث بادر كلانا بالاعتذار للآخر، وبتلقائية انحنيت في اتجاه الأرض للامساك بما سقط عليها نتيجة الاصطدام

أمسكت بهاتف محمول، وكتاب، وحينما استقمت نظرت الي صاحب الكتاب فوجدت، وجهاً أعرفه، فحاولت أن أسترجع ذاكرتي، فتذكرت بان صاحبة هي نفسها المرأة التي كُنت مُستاء من طريقة تعاملها مع النادل بالأمس، والتي ذكرتني بطريقة (أم ايفون) في التعامل مع بائع الفول، فاعتذرت لها في عُجالة، ومددت يدي اليها بالهاتف المحمول والكتاب، وصرفت عيني عن وجهها، ونظرت الي الكتاب بدلاً منها، وإذ بعيني تسقط على عنوان الكتاب مكتوب باللغة العربية وقد كان (كتاب الموتى)

تذكرت الحلم وكل تفاصيله، فنظرت اليها مُجدداً، وبسطت قبضتي على الكتاب، في محاولة مني للربط ما بين الحلم، والكتاب الذي يحمل نفس عنوان الكتاب الذي رائيته في المنام، ثم تركت الكتاب لها، ولكنها لاحظت قبضتي على الكتاب، وتطفُلي على قراءة العنوان، فاعتذرت لها، فهزت رأسها كنوع من أنواع التعبير عن قبول الاعتذار، ثم فتحت لها باب المطعم لتتقدم بالدخول أمامي، فابتسمت، ابتسامة تعبير عنِ الشكر، فدخلت الي المطعم، وتقدمت امامي، وكعادتي لاحقت مؤخرتها بعيني، ولا اعرف السر وراء تِلكَ العادة

لو لم أكن اشعر بالاستياء من تصرفها بالأمس، لكُنت أجزمت على انها امرأة رائعة، وجذابة، ولكُنت تحدثت اليها بخصوص فحوى هذا الكتاب، ولكنها لو كانت من الحور العين، لطلبت الدخول الي النار لأتخلص من أسلوبها في التعامل، ولكنني في النهاية لم أستطيع ان امنع نفسي من الجلوس بجانبها، فسمعتها تتحدث الي أحد العاملين، وتسأله عن الطاهي الذي تشاجرت معه بالأمس، وفور وصوله، قامت بالاعتذار له عن سلوكها معه بالأمس، وقد قبل الطاهي اعتذارها، واقر بخطائه

أنا أيضاً، قررت تقبل اعتذارها عما بدر منها بالأمس، وذلك على الرغم من انها لم تعتذر لي، ولكنني تقبلت اعتذارها، والتمست لها (العُذر) حيث أن النساء يعانون من سوء الحالة المزاجية في أوقات

الطمث، وذلك نتيجة لانخفاض البروجيسترون أو إرتفاع الأستروجين، وقد تكون هي الان في تِلك المرحلة، هو واضحاً على صُفرة لون وجهها

وقفت فنظرت لي، فنظرت اليها وأشرت له بيدي، ومشكلة شكل الكوب، واخبرتها بأنني سأحضر المزيد من القهوة، فهل ترغب في بعض القهوة، فردت قائلة بأنها لا ترغب في تعبي، فسألتها عن السُكر، فأخبرتني بانها تُفضلها خالية من السُكر وخالية من اللبن، فتوجهت الي ماكينة القهوة، وضغطت على زر اعداد القهوة، وإذ بشفاه تُقبلني في جانب رقبتي، ويد تُغطي عيني
أيُعقل ان يكون الامر بهذه البساطة؟ أيُعقل أن تُقبلني في رقبتي بهذا الشكل، لمُجرد انني عرضت كوب من القهوة؟ وفي نفس لحظة تساؤلي، كانت رائحة العطر تُجيب، أنها رائحة عطر الفتاة الإسرائيليةً، فأمسكت بيدها وقبلتها، ونظرت الي الطاولة لأنظر الي الفتاة العربية، حيثُ أعرف غيرة نساء العرب، فوجدتها مشغولة بالتهام وجبة الافطار، فُعدت الي اليد التي امسكها بيدي، وقبلتُها، فقبلتني وقالت

الإسرائيلية: كُنت سأحزن لو لم التقي بك، قبل السفر، فخبطت عليك في غُرفتك فوجدت عامل النظافة، فتأكدت من أنك تتناول افطارك هُنا، فجئت لأودعك قبل السفر
أنا: ومتي ستُسافرين؟
الإسرائيلية: بعد قليل

أنا: خُسارة، كُنت اتمني تطبيع العلاقات ما بيننا بشكل أفضل
الإسرائيلية ضاحكة: المرة القادمة سأنتظر زيارتك لنا

أنا مُستنكراً: في إسرائيل
الإسرائيلية متعجبة قائلة: إسرائيل! ولماذا نلتقي في إسرائيل؟

أنا: الستِ تُقيمين في إسرائيل؟
الإسرائيلية مُستنكرة: ولماذا تظُن بأنني أعيش في هذا الكيان المُحتل؟

أنا: الستِ بإسرائيلية؟
الإسرائيلية: بالطبع لا، انا عربية مُسلمة، وأعيش في لُبنان، هل لازلت سكران من الأمس؟

أنا: لا ولكني شاهدتك بالأمس تقفين مع رجُل يضع (الكي باه) على رأسه، فحسبتكم سوياً
اللُبنانية ضاحكة: ألم أقل لك بانك كُنت (سكران طين) لقد أوقفني هذا الرجُل، وسألني عن نوع عطري لأنه يرغب في شراءه الي زوجته، أنت مجنون

أنا: إذن فلتنتظري زيارتي لك قريباً في لُبنان، فأنت على بعد (فشخة) أو (فشختين) من هُنا
اللُبنانية: انفجرت في الضحك، وقبلتني وانصرفت، من بعدان تبادلنا أرقام الهواتف

عُدت الي اعداد القهوة من بعد ان انشغلت بالفتاة اللُبنانية التي حولتها الدراما الي فتاة إسرائيلية، ثُم توجهت الي الفتاة العربية، فلم اجدها، وكما توقعت هكذا هُن نِساء العرب، شعُرت بالإهانة لمُجرد أنني تأخرت عن احضار القهوة لها بسبب حديثي مع امرأة غيرها، فليذهبوا جميعاً الي جهنم، باستثناء اللُبنانية صديقتي الجديدة

احتسيت كوبان القهوة، ثُم خرجت من المطعم بنية التوجه الي الشاطئ، وبجانب المطعم، وجدت مكتبة،

فتوجهت اليها، وسألت البائع عن كتاب الموتى، أو الخروج الي النهار، فأبتسم البائع قائلا: إنه يمتلك نُسخة من هذا الكتاب مُنذ عامين، واليوم فقط ومُنذ دقائق، قد تم بيع الكتاب، وبعد بيعه يأتي شخص أخر للسؤال عنه، شكرته وابتسمت له ابتسامة (صفراء) ثم انصرفت في اتجاهي الى الشاطئ للاستمتاع والتأمل، والسؤال عن الرحلات البحرية

جلست على الشاطئ، واستخدمت الأنترنت للبحث عن كتاب الموتى، فلم أجد، ولكنني وجدت مقالة تتحدث عن الإله (أتون) الإلَه الواحد الأحد، الذي لا إله غيره، الذي يمتد نورة على الأرض، الذي لا شبيه له، الإلَه الظاهر الباطن، الذي خلق الدنيا حينما كان وحده، فتوقفت عن القراءة، وبدأت في تذكر الوصف القرأنى للإله، وشعُرت بأن المصريين القُدماء كانوا يعبدون نفس الإله الذي دعت له كُل الأديان، ولكن كيف يقول الناس بأن المصريين القُدماء كانوا يؤمنون بالأساطير، فكيف تكون الأساطير هي نفسها ما تنُص عليها الأديان؟

استكملت بحثي عن ديانة المصريين القُدماء، فظهرت لي نتائج مُصورة عن صلاتِهم، والتي كانت تتكون من الركوع والسجود، والتي هيا نفسها صلاة كل من دعي الى عبادة الإلَه الواحد، وتذكرت تمثال ايزيس وهي ترضع رضيعها حورس، ابن الإلَه اوزوريس، وتذكرت عذاب القبر، والثعبان الأقرع، وبدأت في تذكُر الحلم، وتذكرت كتاب الخروج الي النهار، فوجدته مُقدماً أمام عيني، فنظرت اليه ثُم نظرت الي من يُقدمه، فإذ بها المرأة العربية، تقف أمامي وتُقدم لي الكتاب وتستأذني في الجلوس معي، فرحبت على الفور، فتحدثت لي قائلة :

العربية: لاحظت اهتمامك بالكتاب، فذهبت الي المكتبة، فوجدت نُسخة منك، فقررت اهدائها اليك، فهل مُلاحظتي صحيحة؟
أنا: لم أكن أعرف أي شيء عن هذا الكتاب، ولكنني بالأمس رأيته في المناك، فاستيقظت فوجدته ساقطاً امامي على الأرض، فأمسكت به، وقدمته لك، ولهذا فإني لست مُجرد مُهتم به، بل حريص على الإطلاع عليه

العربية: إذن دعني أقراء لك بعض العبارات التي استوقفتني في الكتاب، والتي أجبرتني على استخدام القلم لتميزها عن كل ما هو مكتوب في الكتاب
أنا: تفضلي

السلام عليك أيها الإلَه الأعظم إله الحق؛ لقد جئتك يا إلهي خاضعا لأشهد جلالك، جئتك يا إلهي متحيلا بالحق، متخليا عن الباطل، فلم أظلم أحدا، ولم أسلك سبيل الضالين، لم أحنث في يمين ولم تضلني الشهوة فتمتد عيني لزوجة أحد من رحمي، ولم تمتد يدي لمال غيري، لم أكن كذبا ولم أكن لك عصيا، ولم أسع في الإيقاع بعبد عند سيده.

إني (يا إلهي) لم أوجع ولم أُبكي أحدا، وما قتلت وما غدرت، بل وماكنت محرضا على قتل، إني لم أسرق من المعابد خبزها، ولم أرتكب الفحشاء، ولم أدنس شيئا مقدسا، ولم أغتصب مالا حراما، ولم أنتهك حرمة الأموات، إني لم أبع قمحا بثمن فاحش، ولم أغش الكيل، أنا طاهر، أنا طاهر، أنا طاهر. وما دمت بريئا من الاثم، فاجعلني يا إلهي من الفائزين

توقفت كثيراً عند نفس الجُمل التي توقفت عندها، واستمر حديثُنا، حتى موعد وجبة الغذاء، فتوجهنا سوياً الي المطعم، وخلال الطريق، راعيت سائق شركة السياحة بداخل الفُندق، وكان يمسك بكاميرا هاتفه ويقوم بالتصوير، وفيما يبدوا انه يُصور النِساء على الشاطئ، وحينما رآني، أخفي الكاميرا،

فأشار لي بالتحية، فرددتها له، وواصلت حديثي مع صديقتي بشأن كتاب الموتى، وأطلعتها على رحلتي في البحث عن الإله، وأطلعتها بأجزاء من مُذكراتي معه

شاركتني هيا الأخرى أفكارها، وهموها، ووجدتها تحمل نفس الأفكار، ولكنها توسعت في البحث، عن أصل فكرة وجود الإله، وكانت البداية في مصر القديمة، أو(كيميت) حيثُ ظهرت فكرة وجود الخالق، وظهرت قصة خلق الكون، وظهرت قائمة المعبودات، وظهر الدين، وظهرت العبادة، وظهرت بيوت الإله في الأرض، وظهر الضمير، فبدأ كُل شيء،

وهو نفس ما حدث في الحضارات البابلية والأشورية، وجميع الحضارات القديمة، والغريب في الأمر هو تشابه الأفكار الخاصة بالإله في جميع الحضارات القائمة في هذا الوقت، وذلك على الرغم من ان جميع الحضارات لم تتلاقي في مرحلة خلق الإله، ولكن العقل البشري توصل وحده الي نفس النتائج، وذلك مع عدم وجود أي أثار تدُل على هبوط الرسُل والأنبياء على سُكان تِلك الحضارات في هذا التوقيت، ولهذا فإن العقل توصل من دون وحي الي نفس الأفكار ونفس المُعتقدات التي أتت بها جميع الرسالات السماوية

أنا: هل تعلمي بأننا نتحدث سوياً مُنذ ما يزيد عن ثمانية ساعات، تحدثنا فيهم عن مُذكراتنا وهمومنا وما يشغل أفكارنا، وعلى الرغم من ذلك، فأنا لا أعرف أسمك حتى الان
العربية، ولكنني أعرف أسمك

أنا: وكيف عرفتيه؟
العربية: استمعت الي الفتاة التي كُنت تقف معها في الصباح وهي تودعك باسمك

أنا: اعتذر عن تأخير القهوة في الصباح، فالأمر لم يكُن بيدي
العربية: أقدر موقفك، لست في حاجة الي الاعتذار، على كُل حال أنا أسمي (ماربيلا)

أنا: أربيلا! أسم جميل، ولكن ما معناه
أربيلا: الاسم يعنى ملاك أو رسول مبعوث

أنا: وهل أصل الاسم فارسي ام عربي؟
أربيلا: عبري

أنا: اسم جميل، ومن الجيد ان يختار والدك اسم كهذا، فنحن في مُجتمعاتنا نحاول صبغة الأسماء بصيغة دينية بحته، فتجد المسلمين يختارون أسماء ترتبط بتاريخ دينهم، فمثلاً تجدهم يختارون اسم مُحمد وعُمر وعلي، لأسماء الذكور، وخديجيه وفاطمة لأسماء الإناث، وذلك على الرغم من ان تِلك الأسماء قد نُسبت لهم من أيام الجاهلية الاولي، أي قبل ظهور الإسلام أصلاً، وكذلك هو الحال مع جميع الديانات وجميع الرسُل، وفي النهاية الأسماء لا تُعبر إلا عن بيئة عربية أو فارسية أو غربية

ماربيلا: اتفق معك، ولكن والدي اختار لي هذا الاسم بدافع عُنصري، لدينه، فأنا يهودية إسرائيلية

ابتلعت ريقي، وأظهرت ابتسامة بلهاء على وجهي، في مُحاولة لإخفاء صدمتي، أيُعقل بأن تكون تلك المرأة التي كانت(تردح) بالأمس للطاهي، إسرائيلية؟ أنها تتحدث باللكنة المصرية كسُكان (روض الفرج)، أيُعقل بأن تكون تِلك الملامح إسرائيلية؟ أنها تشبه الفتيات العاملات بمحلات (وسط البلد)، وهل

كَل من اعتقد بأنهم عرب في الفندق، سيكونون إسرائيليين؟ في حين ان من اعتقد بانها إسرائيلية، كان عربية، أيُعقل بأن تكون تِلك المؤخرة إسرائيلية؟

ماربيلا: ما بك؟
أنا: مصدوم
ماربيلا: لأنني إسرائيلية؟
أنا: لا، بل لأنني اكتشفت فشل نظرية علمية، كُنت اعتقد بصحتها

ماربيلا: وما هي تِلك النظرية؟
أنا: نظرية المؤخرة
ماربيلا: وما هي نظرية المؤخرة؟
أنا: كُنت اتعرف على الجنسيات من النظر الي مؤخرتها، وكُنت على يقين من أنك مصرية

ماربيلا: وهل طبقت نظريتك على كل من في الفندق؟
أنا: تقريبا نعم، ولكن يبدو انني في حاجة الي إعادة النظر مرة اخري
الحقائق

ضحكنا في محاولة لكسر الجدران التي وضعت بيننا فجأة، لمجرد انها إسرائيلية، ولمجرد أنني عربي، وفى تِلكَ اللحظة تذكرت العشاء الأخير، وتذكرت البروفسير صاحب كتاب العقل الباطن، وتذكرت خليلتي، وحب عمري، وشعرت بالجرح ينبض من جديد، وتذكرت كيف فقدتها، وكيف فقدتني، ولكنني لن اسمح بتكرار هذا الموقف ثانيتا، فالمؤمن لا يُلدغ من جُحرٍ مرتين

ماربيلا: للعلم بالشيء ليس إلا، أود ان أخبرك بان نظريتك صحيحة، ولست في حاجة الي أعادة النظر، فأنا من أصول مصرية، حيث أن ابى وأمي، وجدودي كلهم مصريين، وهذا هو سر لكنتي المصرية، حيثُ ترك ابى مصر مع جدي بعد عام 1952 حينما تحول اليهود فجأة الى خونة، والى أعداء، حتى لو كانوا مصريين الأصل، ولكن ديانتهم كانت سبب لاتهامهم بالخيانة، ثم سافرنا الى أمريكا، ثم الى إسرائيل، وحتى اخر يوم في حياة أبى كان يفتخر بانة مصري، وان جدوده هم الفراعنة، وانه ينتمي الى أول حضارة تدعو الى التوحيد، والي الحضارة التي نقلت الأديان الحديثة مما نُقش على جُدران معابدها، سأخبرك بسر
أنا: تفضلي

ماربيلا: انني لازالت أعرف بعض اقاربي المُقيمين في مصر، ولكنهم بدلوا ديانتهم في البطاقة ليتمكنوا من العيش في سلام وسط احتقار اليهود، ولكنهم لازالوا يهود رغم انفهم، حتى لو اعتنقوا المسيحية ودفعوا من أموالهم الى الكنائس، فهُم يهود العرق

نطقت لي بأسماء بعض رجال الأعمال البارزين، ثُم انتقل الحديث عن القضية الفلسطينية، ولا مجال للتجارة بكلمات العروبة التي ذكرتها لها، وعن رفضي الكامل لكل ما يحدث من عُنف، وهذا هو موقفي الشخصي، ولا احتاج الى إضافة المزيد من الجمل والعبارات المُستهلكة، ولكننا في النهاية كنا متفقين على كل ما نادت به الإنسانية

تحدثنا عن موسى وفِرعون، وعن خلو جميع سجلات التاريخ من ذكر وجود موسي، وجميع الأحداث التي نصت التوراة على وجودها، بما فيها واقعة شق البحر، وغرق فرعون، وتحدثنا عن خلو عدم وجود أثار تاريخية حقيقية، لأغلب الأنبياء، ولكن هذا لا ينفي من وجودهم، ولكن يجب التسليم بان التاريخ لا يعترف بوجودهم، إلا في حالة واحدة، وهي إدراج الكُتب السماوية ضمن المراجع التاريخية

وتحدثنا عن سُليمان الملك، وعن داود، وعن مزاميره التي نُقلت بالحرف من أناشيد اخناتون، وتعمقنا في الموضوعات حتى وصلنا الي معاوية بن ابي سُفيان، ويزيد أبنه، وأبي الأسود النُقلي، والحجاج بن يوسف، ومحاكم التفتيش، والمسجد الأقصى، الذي تم بناءه في عهد المروان بن عبد الملك، وعن إيليا، وعن الإسراء، والمعراج، وعن التطابق ما بين الشريعة اليهودية الإسلامية، وغيرها من الموضوعات التي يحتاج كُل موضوع منها الي مذكرات مُنفصلة

تحدثنا عن جميع الموضوعات التي تشغل بالي، وتشغل بالها، تحدثنا في جميع الموضوعات التي قد تُقربنا على المستوي الإنساني، وتجنبنا الحديث عما قد يُفسد علاقة الاحترام فيما بيننا، تحدثنا عن الموضوعات المُشتركة ما بين أفكاري وافكارها، تحدثنا حتى تأخر الوقت، وخلت ساحة الفُندق من المارة، وبدأ العاملين ينظرون الينا نظراتٍ غريبة، وحتى النُزلاء، كانت نظراتهم غير مفهومة، يبدو ان صوتنا كان مرتفعاً، وذلك على من أنني كُنت أحاول خفضه، ولكن انفعالاتنا في الحديث، أفقدتنا السيطرة على التحكم في درجة الصوت،

وبعد ان لاحظت هي الأخرى لنظرات الناس، طلبت مني الصعود الي غُرفتي، والاتصال بها على هاتف الغُرفة، والذي يحمل نفس رقم غرفتها، وبالفعل صعدت الى غرفتي، واتصلت بها، وبدئنا في استكمال حديثنا، عما تعرفه، وعما اعرفه، وبدئنا في تبادل المعلومات، وربط الخيوط، وبدئنا في وضع روابط مشتركة بين جميع الأديان منذ فجر التاريخ، وحتى يومنا هذا، وبدئنا في تدوين مذكراتنا مع الاله

خلال تِلك المُكالمة كُنت توصلت الي مجموعة من الحقيقة، أولها هو أن، (الحقيقة) المُطلقة، مطلقة في ذاتها، واما فهم البشر وتفسيرهم لها، فهو نسبى، يختلف من زمان الى الاخر، ومن مكانٍ الى الاخر، ومن ثقافةٍ الى الأخرى، ومن ادراك الى اخر، حيث ان الادراك هو العامل الرئيسي في نسبية الحقيقة، ولهذا فإنني اتحدث الأن، من خِلال ادراكي النسبي، وليس المطلق

سواء كانت فكرة الإلَه نابعه من احتياج البشر لمن يحميهم من الظواهر الطبيعية، وقسوة البيئة، أو نابعة من حال تأمل في الكون، أو نابعة من تطور عقل الأنسان على مبدأ السببية، أو نابعة من النصوص الدينية، أو نابعة من تواصل الإله مع مجموعة من الرُسل، أو اياً كانٍ السبب في ظهور الفكرة، فإن جميع الأسباب أعلنت عن وجود سبب لا سبب له، الذي كان وحده ولم يكُن شيء، ثُم كان كُل شيء،

فهو في النهاية الإله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الظاهر الباطن، الذي أوجد كُل شيء، والذي خلق الانسان من نفس العناصر التي خلق منها كُل شيء، سواء شكله بيده مثل الإلَه خنوم، أو مِثل الإله إيل في سِفر التكوين، أو خلقة عن طريق انقسام الخلية الواحدة، كما تظُن نظرية التطور، أو أياً كانت الطريقة، فإن اختلافنا عن طريقة الخلق، لا يجب أن يشغلنا عن وجود السبب الذي لا سبب له

لقد اقر البشر بمُختلف مُعتقداتهم، عن حاجة المُجتمعات الي وجود ضوابط وقوانين وتشريعات، لتأسيس الحضارات، وضمان استمراراها، وضمان استقراراها، وقد كونت كل جماعات الأرض قوانين لضبط حياتهم، واختلف البعض حول تسمية تِلك القوانين، فالبعض أسموها شرع، والبعض الأخر أسموها

دستور، والبعض أسماها تعاليم الإنسانية، وأيا ما كان المسمى، فإن جميع القوانين اللازمة لاستمرار حياة البشر بداخل المُجتمعات، لن تخلو عما أقر به المصري القديم في كتاب الخروج الي النهار، والذي تضمن القوانين التالية:

الخروج الي النهار، وهو التحلي بالحق، والتخلي عن الباطل، فلا يظلم أحد، ولا يسلك سبيل الضالين، ولا يُحنث في يمين، ولا تمتد عيني لزوجة أحد، ولا تمتد يده لمال غيره، ولا يكذب، ولا يسعي في الإيقاع ما بين الناس، ولا يوجع أحد، ولا يُبكي أحد، ولا يقتُل، ولا يغدُر، ولا يُحرض على القتل، ولا يسرق، ولا يرتكب الفحشاء، ولا يغتصب الأموال، ولا يبيع بثمنٍ فاحش، ولا يغش الكيل

ولا مانع من إضافة الأديان لبعض الضوابط الأخرى، ولا مانع كذلك من إضافة المُجتمعات لبعض الضوابط الأخرى، لتتناسب مع طبيعة المُجتمع، فالإضافات مسموح بها، ولكن غير مسموح المساس بتعاليم كتاب الخروج الي النهار، ومن يحاول الخروج عنها تحت أي مُبرر، فإنه خارج عن الإنسانية، ومفارق لأسس تشكيل الحضارات

الموت، حقيقة مُطلقة في ذاتِها، وقد اقر جميع البشر بانة نهاية جميع المخلوقات، ولكنه قَدْ يمُثل للبعض بداية لحياة جديدة، وفي جميع الأحوال، فالموت هو نهاية لحقيقة واقعية ملموسة، وبداية لحقيقة غيبية غير ملموسة، ولهذا فلا يجب افساد الحقيقة الملموسة، من اجل تحقيق مكاسب من خلال تصورات غيبية غير ملموسة، وهذا لا يعني عدم الاكتراث بها، وإنما يعني العمل من اجل حياة أرقي، ومن أجل نهاية أفضل، فأعمل لدُنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لأخرتك حتى تعيش سيرتك أبدا

فكرة البعث من بعد الموت، كانت ولازالت وسيلة العقل للصبر على فُراق الأهل والأحباب، ومبرر لتقبل الموت، وذلك بصفته مرحلة انتقالية، من عالم الى عالم اخر، وهو عالم الخلود، وقد اقرت جميع الأديان، بفكرة البعث من بعد الموت، سواء كان البعث من اجل الحساب، أو البعث في عدم فناء المادة، ففي جميع الأحوال فإن الموتى سيُعاد بعثهم من بعد الموت

أما الحساب من بعد البعث، فقد كان في البدء مُجرد فكرة، اوجدها العقل البشرى حتى يردع من يخترقون الضوابط الإنسانية، ولهذا فان فكرة الحساب من بعد الموت قد أردعت القادرين على تطويع القانون لصالحهم، والقادرين على اجترام الجرائم في الخفاء، وقد اقرت الأديان بفكرة الحساب من بعد البعث، واقرت كذلك بمبدأ الثواب والعقاب، أو مبدأ الثواب وعدم الثواب،

ولكن سُرعان ما استطاع تُجار الدين، من إيجاد الحلول والمبررات والثغرات لتِلك المسألة، وأصبحت الجرائم ترتكب تحت مظلة الطمع في ثواب الأخرة، ولهذا فإنني اعتقد بان البشرية تحتاج الي وجود روادع أكثر صلادة، وهو نفس ما يحتاج اليه الغير مؤمنين بفكرة الحساب من بعد البعث، حيثُ أن مُجرد غياب الفكرة، قد تسبب في هلاك ملايين البشر، ولهذا فإنهم كذلك في أمس الحاجة الي ابتكار ضوابط مُحكمة، لردع أصحاب النفوس الغير صالحة

ان جميع الضوابط التي اقر بها البشر سواء كانت من مصدر ديني أومن مصدر عقلي تهدف الى امر واحد وهو حماية البشر والحفاظ عليهم، ولهذا فإن أي ضابط لا يضمن حياة البشر جميعاً، فهو ضابط فاسد، ولا حاجة لنا في النظر اليه، أو التحدث عنه

إن التجارة بالأفكار، والديانات، والنظريات، تُعد من أقدم التجارات على وجه الأرض، وأربحها، وأكثرها تحقيقاً للمكاسب، واقلها حاجة الي رأس المال، حيثُ يظهر التُجار من المُنتفعين بحوائج الناس الي

الإيمان، وحتى تكون النظرية قوية، أو تكون الفكرة مُحكمة، او يكون الدين مُكتملا، فإنه يجب ان يضمن عدم ظهور تِلك الفئة من المُنتفعين به، وذلك لأن التاريخ يشهد على ان نهاية جميع الأديان، كان من خلال المُنتفعين بها

النهاية الاولي

خلدت الى النوم بعد يوم طويل، ولأول مرة اخلد الى النوم وانا اشعر بالراحة، ولا احتاج الى شُرب الخمر أو الي تناول حبوب النوم، وراءيت في المنام نفس ما كُنت أشعر به في الصحة، حيث كُنت اشعُر بشخص يقرأ مُذكراتي ويحاول نصيحتي، ولكنني لم اكن اراه، وها راءيته في المنام، حيث راءيت بأنني دونت مُذكراتّي مع الإلَه، وهُنالك من يقرأ تِلكَ المذكرات ويكتب لي ملاحظات عليها، ويحاول ارسالها لي، ولكنة عاجز عن القيام بذلك، وعاجز عن الوصول لي، ثم حاول استجماع قواه والخروج من مكان إقامته الجبرية، بهدف التوجه لي، ولكن هنالك اشخاص منعوه، وقيدوه، وهم الان يشرعون في تعذيبه بالكهرباء، كما كان الحال في المُعتقلات

استيقظت من النوم مفزوعا، لا اعرف معنى هذا الحلم، ولا أعرف معني توقيته من بعد توصلت اليه بالأمس من حقائق، وعلى الفور اتصلت برقم الغرفة التي بها صديقتي اليهودية، فوجدته مشغولاً، وظل على هذا الحال لفترة طويلة، ثم سمعت طرق على الباب، فتوجهت اليه لعلها تكون هي، فوجدت امامي صديقي الطبيب الذي نصحني بالسفر، وحجز لي الإقامة مع شركة السياحة

كان يبدو علية الحزن والقلق، ولا اعرف مصدرهُما، فسألته عما به؟ وهل جاء ليُشاركني قضاء العُطلة، فطلب منى ان اعود معه الان، وأنهى تِلكَ الرحلة فوراً، فسألته عن السبب؟ فأجابني بأنه سوف يخبرنني في الطريق بالأسباب الدافعة لذلك

قتلني بكلماته، حيث توقعت وجود مكروه مع أحد افراد عائلتي، ولكنهم لم يحاولوا الاتصال بي، ولكن هاتفي مُغلق، فقد يكونوا حاولوا الاتصال ولم يتمكنوا من التواصل معي نتيجة إغلاق هاتفي، يا رب سلم، ارجوك أخبرني هل أمي بخير؟

فأقسم لي ان الجميع بخير، وطبعا لم اكتفى بقسمة فقمت بتشغيل هاتفي واتصلت بوالدتي أولاً حتى أطمئن عليها، ولكنها لم تستجيب للاتصال، فكررت الاتصال بها، وانا أنزف من القلق مع مرور كُل

لحظة، حتى ردت، واستمعت الي صوتها، فشعرت بأنني بعثت مجدداً، فسألتها عن سبب تأخرها في الرد، فأجابتني بأنها كانت تصلى، وسألتها هل الجميع بخير؟ فأجابتني بلى، فأخبرتها بأنني سأزورها اليوم أو غداً علي أقصى تقدير

أنا: ماذا حدث؟
الطبيب: سأخبرك في الطريق
أنا: هل أصاب أحد من اصدقاؤنا مكروه ولا تريد ان تخبرني به؟
الطبيب: اقسم لي ثانيتا ان الجميع بخير، وسأخبرك بكل شيء في الطائرة

أنا: أمهلني ساعة اذن، حتى انتهي من إجراءات المغادرة من الفندق
الطبيب: لقد انهيت لك كُل شيء
أنا: ومن سمح لك القيام بذلك؟
الطبيب: أرجوك، استحلفك بكُل غالي ما بيننا أن تنصرف معي الأن
أنا مُنفعلاً: (في ايه؟)

ضمني ثُم قال لي: كُل شيء سيكون على ما يُرام، ولكن دعنا نُغادر الان، فنظرت في عينه فوجدتها تتلألأ من إخفاء الدموع، فتأكدت من وجود كارثة تنتظرني بعد السفر، فتذكرت صديقتي اليهودية، وطلبت منه بان يُمهلني بعد الوقت حتى أتواصل مع أحد الأصدقاء وابلغه بسفري، وسأسافر معه على الفور، فسألني عن هذا الصديق، فأخبرته بأنها صديقة تعرفت عليها بالأمس ولكنني لا رقم هاتفها المحمول، ولهذا يجب أن اتصل بها في غُرفتها، وسأبلغها بسفري، واحصل على رقم هاتفها، ثُم ننصرف

سكت عن الكلام، فكررت الاتصال بها، ولازال الرقم مشغول، فأخبرته بأنني اود التوجه الى غرفتها للاطمئنان عليها، ثُم تحركت في اتجاه باب الغُرفة، فأمسك بذراعي، وسألني عن رقم غُرفتها، فتعجبت من طريقته، ولكنني اخبرته بان رقم غُرفتها هو نفس رقم هاتف الغُرفة (1313) وفي تلك اللحظة خرجت الدموع من عينه، فضمني وأجهش في البكاء، فضممته ولا أعرف ما حل به، فتحدثت اليه قائلاً: (أحكي لي) ماذا بك؟ ما تُخفيه عني؟ مُنذ متي وانت تخُفي عني أي خبر؟ مُنذ طفولتنا وانا صديقك الوحيد، وأنت صديقي الوحيد، فأخبرني بما حدث
تمالك نفسه قليلاً، ثُم امسك بيدي، وتوجه الي باب غُرفتي، وأشار لي على رقم الغُرفة، فنظرت اليه، فإذ به (1313) صدمة!!! سكوت!!! يبدوا أن الأرقام تداخلت في رأسي، بالتأكيد يوجد لبس في الامر، يبدو ان ذاكرتي ضعُفت من كثرة التفكير إن رقم غُرفتها هو؟؟؟ كيف نسيت الرقم؟ لقد تحدثت اليها بالأمس، ولكنها هي من اتصلت بي، ولهذا فإننا لم أتذكر الرقم، وبدأت أحاول تذكر رقم الهاتف، أو رقم غُرفتها، ولكنني لم أتذكر

فانطلقت في اتجاه غُرف الفُندق، وبدأت في فتح الأبواب، واحداً تلو الاخر، وبدأت أنادي عليها بأعلى صوت مني، ولكني صديقي منعني، فحاولت مُقاومته، فجاء بعض العاملين في الفُندق وامسكوا بي حتى دخلت الي غُرفتي، وحصلت على جُرعة من المُهدئ، ثُم ضمني صديقي وطلب مني أن استعد للسفر، وانه سيسأل الاستقبال عن رقم غُرفتها، ولكني يرغب في معرفة اسمها، فأجبته(ماربيلا) فسكت ثُم طلب مني الاستعداد للسفر وسُنهي هو إجراءات كُل شيء

بدأت في الاستحمام، ثُم نظرت الي المراءة، فوجدت لحيتي طويلة، وكأنني لم احلقها منذ زمن بعيد، وكأنني ملتحى، من هذا الذي يقف بالمراءة أمامي؟ فأنهيت ارتداء ملابسي سريعاً، ثُم خرجت الي

الغرفة، فوجدت عُمال النظافة يقومون بنظيف طلاء جُدران الغرفة، حيث كان مكتوب عليها كلامٌ كثير، سألت صديقي عما حدث بالجدران خلال لحظات استحمامي، فسكت، فاقتربت من الحائط ونظرت الي المكتوب عليه، فوجدت ما هو نصه

ان جميع الضوابط التي اقر بها البشر سواء كانت من مصدر ديني أومن مصدر عقلي تهدف الى امر واحد وهو حماية البشر والحفاظ عليهم، ولهذا فإن أي ضابط لا يضمن حياة البشر جميعاً، فهو ضابط فاسد، ولا حاجة لنا في النظر اليه، أو التحدث عنه

انها نفس العبارات التي كُنت اتحدث بها بالأمس مع ماربيلا، ولكنني بعد جُرعة دواء (البارا نويا)، خرجت ماربيلا من حياتي مُجدداً، وتأكدت من ان عقلي صورها لي ثانيةً، من بعد ان توقف عن تعاطي العلاج، وذلك لأنه تسبب لي في مشاكل جنسية، وبعد خلافي مع زوجتي، شعرتُ بأنها انتقصت من رجولتي، فقررت الامتناع عنه، فعادت ماربيلا

وضعن رأسي في الأرض، وها هي انحنت اكتافي، ولاحظت ملابسي المُهلهلة المُتسعة بسبب فُقداني لوزني، حيث أصبحت هزيلاً، من بعد ان كُنت من أقوي المُجاهدين في التدريبات، فصحبني صديقي الطبيب الي خارج باب الغرفة، وتوجهنا الي خارج الفُندُق، وسط نظرات العاملين اللذين شاهدوني اتحدث مع نفسي بالأمس، وكادت نظراتهم بالشفقة تقتُلني، فأنا مريض، ولم اختار المرض، ولكنه المرض اختارني من دون الناس، ليُصيب عقلي

في طريقنا الي الخروج، مررنا بجانب المسبح، وقد استمعت مُجدداً الي موسيقى كارمينا بورانا،

يا عجلة القدر الدائرة كم أنت خبيثة، وما السعادة معك إلا وهم سرعان ما يتلاشى
ها أنت تقنصينني الآن حسب قواعد اللعبة، فأجرد ظهري عارياً لسياط قسوتك
حانت الساعة بدون تأخير لعزف الاوتار، وحيث القدر سيضرب عازف الاوتار
فابكوا معي جميعا، أبكوا معي

أنا والرقيب:

لقد حل الظلام، ويجب ان انصرف الان، فانا اجلس في الحديقة والاضاءة أصبحت ضعيفة جداً، كما أنني اشعر بالبرد، والمكان أصبح فارغ من الناس تماماً، وعلى الرغم من هذا إلا أنني أشعُر بحركة غريبة في المكان، ولا أعرف مصدرها، ولهذا فإنني يجب أن انصرف الان

توجهت الى الباب الرئيسي فوجدته مُغلق، فناديت على الحارس، ولم يستجيب، على الرغم من انني أشعُر بحركة داخل غُرفته، هل أقتحم غُرفته باحثاً عنه؟ أم اتسلق السور؟ أم اتسلق البوابة الحديدية؟ أعتقد بأن تسلق البوابة الحديدية سيكون أفضل، حيثُ أن السور مُرتفع جداً، كما أنني لا أضمن وجود

الحارس بداخل غرفته، ولهذا فإنني لن أفتح بابها، ولكنني سأنادي عليه مرة أخري، وإن لم يستجيب سأتسلق البوابة الحديدية

اقتربت من باب غُرفة الحارس، وطرقت الباب ولكنه لم يستجيب، ولكنني اشعر بوجود حركة بداخل الغُرفة، فلماذا لا يستجيب إذن؟ يبدوا أن هُنالك شيء مُريب! ولهذا فإنني يجب ان اخرج من هذا المكان بأسرع وقت مُمكن، فرفعت قدمي على أحد دُعامات البوابة الحديدية، في محاولة لتسلُقها، وقبل ان أضع الثانية شعُرت بمن يجذبني من ملابسي، فكاد قلبي يتوقف من الرعب، فحاولت النظر الي من يجذبني ولكن قوة الجذبة دفعتني للسقوط على الأرض، فنظرت اليه فوجدته الحارس

يبدوا أنه كان يظنني لص، فأبلغته بأنني (الرقيب) ولكنه لم يستجيب، فبدأ برفعي من على الأرض، أمسكني بذراعيه، لا أعرف سر قيامه بذلك، ولكن من الواضح أنني أواجه كارثة الان، فحاولت التخلص من قبضته، ولكنني اكتشفت اقتراب شخصان يرتديان زياً موحداً، ويهرولان في اتجاهنا، فُساعدوه على تقيدي، وتوثيق معصمي يدي، ثُم كمموا فمي، وحملوني الي داخل مبني الرقابة، ولكن في غُرفة لم اراها من قبل، حيث كانت تُشبع عيادات الأطباء، وتتواجد بها بعض الأجهزة الغريبة

وضعوني على فِراش مِعدني، ثُم فكوا يدي، وقيدوها بِقيود حديدية في نفس الفراش، وكذلك قدمي، ثُم أمسك أحدهم برأسي، ثم انتفضت من تأثير الكهرباء، ثم شعرت بشكة في ذراعي، فبدأت بفقدان الوعي، ولكنني لازلت قادر علي رؤية الرقيب وهو ينتفض من الكهرباء، بينما ماربيلا تجلس كالجنين في زاوية الحُجرة، مفزوعة، خائفة مما سيحدُث لها

توجهت الي ماربيلا وحاولت طمأنتها، ولكن صوت صرخات الرقيب، كانت أعلي من صوت كلماتي لها، وفي تِلك اللحظة، فقدت الوعي تماماً، ولكنني عُدت بعد قليل، بداخل غُرفة من غُرف المصحة التي اصطحبن فيها صديقي الطبيب، فجلست على الفِراش، وعلى يميني جلس الرقيب، وعلى شمالي جلست ماربيلا، وبدأ الرقيب في التحدث الي ماربيلا قائلاً:

الرقيب: لقد أخطأت يا ماربيلا، انت السبب في كُل ما حدث لنا
ماربيلا: أنا!! لماذا؟

الرقيب: ما كان يجب أن تظهري له أمام الناس، وذلك لأن الناس لن يدركوا باننا اصطفيناه عن العالمين، وقررنا ان نظهر له وحده، ونتحدث اليه وحده، ولهذا فقد ظن الناس بأنه ممسوس، أو مجنون، أو ساحر، ولكنهم لم يُدركوا بأنه مُصطفي عن العالمين

ماربيلا: حقاً!! وماذا عنك؟ وماذا عن ظهورك له في الجبل؟ وماذا عن حديثك اليه أمام السائق؟ ألم تُخطئ أنت الأخر؟ ولكن في النهاية وكعادتك يجب أن تقول بان اليهودية هي المُخطئة، لمُجرد أنني أنثي، ولمُجرد أنني يهودية

الرقيب: كالعادة، يا ماربيلا، ستقولين بأنك مُضطهدة لأنك انثي، ولأنك يهودية، وستتخذين من التاريخ وسيله للتهرب من المُساءلة، وإلقاء المسؤولية على الأخرين، حتى تجلسين انت في زاوية الحُجرة، بينما أنا أصعق من الكهرباء، وهو كعادته يترُكني أنا، ويذهب ليُطمئنك أنت، وذلك لأنك تعلمين بأنه لا يتحمل رؤية بُكاء النِساء، فتبكين

نظرة الي المنضدة، فوجدت كوب من الماء، وبجانبه الدواء، فتركت أفكاري تتعارك، ثم توجهت الي المنضدة لأحصل على جُرعة العلاج، فأمسكت بالدواء بيدي اليسرى، وبيدي اليمُني أمسكت بالماء، وقبل أن اتناول الدواء، صرخ الرقيب قائلاً:

الرقيب: لماذا؟ لماذا يا صديقي تُساعدهم على التخلص مِنا، ونحن أقرب الناس اليك؟ هل حقاً ستكون سعيداً في حياتك معهم من دوننا؟ هل ستجد من تستطيع التواصل معه؟ هل ستجد من يتقبل أفكارك غيرنا؟ فكلانا فقط من سيقبلك بكُل عيوبك ومُميزاتك، لأننا فقط من يعرف ما بداخلك، ولأننا فقط من يعرف مقصدك، ولهذا فنحن سبيلك للوصول الي الحقيقة

أنا: ولكنكما مُجرد وهم، مُجرد خيالات، مُجرد سراب

ماربيلا: وهم! في النهاية تقول عني وهم! بعد كُل ما قدمته لك، تقول بأنني سراب! وحينما كُنت اساعدك علي لتنجح في عملك، كُنت مُجرد خيالات! وحينما كنت أدُلك على كيفية الوصول الي قلب أي امرأة تمنيتها، كُنت وقتها مُجرد وهم! وحينما كُنت اختار لك كُتبك التي تقرأها، وحينما كُنت أسهر بجانبك، وحينما كُنت، وحينما كُنت، وحينما كُنت، وفي كُل ما فعلت لك تقول عني سراب، وترغب في التخلص مني، حقاً، إنك رجُل مثل باقي الرجال

الرقيب: إهدائي يا ماربيلا، فهو ليس مُدرك لما يقول، حيثُ ان صديقه الطبيب أقنعه بأننا وهم، لمُجرد أننا نظهر له وحده ولا نظهر لغيره من الناس، ولكنه حينما يهدأ ويعرف بان ظهورنا له ليس دليل علي المرض النفسي، وإنما دليل علي انتماؤه الي مجموعة من العُظماء اللذين اختارهم السبب الذي لا سبب له لكي يجعلهم سبباً لتغير هذا العالم

أنا: تغير العالم وأنا حبيس غُرفتي في مصحة نفسية!

الرقيب: نعم يا صديقي، أنك من العظماء اللذين غيروا العالم، وصدقني لو كان أي نبي من الأنبياء ظهر في عصرنا هذا وتحدث الي الناس عن استقباله وحي من السماء، لكان مكانه في مصحة من تِلك المصحات، ولكنهم محظوظون لأن زمانهم لم يكُن يعرف المصحات النفسية، وحتي العُظماء اللذين عاشوا في هذا الزمان، فقد اتهمهم الجميع بالجنون والمرض النفسي، فأنظر الي هتلر، يقولون عنه الان بأنه كان مريض نفسي، فكيف يستطيع مريض نفسي من بناء دولة مُنهارة في أقل من ثلاثة أعوام، وكيف يستطيع هذا المريض النفسي من اقناع شعبه بالتوجه الي احتلال العالم وتطهيره من اليهود

ماربيلا: هل لا تجد مثالاً غير هذا؟

الرقيب: المعذرة يا ماربيلا، لقد أغفلت وجودك، ولكن الأمثلة كثيرة فمثلاً نبيك موسي، ألم يتكلم اليه الإله تكليماً؟ فهل كان الناس يسمعوا كلام الإله اليه؟ بالطبع لا، ولهذا ظن المصريين القُدماء بأنه مجنون، ولم يتبعه إلا بني إسرائيل، وذلك لأنهم لم يكونوا مُتعلمين مثل المصريين

ماربيلا غاضبة: هل لا تمتلك امثله إلا عن اليهود؟ لماذا لا تتحدث عن أي نبي أخر؟ فجميعهم كانوا يتحدثون الي الله عن طريق الوحي، وجميعهم كان أول أتباعهُم، من الفُقراء والبُسطاء، فلماذا لا تتحدث عنهُم أيها العُنصري؟ فلماذا لا تتحدث مثلاً عن (نتشه) وعن اتهام الناس له بالجنون كذلك؟ أو تتحدث عن (اينشتاين) فقد اتهمه الناس بالجنون كذلك، أو حتى تتحدث عن (جون ناش) فقد اتهمه الناس بأنه

مجنون، ويري مخلوقات، وفي النهاية انتصر على الجميع وحصل على جائزة نوبل، فهل يحصل المجانين على جائزة نوبل؟

الرقيب: أحسنتِ يا ماربيلا، أحسنتِ، فما رائيك لو نترك صديقنا المُصطفي، ليرتاح قليلاً، ثُم نعود اليه في وقت أخر، بشرط ان يستدعينا هو، وألا نظهر له وسط أي مجموعه من الناس، وأنا عن نفسي أعترف بالخطاء، وما أبرئ نفسي، فإن النفس أمارة بالسوء، ولهذا فإنني اقر بأنني أخطأت، وأطلب منك أن الغُفران يا خليلي

أنا مُبسماً: هل انا من علمتك مهارات البيع، أم أنك من أوحيت لي بها؟ فأنت بائع جيد، ولكنك لا تتحدث الأن الي عميل، بل الي مُنافس لك، ولهذا فإنني لن شتري منك، ولهذا فإنني سأتعاطى الدواء

الرقيب: أنتظر، سأخبرك عن سر المشاكل التي تُعاني منها في حياتك يا صديقي، السر هو اننا بعيدين عن الله، فلماذا لا نتوضأ الان ونُصلي ركعتين لله؟ لماذا لا نُصلي كما كُنا نفعل في الأيام الخوالي؟ لقد اشتقت الي صوتك العذب وانت تُصلي بنا، ما رائيك ماربيلا

ماربيلا: حقاً ما تقول أيها الرقيب؟ أنا مُندهشة من مهاراتك علي الإقناع، ولهذا فأسكُت ودعني أتحدث الي ربنا، وخالقنا، وصاحب الحق في تقرير مصائرنا، أسمعني يا صديقي: انت من خلقتنا، لأنك شعُرت بالوحشة من وجودك وحيداً في تِلك الحياة، ووهبتنا من لدُنك ذكاء مُرتبط بذكائك، وكلما تطورت انت، تطورنا نحن، وكلما ازداد علمُك، ازداد علمُنا، لأننا منك واليك، فإن كُنت ترغب في الخلاص منا لعظم ذنوبِنا في حقك، فأفعل، ولن يُنجينا من قرارك إلا انت، أو من المُمكن أن تتحمل العذاب بنفسك، فتتألم قليلا، لتُخلصنا من ذنوبنا التي اقترفناها في حقك، أو تغضب علينا فتُعاقبُنا بأي عقاب، وفي لحظة سنتحول الي ما شئت، فنحن مُجرد أفكار خلقتها أنت، فأحكم فيها كما شئت، ولكن إن حكمت فأحكم بالعدل، وليس من العدل ان تكون انت من يتحكم في مصائرنا، وتحاسبنا علي ما قررت أنت القيام به، فأنت وحدك من قرر ان نظهر، وأنت وحدك من غذي افكارنا، وانت وحدك من اختار توقيت ظهورنا، وأنت من يمتلك القُدرة علي ان توحي لنا بأفكار لنُثنيك عما ترغب القيام به، ولهذا فلا تُحملنا ما لا طاقة لنا به، وأعفُ عنا

أنا: قُضي الامر يا ماربيلا، قُضي الامر، فأخرجا من حياتي الان، أخرجا مِنها

ثُم صرخت نادياً على طاقم التمريض، وابتلعت الدواء على الفور

الطبيب

لقد نشرت في السطور الماضية، تفريغا لشرائط مسجلة ما بيني وما بين أحد المرضى، بالإضافة الي مقصوصات ورقية دونها خلال فترة علاجه في المصحة، وحتي لا يظن البعض بأنني خالفت ضميري

المهني، فيجب التنويه علي أن المريض هو أصر على نشرِها، ولهذا قررت مُساعدته على هذا، ولكنه لم يكثن يستطيع كتابة اسمه علي الكتاب، وكذلك انا، فقررنا إسناد الأمر لأحد الكُتاب المغمورين، حتي يقوم بصياغة المحتوي بشكل أدبي او روائي، وطلبنا منه كذلك حذف جميع الأسماء، وجميع المدلولات على الأماكن، قدر المُستطاع، وذلك لعدم إلحاق أي أذى مادي أو معنوي بالشخصيات السابق ذكرها

أنا والطبيب

انه طبيبي النفسي، وصديق عمري، وأهم مكاسبي في تِلك الحياة، ولكنني لم ارغب في تدوين إصابتي بالمرض النفسي في مُذكراتي، وذلك لأنني لم ارغب في أن يُتهم كُل صاحب سؤال بالجنون او المرض النفسي، كما إنني كُنت أخاف من ان يطلع ابني على تِلك المُذكرات، فيظُن بأن والده كان مُجرد مريض نفسي، ولكن قُضي الامر

ها أنا أجلس في المصحة النفسية مع صديقي، من بعد فترة العلاج، وها هو يحاول كسر حالة الصمت التي كانت بيننا في الأيام السابقة، وهو يعرف جيداً كيف يتعاملِ معي، وأنا ايضاً اعرف كيف اتعامل معه، ولكنني كُنت اشعُر بالإحراج لما سببته له من مشاكل، خاصتاً من بعد بكاءه في الفُندق، فهو كطبيب نفسي، لا يبكي على تصرفات مرضاه، ولكنه كصديق، فإنه بكي على حال صديق عُمره

أنا: اعتذر لك عما سببته لك من ازعاج

الطبيب: لماذا امتنعت عن الدواء؟

أنا: لأنني أصبحت أشعر بالعجز الجنسي من بعد تعاطي هذا الدواء، ولهذا قررت الامتناع عنه، خاصتاً

بعد المشكلة الأخيرة مع زوجتي

الطبيب: أنت لا تعاني من أى مشاكل جنسية، وقد يكون للعقار بعض التأثير على الرغبة الجنسية، ولكن تأثيره لن يظهر على شاب مثلك، وأنت تعرف بأنك لا تُعاني من أي مشاكل، فأخبرني بما تُخفيه في نفسك؟ وما دفعك للتوقف عن تعاطي الدواء؟

أنا: اشتقت للحديث إليهم، اشتقت لماربيلا، واشتقت للرقيب، اشتقت لمن يُشاركني الحوار من دون أن يُكفرني، او يتهمني بالإلحاد أو الجنون، اشتقت للتفكير، فتوقفت عن تعاطي الدواء، كما أن ماربيلا والرقيب لن يؤذوني، ولن يتخلوا عني، ولن يموتوا ويتركوني، ولن ينشغلوا عني، ولن يخونوني

الطبيب: إن العقل الذي خلق تِلك الشخصيات، واظهرها لك بتلك الصورة، قد ينقلب عليك، ويُعيد تشكيل صورة تِلك الشخصيات، ويبدأ في اذيتك وتدميرك، كما حدث

أنا: وما حدث؟

الطبيب: ظهر لك الرقيب في الجبل، وتحدثت معه وسط الناس، ثُم ظهرت لك ماربيلا وتحدثت معها وسط الناس، ولهذا فإن الرقيب وماربيلا، أصبحا يُشكلان خطر عليك بظهورهم وسط المُجتمع

أنا: ولماذا يفعلان هذا؟

الطبيب: لأنهما يرغبان في الاستحواذ عليك، فأنت خلقتهُما من افكارك، وعززت وجودهما بمناقشاتك، وها هي أفكارك قررت الاستحواذ عليك، ولهذا فإن الرقيب وماربيلا لن يسمحا لك بتغير افكارك، او التخلي عنها، لان التخلي عنها يعني التخلي عنهُما، ولهذا يجب الالتزام بالدواء، لحماية نفسك من رغباتهم الحالية في الاستحواذ عليك

أنا: كباقي البشر سأحتاج الي تعاطي عقار حتى اتخلص من داء التفكير

الطبيب: كباقي البشر!

أنا: نعم، كباقي البشر، ولكن العقار الطبي، يُسمي بأسماء أخري، ويُغلف بأغلفة مُختلفة

الطبيب: اعرف بأنني لن اقنعك بالالتزام في تعاطي العقار، ولكن دعنا نعقد صفقة

أنا: ماهي؟

الطبيب: التزم بالدواء وبجلسات الكهرباء لمُدة ستة أشهُر، ثم تتوقف لستة أشهر حتى تلتقي مع الرقيب وماربيلا، بشرط ان يكون اللقاء في أحد الأماكن البعيدة عن الناس، اتفقنا

أنا مازحاً: على الرغم من أنك بائع فاشل، إلا اننا مُتفقين، بشرط ان تصرف لي بعض المُنشطات الجنسية في وقت الهُدنة، وذلك لأنني لم أمارس الجنس مع ماربيلا حتى الان

الطبيب ضاحكاً: انت لم تمارس الجنس معها لأنك تعرف بانها خيال، ولكن كانت حقيقة لما تركتها لحظة، كما فعلت في أول ليلة لك

أنا: هل كُنت تُراقبني؟ هل جندت السائق لمُراقبتي؟

الطبيب: انت لست مُجرد مريض، انت صديقي، وكنت اعرف بأنك ستفعل هذا، ولهذا كان يجب ان احميك من نفسك

أنا: ولأنك صديقي فأنا أود أن اطلب منك طلب مُهم بالنسبة لي

الطبيب: بالتأكيد

أنا: ارغب في ان تقوم بنشر كُل ما يدور بيننا في الجلسات، بالإضافة الي مقصوصات الأوراق التي كُنت أدون فيها علاقتي مع الرقيب وماربيلا، فإنها أصبحت تحتوي على جميع مُذكراتي في الحياة، ولهذا فإنني أرغب في نشرها بشكل نصي، لعلها تُفيد غيري من الناس

الطبيب: وكيف سيستفيد الناس من مُذكراتك؟

أنا: لعلهُم يمتنعوا عن التفكير، ويعيشوا في سلام بداخل القطيع

الطبيب مازحاً: دعنا نُناقش هذا الأمر فيما بعد، ولكن لو وافقتك على القيام بهذا، فدعنا نختار عنوانها، فأنا أعتقد بان مُذكرات شخص مثلك ستحمل اسم (مُذكرات سكران مع النسوان) أو (مُذكرات مخبول في اللعب مع العقول) وسأكتُب مُقدمتها بدلاً عنك

أنا: ضاحكاً: وماذا ستكتُب بدلاً عني

الطبيب: سأستعير أحد قصائد نزار التي كُنت تُرددها دائما، هل تتذكرها؟

أنا: نعم، اتذكرها

الطبيب:

لم يبق نهد ..... اسود أو أبيض الا زرعت بأرضه راياتي.

لم تبق زاوية بجسم جميله..... الا ومرت فوقها عرباتي .

فصلت من جلد النساء عباءة وبنيت اهراما من الحلمات .

وكتبت شعرا..... لا يشابه سحره الا كلام الله في التوراة .

أنا:

واليوم اجلس فوق سطح سفينتي كاللص ابحث عن طريق نجاة

وادير مفتاح الحريم..... فلا ارى في الظل غير جماجم الاموات

اين السبايا؟ اين ما ملكت يدي؟ اين البخور يضوع من حجراتي؟

اليوم تنتقم النهود لنفسها .....وترد لي الطعنات بالطعنات

الكاتب

اعمل كسائق على سيارة أجرة، وعلى الرغم من انها ليست مهنتي المُثبتة بإثبات هويتي، إلا انها المهنة التي يضمن لي اجرُها حياة كريمة، ولهذا فأنا لا أخجل من الذهاب الي عملي الصباحي بتِلك السيارة، حيث أن اغلب العاملين معي يلجاؤن الي العمل في وظيفة أخري من بعد فترة دوام الوظيفة الصباحية،

وذلك لأن العمل في المجال الثقافي، لا يكفي الفرد ليعيش حياة الزاهدين،

فالزاهدين يأكلون (الخُبز والزيت) ويسكنون في الكهوف، ويشربون من مياه الابار، ويقرؤون على ضوء القناديل، وها نحن وصلنا الي الزمن الذي يحتاج الخُبز والزيت فيه مبلغ وقدرة، كما ان الكهوف أصبحت تحتاج الي ايجار، ومياه الابار تحتاج الي دفع فاتورة شهرية، واما ضوء القناديل، فأصبح يحتاج الي الزيت، ذاك الزيت الذي رفع مكانة شعوب، واحط من مكانة شعوبٍ أخري

أعمل في أحد قصور الثقافة الحكومية، وبحكم عملي، فقد تمكنت من نشر العديد من المؤلفات على نفقة الدولة، وعلى الرغم من هذا إلا أنني لم أتقاضى إي مبلغ من تِلك المؤلفات المنشورة، وذلك لأنها تُنشر في المجتمع العربي، ذاك المُجتمع الذي إذا وزعت نسبة القراءة فيه على جميع سُكانه، لكان نصيب كُل فرد منهم هو رُبع صفحة فقط في العام، لكُل مواطن عربي، أو ستة دقائق فقط في العام

نعم، إن الدولة مشكورة تقوم بنشر اعمالي في مُجتمع ينتمي الي أُمة (أقرأ) تِلك الأمة التي يقرأ كُل فرد فيها رُبع صفحة سنوياً، وحتى إن افترضنا عدم دقة الإحصائية، فكم نتوقع أن تكون نسبة الخطاء في الإحصائيات؟ هل نُضاعف النتائج بعشر امثالها، ليُصبح مُعدل الفرد، أربع ورقات في العام؟ هل نُضاعف المُضاعفات ليُصبح نصيب كُل مواطن عربي أربعين صفحة في العام؟ في حين ان المواطن الإسرائيلي يقرأ أربعون كتاباً في العام، والمواطن الأوروبي يقرأ ما يزيد عن الخمس وثلاثون كتاباً في العام، واعتقد ان الفارق واضح بما لا يدع مجالاً للشك

في ذات مرة، استقل سيارتي رجلاً مُثقف، ودار حوار طويلاً ما بيننا، وفي نهاية الحوار أهديت هذا الرجل نُسخة من أحد مؤلفاتي، التي أحتفظ بها في درج السيارة، فطلب مني ان أقوم بكتابة أهدأ له على ظهر غُلاف الكتاب، ففعلت، ثم طلب رقم هاتفي، فظننت أنه يرغب في التواصل معي بهدف التنقُلات عبر السيارة، ولكنه فاجأني حينما كان اتصاله بهدف كتابة (مُذكرات)

التقيت به في منزلي، وبعد الترحيب به، قدمت له زُجاجة مياه غازية مُغلقة، وذلك لان بعض الزوار لا يرحبون بتناول المشروبات في بيتي، على الرغم من اهتمامي الشخصي بالنظافة، إلا أن البعض يمتلكون وجهات نظر تمنعهم من الأكل والشرب في بيوت الأقباط، وأنا لا أعرف إن كان هذا الشخص ينتمي إليهم ام لا؟ ولهذا فضلت تقديم زُجاجة مُغلقة له، ولكنه اعتذر عن شُرب المياه الغازية، وطلب مني استبدالها بالقهوة إن أمكن، فرحبت بالطبع، وأعددت له كوبٍ من القهوة البرازيلية التي أشرب منها، وحينما عُدت اليه وجدته يُطيل النظر في تمثال (أم النور)

الكاتب: فيم تُطيل النظر؟

أنا: حينما تتطلع على المُذكرات ستعرف

الكاتب: سامحني على سؤالي، ولكن، هل أنت مسيحي؟

أنا: حينما تطلع على المُذكرات ستعرف، أيضاً

الكاتب: وما هو مُلخص المُذكرات

أنا: مُجرد محاولة للبحث عن الإله

الكاتب: أي إله؟

أنا: وكم عدد الإلهة اللذين تعرفهم؟

الكاتب: أنا لا أعرف إلا إله واحد

أنا: وأنا كذلك

الكاتب: ولكن قد يكون الإله الواحد الذي تعرفه، غير الإله الواحد الذي أعرفه أنا

أنا: أخبرني عن إلهك إذن، ماذا تعرف عنه؟

الكاتب: لستُ مُتبحراً في المسائل الدينية، ولهذا فقد تكون اجابتي غير صحيحة

أنا: أنا لا أسألك عن اللاهوت، وإنما أسألك عن الناسوت، فما تعرف عنه

الكاتب: لا اعرف الكثير

أنا: إذن فنحن نتحدث عن نفس الإله الذي لا نعرف عنه الكثير

الكاتب: سامحني، ولكن هل تتعرض في المُذكرات لازدراء الأديان

أنا: ما دُمت تحدثت عن الدين في كتاب، فأنت بالتأكيد ستزدري دين أخر

الكاتب: كيف؟

أنا: كُتب اليهود تتهم مريم بأنها زانية، كتب المسيحية تتهم مُحمد بانه أقتبس ديانته من اليهود، كتب الإسلام تصف المسيحين بالضالين، واليهود بالمغضوب عليهم، وهذا اقل وصف أستطيع ابلاغك به، وفي جميع الأحوال فجميع الكُتب تكفر جميع الناس إلا المؤمنين بها، كما ان جميع الكُتب تحتوي على كلام، والكلام حمال أوجه، ولهذا فإن من أراد أن يتدخل في نية الكاتب، ويجوم على انه أراد ازدراء دين، فإنه سيُحرف الكلام عن موضعه، وسيقتص مقصوصة من الكتاب، ويعيد تأويلها، وسيجد ضالته

الكاتب: من الواضح ان النص من النوعية التي لا يرضي عنها فئة مُحددة

أنا: بل لن يرضي عنه الجميع، إلا من يحترمون الأفكار

الكتاب: صارحني إذن، هل انت مُلحد؟

أنا ضاحكاً: حينما تقرأ النص ستعرف بأن المُلحدون لن يرضون عن النص مثل الكثير من المؤمنين

الكاتب: أنت تعرف بأنني قبطي، صحيح؟

أنا: اعرف

الكاتب: وتعرف بأنني لا أستطيع مُجرد التلميح عن الدين الإسلامي وإلا سأقتل

أنا مُبتسماً: وما المانع حينما تُقتل وتفوز بالشهادة، وتذهب الي الجنة

الكاتب: دعني أخبرك عن سر

أنا: تفضل

الكاتب: أنا أعشق النساء، والجنة عندنا لا يوجد فيها نِساء، ولهذا فأنا لست مُتعجلاً على دخول الجنة، فالسيد المسيح بشرنا ببشارات كثيرة، حتى جاء الى هذه البشارة، وتوقف عن التبشير،

أنا ضاحكاً: نعم، ولهذا حاربه اليهود، حيثُ كانت اليهودية تُبيح لليهودي من زواج أربعة نِساء، فجاء هو وأمر بواحدة فقط، وذلك باعتبار الواحدة أقل الضرر، كما أنه أوقف حُكم الطلاق الذي كان مُباح في اليهودية، ولكن في وجهة النظر، ما الحِكمة من هذا التحريم؟

الكاتب: أي تحريم؟

أنا: كُلُّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ بِقَصْدِ أَنْ يَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ! فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى فَخًّا لَكَ، فَاقْلَعْهَا وَارْمِهَا عَنْكَ، فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَفْقِدَ عُضْواً مِنْ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُطْرَحَ جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ! وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ الْيُمْنَى فَخًّا لَكَ، فَاقْطَعْهَا وَارْمِهَا عَنْكَ، فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَفْقِدَ عُضْواً مِنْ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُطْرَحَ جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ

الكاتب: هل اخبرك بوجهة نظري بصراحة؟

أنا: بالتأكيد

الكاتب: في المرة الأخيرة التي ذهبت للاعتراف في الكنيسة، كُنت مُحرج من تكرار اعترافي بشُرب الخمر ومعاشرة النساء، فأنا مداوم على هذا الاعتراف مُنذ بلوغي، ولهذا شعُرت بالإحراج من الاعتراف للقسيس، وتوجهت للاعتراف الي المسيح بنفسه، وتحدثت اليه قائلاً: أيها السيد، اود ان اسالك لماذا لم تراعى بشريتنا، واهتممت فقط بأرواحنا؟ هل لأنك تألمت بجسدك من اجلنا، فقررت ان تؤلمنا بجسد تسيطر علية الشهوات، ومطلوب منه مُحاربتها، فيتألم وكأنه يُصلب بشهواته؟

أيها السيد اود ان ابشرك بأني لم القاك في الدنيا، وفي اغلب الظن، لن القاك في الأخرة، لأنني ببساطة لم أستطيع محاربة جسدي وشهواته التي خلقها فينا، اباك الذي في السماوات، ولكن يبقى عندي امل واحد بان يكون اتباعك بدلوا كلامك الذي اخبرتهم به

أيها السيد انا لم أستطيع ان امنع عينيي من ان تشتهى النساء، ولم أستطيع ان امنع جميع أعضائي من اشتهائهن، وكذلك لن اقلع عيني، ولن اقطع يدي، ولم افعل هذا؟ مادام أباك ارسلك الينا لتتألم وتفدينا، فاذا كنت فدوا لنا فلم التعب اذن؟ ولم نقطع ونقلع؟ أيها السيد في تجسدك كنت تأكل وتشرب وتبول وتغوط ولا اعرف سببا واحدا يجعلك تفعل كل هذا ولا تتزوج

أيها السيد اغفر لي كل كلامي فانا بشر، وأحب الحياة

أيها السيد لقد منعت نفسك عن الزواج، وعن النساء، ومنعت نفسك من اشتهائهم، ولهذا سامحني يا سيدي، فانا لم أستطيع ان امنع نفسي عنهن، وذلك لأنهن أجمل ما خلق اباك.

أيها السيد انت إله، ابن إله، اما أنا، فانا انسان، وابن انسان، ولهذا لا تغضب من الإنسان، إذا خالفت افعاله، أفعال الإله

أنا: أنت أفضل من يكُتب عن المذكرات، فهي تتحدث عنك

الكاتب: لن يقبل مني مخلوق هذا الكلام، وسينتهي الامر بي إما مسجوناً، وإما مقتولاً، فاعفيني من الكتابة في هذا الاتجاه، وابحث عن كاتب اخر يكون مُسلم، وحينما ينتقد لمسيحية، فإن المُسلمين

سينصرونه، وحينما ينتقد الإسلام، فإن المُسلمين على الأقل لن يقتلوه، وسيناقشونه، وحتى إن قتل فإن قاتله سيُقتل، أما المسيحي الذي يُقتل من مُسلم، فإن قاتله سيُسجن، وذلك لان المُسلم لا يُقتل بغير المُسلم، فأبحث عن مُسلم يكتُب لك ودعني أعيش، فأنا أحب الحياة ما استطعت اليها سبيلا

أنا: أقراء المُذكرات أولاً، ثُم أعد صياغتها بأسلوبك الادبي، وبعد ذلك دعنا نُقرر ماذا سنفعل بها، فأنا قد اكتفي بطباعة نُسخة واحدة أهديها لأبني، ليقرأها عني من بعد وفاتي

الكاتب: لك هذا، ولكني لن سأكتُب لابنك، ولن اكتُب للناس، اتفقنا

أنا: اتفقنا، ولكن لي طلب أخير

الكاتب: تفضل

أنا: هل من المُمكن ادراج حوارنا هذا في المُذكرات

الكاتب: الحوار كامل

أنا: احذف منه ما تشاء، ولكنني أرغب في إبقاء اعترافك الي السيد المسيح

الأسود يليق بك

عُدت الي الحياة بشكل طبيعي، أواظب على العلاج، أمارس الرياضة، أمتنعت عن الخمر قدر المُستطاع، وعُدت الي فترة الهُدنة مُجدداً، وبالفعل استقبلت عرض للعمل في أحد الشركات التي ترغب في تأسيس قناة فضائية، وسأقبل بالعرض، ولكن قبل استلام العمل قررت الاهتمام بشأن السيدة التي أشعُر بالتقصير في حقها، وهي والدتي

داومت على زيارتها بشكل يومي، وبحثت عما يُسعدها فلم أجد إلا امر واحد، وهو أداء فريضة الحج، فحجزت لها، ولكنها أصرت على ان أرافقها في تِلك الرحلة، وعزتني في الخِطاب، فلم أجد منها مفراً، فقررت مُرافقتها لأداء فريضة الحج، ولعلي أجِد ما يُغير حياتي مُجدداً، ولكن يبدوا ان لا فائدة في عقلي، ومن الواضح انها لن تكون رحلة سعيدة، حيث (الجواب بيبان من عنوانه) فأنا من اليوم الأول وانا أفكر في كلام الله حينما قال (الحج أشهُر معلومات) فكيف نختصر الأشهر في عشرة أيام فقط؟ وكيف تحول عرفة من (مكان) وأصبح (زمان)؟

كيف تغير توقيت الحج من الشتاء وأصبح في الصيف؟ ولماذا تم تحريم النسئ؟ وهل من أقر بتحريم النسئ، كان يعلم بان الحج سينتقل من فصل الشتاء الي فصل الصيف؟ وهل كان يُدرك بان هذا الانتقال

سيمنع الحُجاج من قطع الصحراء في فصل الصيف؟ هل كان يرغب في منع الناس من الحج في زمان لم تتوافر فيه سوي الجمال للحج؟ فهل تحريم النسئ كان قرار سياسي للقضاء على مناطق تمركز المُعارضة في مكة والمدينة؟ وهل كانت الدولة الاموية هي صاحبة هذا القرار؟

على كل حال فنحن سنُسافر لنؤدي فريضة الله بشكل (مُميز) حيثُ سنُسافر ونؤدي فريضة الحج في ثلاثة أيام فقط، وستكون اقامتنا بالكامل وسط المُكيفات، لأننا دفعنا أكثر مما يدفع الناس، ولهذا ستكون اقامتنا في عرفات، إقامة خمسة نجوم، ولا اعرف كيف نكون كأسنان المشط الواحد، ويجلس الأغنياء في المُكيفات، بينما الفُقراء اللذين كدحوا طوال عُمرهم لادخار مبلغ الحج، سيعذبون من الازدحام وحرارة الجو، سأنزل مع الناس

كان قرار النزول مع الناس من أسواء القرارات التي اتخذتُها في حياتي، فقد تذكرت الرجل الأمريكي الذي أسلم، ثُم سافر لأداء فريضة الحج فقال (الحمد لله أنى أسلمت من قبل أن أري المُسلمين) وها أنا أكررها من بعده قائلاً (الحمد لله على أننى ورثت الإسلام، من قبل ان اقراء تاريخه ومن قبل أن أعيش في وسط المسلمين، ومن قبل ان اري بلاد الإسلام الخالية من المُسلمين)

ان الزحام الشديد هنا يختلف تمام عن مفهوم الحديث الشريف الذي يتحدث عن ان المسلمين مثل الأعضاء في الجسد الواحد، فلو سقط عضو من أعضاء الجسد هنا، لتدافعت باقي الأعضاء لتسير فوق رأسه بنعالها من دون ان تلتفت، أو تشعر بقتلها لهذا العضو، وهو ما كاد يحدُث معي، ولكن الحمد لله خرجت من هذا الزحام، بأقل خسائر، حيثُ اكتفيت بفُقداني لأموالي، فقررت العودة الي الفُندق لجلب كارت البنك، لسحب المزيد من الأموال

جلست أتابع المشهد، عبر نافذة غُرفتي في الفُندق، والتي كانت تُطل على صحن الكعبة، ورغماً عن عقلي، بدأت أفكر في كم الأموال التي دفعها الناس للوصول الي هذا المكان، وكم الاستثمارات التي تعتمد على هذا المكان، وحجم الانفاق الذي يُنفقه القائمين على هذا المكان، إن الأمر ليس هين، وإن الامر يستحق التأمل في كم المليارات المُنفقة، وفيم كان الناس ينفقونها لو توقفت شعيرة الحج لمُدة عام واحد فقط، وليس عشرون عام كما حدث في عهد القرامطة

إن كسوة الكعبة تتغير في كُل عام، وفي كُل عام يتم تقطيع الكسوة القديمة واهداء أجزاء منها الي شخصيات بعينها، وذلك مع العلم بان الكسوة لو بقيت مكانها لعام واحد فقط، سيتم اطعام ما يزيد عن مليون جائع من اللذين يموتون جوعاً، وسيتم تسكين ما يزيد عن مئة ألف مُشرد من المُنتمين الي الإسلام ايضاً، ولكن في هذا العام سيتم تغير الوتد الذي تُربط فيه حبال الكِسوة، وسيُصبح من الذهب الخالص بدلاً من الفضة الخالصة، وكذلك هو الحال مع صُلبان الكهنة وتيجانُهم الذهبية المُرصعة بالأحجار الكريمة، والتي تكفي لإطعام المُشردين في مشارق الأرض ومغاربها

إن التمائم أصبحت عامل مُشترك ما بين جميع ديانات الأرض، وكذلك المُبالغة في استخدام الذهب في تزيين بيوت الإله في الأرض، وكأنه سينزل بنفسه لزيارتها، ولو نزل بنفسه وشاهد الجوعى والمُشردين، من مخلوقاته المُكرمة، لأمر بهدم تِلك البيوت، وأمر بإطعام الفُقراء والمساكين أولاً، وأمر بأحياء النفس أولا، والتي من أحياها، فكأنما أحيا الناس جميعاً

العامل المُشترك الأخر، هو استخدام اللون الأسود، حيثُ لا اعرف سبباً واحد لاستخدام اللون الأسود

تحديداً في كسوة الكعبة، وذلك على الرغم من أن اللون الأسود لم يُستخدم في القرآن إلا للتعبير عن سوء العاقبة، فلماذا لا يتم كسوة الكعبة باللون الأبيض، أو الأخضر، أو الأحمر، أو مجموعة من الألوان تعكس تقبل الإسلام لجميع الثقافات، وخصوصا وان ألوان زي الكعبة من قبل الإسلام أو من بعده، لم تكُن تُحافظ علي لون مُحدد، وإنما كانت الوان الحرير المُتاحة، هي التي تُستخدم من دون تخصيص أي لونٌ بعينة، وفي حال التخصيص، فلماذا يُخصص الأسود تحديداً؟

فهل لأن (الكعبة) مؤنثة فإنها ترتدي الزي الأسود مثل كُل ما هو مؤنث في الإسلام؟ أم هل الدافع هو تعويض غياب الحجر الأسود عنها من بعد ان تحطم علي يد القرامطة؟ لا اعرف، ولكن فيما يبدو ان كُل ما يخُص المسلمين أصبح يتسم بلونين فقط، وهُما الأبيض للرجال، والأسود للنساء، وحتى في تصنيف الناس، فهم إما أبيض وإما اسود، إما مؤمن وإما كافر، حيثُ لا توجد ألوان أخري

كذلك هو الحال مع المسيحية واليهودية، في منطقة الشرق الأوسط، حيثُ تجد لحاهم تُرسم على وجوههم لوحة يغلب عليها السواد، وملابسهم مصبوغة بالسواد، فالقساوسة يرتدون الزي الأسود وان كانوا يتحلون بالألوان الأخرى في الأعياد والمناسبات الدينية، وكأنهم يرتدون الأسود طوال العام كنوع من أنواع الحداد، وكذلك هو حال حاخامات اليهود، فهُم يرتدون اللون الأسود كتعبير عن الحُزن والحداد، الى حين إعادة بناء الهيكل

وبالعودة الي أصل الأديان، وتحديداً في الديانة المصرية القديمة، حيثُ كان المصريين القُدماء، يتخذون من اللون الأسود، لونٌ رمزي لآلهة الموت والعالم الاخر، وقد توارثت النساء في مصر ارتداء اللون الأسود في حالات الموت من جدودهم، ولهذا فاللون الأسود هو دائما رمزا للموت وللحزن، وفي الإسلام هو رمزُ عن عدم الصلاح، وسوء العاقبة، فلما يستخدمه المُنتمين للديانات الإبراهيمية؟

واهم ما لفت نظري هُنا هو منع غير المسلمين من دخول الأماكن المُقدسة، وذلك باعتبارِهم نجس، وبالفعل فإن غير المُسلمين لا يجرؤن على دخول تِلك الأماكن بأنفُسهم، ولكنهم يدخلون بمُنتجاتهم، وتوكيلاتهم التُجارية، حيثُ ان التوكيلات الأمريكية والمقاهي اليهودية، تملأ المكان عن اليمين وعن الشمال، وجميع المنتجات التي تباع هُنا بما فيها المسابح، وملابس الاحرام، صنعت ببلاد تقدس بوذا، وتتخذ من الديانة البوذية عقيدة لها، وجميع المُعدات التي تعمل حول الكعبة، تعود الي بلاد الغرب

إن المكيفات التي تُعين المُسلمين على أداء فريضتهم، تم ابتكارها وتصنيعها بواسطة اشخاص يُمنع دخولهم الي تِلك الأراضي المُقدسة، وحتي مواد البُناء ومكبّرات الصوت التي يُرفع منها الأذان، وحتى الارضيات، والمظلات، وكل شيء بما ما فيها المشروبات الغازية، والزجاجات التي تعبأ بها مياه زمزم، تأتي موادُها من بلاد يُمنع علي أفرادها الدخول الي هُنا، وفي النهاية فإن غير المُسلمين لا يرغبون في الدخول الي هُنا لانهم لن يؤدوا فريضة الحج، ولكنهم يرغبون في الدخول الي هُنا بمُنتجاتهم، للحصول علي نصيب الأسد من المليارات التي تُنفق هُنا، وهذا ما يكفيهم، وكفي

قررت العودة لإستكمال شعائري، ولكنني في البداية توجهت الي ماكينة الصّراف الآلي، لسحب بعض النقود بدلاً عن التي فقدتها، وأما الماكينة، وبداخل صحن الفُندُق وقعت عيني على أحد الذكريات القديمة، إنها الراقصة التي كُنت أعمل معها، وها هي متواجدة كعادتها في موسم الحج، ويحيط بها هالةٌ من النِساء المُحجبات، واللذين يسيرون حولها كنوع من أنواع الحماية، وكذلك فإن تِلك النساء

سيحيطون بها أثناء الطواف، حتى لا تَدهس من اندفاع الرجال، وغيرة النساء، وكفي

إن وجها يُشع نوراً، والعُمر لا يظهر عليها، وقداسة المكان لا تظهر على ملابسها، ولأنها أصبحت فنانة مشهورة، فهي بالتأكيد لن تتذكرني، ولهذا سأتجنب السلام عليها، وسأعود لإستكمال شعائري، وفي تِلك اللحظة، وجدت رئيس بعثة الحج الذي يُشرف على بعثتي، والذي ترك الحجيج وجاء بنفسه لإستقبالها، فكلاهُما من المشاهير، والفضائيات تجمعهُما، وموهبة الرقص كذلك، وكفي

بعد مرورها من امامي وسط الموكب، امتدت عيني رغماً عني، وتتبعت نفس المناطق التي كنت اتتبعها خلال عملي معها، وكان خمارها الأسود الضيق، دافعاً للعودة الي الغُرفة لتجديد الوضوء، وخلال الطريق الي الغُرفة كُنت أفكر في اول قصيدة شعر، استخدمها العرب في الدعاية والإعلان

قل للمليحة في الخمار الأسود مــاذا صـنـعـت بـنـزاهـد مـتـعـبـد

قـــد كـــان شـحـر لـلـص-لاة ثـي-اب-ه حتى وقفت له بباب المسجد

ردي عـلـي-ـه صـلات-ـه وصـي-ام-ـه لا تـقـتـل-ـي-ـه بـــحـــق دي-ـــــن مـحـمـد

الداء والدواء

الإعلان والاعلام وجهان لعملة واحدة، فالإعلام بدأ بمرحلة (النُخبة) وهي المرحلة التي كان الاعلام فيها يبُث المواد التثقيفية والتعليمية، كوسيلة لجذب النُخبة من المُجتمع، ولهذا فإن عدد الشاشات كان قليل، وكان يتمركز في المُدن الرئيسية، ولكن بعد فترة تدخل الإعلان المُمول، فتحول الإعلام الي صناعة، وتحولت الشاشة الي وسيلة لجذب العُملاء، ومع التطور التكنولوجي، تطورت صناعة الشاشات، وانخفض سعرها، وارتفعت نسبة انتشارها، واختلف مقاساتها، واشكالها، فازداد اقبال الناس علي شِرائها، بدافع منهُم بالانضمام الي فئة (النُخبة) التي تمتلك الشاشات،

حينما فقدت فئة (النُخبة) احتكارها للشاشات، قرر القائمين علي الإعلام تطوير المحتوي الإعلامي ليتناسب مع الفئات الجديدة، ولكن اختلاف الأذواق ما بين الفئات التي تمتلك الشاشات، تسبب في وجود عوائق في طريق إرضاء جميع الاذواق، فظهرت القنوات المُتخصصة، وانتقل معها الإعلام من مرحلة (النُخبة) الي مرحلة (التخصُص) فوجد الإعلان ضالته، وقدم الدعم المادي الكامل لجميع القنوات المُتخصصة، فتحكم بها، وفرض هيمنته بالتداخل في صناعة تكنولوجيا الشاشات، فأصبحت رؤوس الأموال التي تدعم التخصص الإعلامي، لا تتخصص في الاستثمارات، فالهدف النهائي هو التحكم في عقول المُجتمعات وتوجيهها، لجني المزيد والمزيد من الأرباح

وعلى الرغم من تطور وسائل التعليم، وازدياد اعداد المدارس والجامعات في المُجتمعات العربية، إلا أنه ومن الواضح، حدوث انهيار كامل في الذوق الثقافي العام، والسبب في ذلك يرجع الي تطور وسائل الإعلام والإعلان، حيثُ تحول الإعلام الي داء، ينتشر ما بين الناس عبر الشاشات، فيسلُب من الناس عقولها، ويوجها الي حيثُ يريد صاحب المال او صاحب السُلطة، فتُخلق المُجتمعات الاستهلاكية من رَحِم احتياجات الناس الزائدة عن حاجتها، فتتحول المُجتمعات الي قُطعان من (الزومبي) تتلقي الأوامر من الشاشات، فتسير مسلوبة الإرادة في اتجاه تحقيق احتياجاتها المُخلقّة من جانب الإعلان، فتتخذ المُجتمعات من غرائزها قبلة تطوف حولها بلا انقطاع، فستهلك المُجتمعات نفسها، بينما هُم يجنون المال، ويحافظون على السُلطة

لقد أُصيبت المُجتمعات العربية بداء (الإعلام) وهو الداء الذي انتشر عبر الشاشات، ولا سبيل للخلاص من هذا الداء، إلا باستخدام الداء نفسه، والشاشات نفسها، وهو ما دفعني لقبول عرض العمل في أحد القنوات الإعلامية، وذلك لأن مالك القناة، تواصل معي بنفسه، وأبلغني برغبته في تقديم محتوي مُختلف، وبطريقة مُختلفة، وهو ما دفعني للعودة الي العمل في هذا المجال،

حددت موعد للمُقابلة، وبدأ (العضو المُنتدب) في تقديم نفسه متفاخراً بأنه من قدم الداعية الإسلامي الشهير، صاحب الأسلوب الجديد في دعوة الناس، وهو الداعية الذي بدأ حياته مع فئة (النُخبة) وهي فئة تحتاج الي أسلوب مُختلف في الدعوة، وذلك لأنها تمتلك المال وتمتلك نظام اجتماعي مُميز، ولهذا فإن دعوة تِلك الفئة تحتاج الي أسلوب مُختلف، ولا مانع من ان يكون الدين مُختلف، ليتناسب مع اختلافهم وتمييزهم عن العالمين، وبالفعل نجح هذا الداعية الشاب، في الانتشار ما بين فئة (النُخبة) ثُم قرر استخدام الاعلام عبر الشاشات العامة، فوقع في مُشكلة إرضاء جميع الاذواق الدينية، فأنتقل الي مرحلة(التخصُص) فوقع كغيره في شباك الإعلان، فأرتفع نجمة، وعلا شانه، علي حساب سِلعته، فما دُمت تربح الأموال من الظهور علي تِلك الشاشات، فأنت مُجبر علي أن تُحقق رغبات مال المال، والأمر لصاحب الأمر

كانت مُقدمة (العضو المُنتدب) كافية لاتخاذي القرار بالاعتذار عن العمل، ولكنني مُضطر لاستكمال الجلسة، فأظهرت بجسدي علامات رفض الاستماع، فضممت ذراعي امام صدري، ووجهت قدمي في اتجاه الباب، وبدأت اصرف نظري عنه، ولولا إنني لم أكن ارغب في أهانته، لنظرت الى ساعتي، أو لأمسكت بهاتفي، وبدأت اجمع محصول الطماطم، على أحد الألعاب الشهيرة، ولكن الرجل لم يلاحظ أى من تصرفاتي، وأكمل حديثه قائلاً: إننا نرغب في تقديم محتوي متوافق مع المحتوي الديني المُرخص والمعمول به في جميع المؤسسات الدينية الرسمية في البلاد

بدأت اسرح في كلامه، وشعُرت بأنه يقول باننا سنُقدم مُنتج حاصل على تصريح من المؤسسات الدينية، فتذكرت المُنتجات الغذائية التي كانت حاصلة على تصريحات من وزارة الصحة، وتذكرت كيف كانت تِلك المُنتجات، وتذكرت فحوى المناهج الدراسية في المؤسسات الدينية، وتأكدت من ان هذا الرجل لم يقرأ كتاب واحد من كُتب المؤسسات الدينية المُعتمدة

أنتقل (العضو المُنتدب) اخيراً الي الحديث عن رؤيته للقناة، فبدأت بتغير وضعية جسدي، لتكون في وضع الاهتمام، فبدأ حديثة قائلاً: أن حلمي هو تطوير الخطاب الديني، وتقديم الدين بشكل مُختلف عن الجميع، من اللذين يتخذون الدين كسلعه، لتحقيق المكاسب المادية، وهو عكس ما امرنا به الله، وعكس ما كان الرسول يقوم به، حيثُ ان رسول الله وصحابته، لم يكونوا يتربحون من الدين

فوضعت يدي على خدي، وبدأت اهمهم مع نهاية كل جملة، حتى انتهى من الحديث عن أحلامه، وعن تجار الدين، وعن أن الرسول وصحابته لم يكونوا يتكسبون قوت يومهم من الدين، وخلال حديثه كُنت مُحافظاً على لساني بداخل فمي حتى لا انطق بكلمة، ولا اسأله عن خُمس الغنائم، وعن توزيع النِساء والأراضي والأموال على المُشاركين في غزوات نشر الدين، كما انني أمسكت نفسي عن سؤال (العضو المُنتدب) عن طريقة تكوينه للثروة هو والدعية الشهير

يجب انهاء تِلك المُقابلة بأسرع وقت، فأنا بالكاد أتحكم في شهيقي وزفيري وانفي، ولا أرغب في ان اترُك ذكري سيئة مع هذا الرجل، ولهذا قاطعت كلامه المُطلق، وسألته عن تصوراته للمحتوي المُختلف، فأجاب الرجل وبدأ في شرح شكل المحتوي المُختلف، ولكنه لم ينطق بكلمة مُختلفة عن أي محتوي يُقدم على أي قناة دينية في العالم، فقاطعته مُجدداً، وسألته مُتعجبا: وما الجديد في كُل ما تقول؟

أشار الى إعجابه بسؤال، وكأنني سألته عن كيفية انفصال الصاروخ عن مكوك الفضاء، من بعد الخروج من مرحلة الجاذبية الأرضية، ثم عاد بظهرة الى الخلف ثانية، وقال لي احسنت السؤال، سأخبرك بالجديد، وعاد يُكرر نفس كلامه عن نفس البرامج المُستهلكة، حيث يرغب في تقديم برامج للفتاوى، ليفتى للناس في أمور دينهم ودنياهم، وبرنامج اخر طبي إسلامي، يستضيف الأطباء ليقدموا استشاراتهم الطبية للمرضى، ولكن مع (حشر) الدين بداخل العلاج بأي طريقة، وبرنامج لتعليم قراءه القُرآن لكبار السن، واخر للأطفال، يعتمد على الترديد خلف المقرئ فقط، بغض النظر ان كان الأطفال سيفهمون ام لا، فالمهم هو ان ينطق الطفل نُطقا صحيحا، على امل في الفهم بعد ان مُستقبلاً، كما حدث مع آبائهم، حيث حفظوا في الصغر، ونسو ما حفظوه في الكبر، ثُم ماتوا وهُم لم يفقهوا لله قولاً

وطبعاُ سيشتمل المحتوي على كارتون قصص الأنبياء، وطبعا لن نحكى للأطفال، قصة سُليمان، لأننا ننفي لهم وجود (العفاريت) حتى لا يخافوا، ولكن قصة سُليمان ستؤكد لهم بان (العفاريت) موجودة، حتى وإن كانوا لا يرونها، فالرؤية ليست مُهمة، فالإيمان بالعفاريت يجب ان يكون غيبي، وكذلك لن نحكى للأطفال قصة يوسف، لأنه من غير المُناسب ان نشرح للأطفال عن كيفية مراوضة امرأة العزيز لفتاها، وكذلك لن نحكي لهم قصة عيسى، لأننا لا نمتلك القُدرة على ان نشرح كيفية وجود طفل من دون اب، ولكننا سنُقدم لهم قصة يونس، وكيف عاش في بطن الحوت، حتى لو كانت بطن الحوت لا تصلح لحياة أي مخلوق، ولكننا سنقصها عليها، وسنُخبرهم بان هذا الحوت لازال على قيد الحياة، حتي وإن كُنا لا نراه، ومن يرغب في رؤيته فليبحث عنه في جميع المُحيطات والبحار

وبالطبع لن ننسي البرامج الدعوية التي يقدمها شباب الدعوة، حيث يقدمون الدين بشكل جديد، وبأسلوب مُختلف، وينتقدون أسلوب المشايخ الغير معاصرين، وَذَلِكَ على الرغم من ان الدُعاة الجُدد يقرؤون من نفس الكُتب التي يقرأ منها قدامي المشايخ، وينقلون جميعاً فتاوي نفس العُلماء، وجميعهم يشتركون في نفس الهدف، ولكن لكل منهم أسلوبه (ولكل شيخ، طريقة)

في سرى نطقت جملة (يا مُسهل الحال يا رب) (يا رب نخلص) ولا اعرف لما تذكرت أحد الأفلام القديمة التي كان البطل يلعب دور (الغبي) وكان هذا الغبي يقود طائرة، وبجانبه يجلس شخص يعرف غباء هذا الشخص، وبدأ يقول (يا رب امتنى مقتول، أمتنى مشنوق، أمتنى محروق، ولكن لا تُمتِنى انا وهذا الغبي في طائرة واحده) ثم ضحكت ضحكة بلهاء وسط الجلسة، فسألني (العضو المُنتدب) عن سبب الضحك، فأجبته بأنني أضحك لشعوري بالتفاؤل، ولأنني أخيراً وجدت من لا يُتاجر بالدين، فتبسم الرجل من

الشعور بالخجل، فطلبت منه الإنصراف، ومن دون النظر في وجهه انصرفت، وأمام المبني وقفت ابحث عن سيارة أجره، فتوقف مُتحدثاً الي نفسي قائلاً:

أنا: لن أشارك في تِلك الجريمة مُجدداً، ولن انهي حياتي العملية في التجارة بالدين، كما بدأتها، لن أشارك في خلق جيل جديد من تجار الدين، لن أساهم في خلق جديد من الأطفال المُغيبين

نفسي: حقاً لن تُشارك

أنا: نعم، لن أشارك

نفسي: حتى وانت تعلم بان هذا الرجل ليس أكثر من واجهه لمُستثمر خليجي، وتعلم بأن هذا العرض، يُعد أفضل عرض مالي عُرض عليك في حياتك

أنا: لن أشارك، واسكت عني

نفسي: أيها التاجر، يامن تاجرت بكل شيء حتى دينك، أيها العابث بعقول البشر، يامن كنت تتباهى بقدراتك على بيع أى شيء لأي شخص، أيها الشيطان، يا من تغوى الناس اجمعين، أخبرني الآن بما هو في ضميرك، أخبرني بالحقيقة، من اين لك بهذا الامتناع؟ من اين لك بهذا الضمير؟ يبدو أنك من بعد أن امتلكت ما يكفيك، وما يُغنيك، بدأت ترى العالم بشكل مختلف، وبدأت ترى نفسك بشكل مختلف، بدأت ترى الإلَه برؤيا مختلفة، أم أنك تُخطط لما هو أفضل من هذا؟

في تِلك اللحظة استقبلت اتصالاً، من الكاتب، وأبلغني بموافقته على العمل في كتابة المُذكرات، وانه مُتحمس للبدء فيها، فشكرته على شعوره، وقدمت له الدعوة لسفر في أحد الفنادق السياحية للعمل على المُذكرات في هدوء، وابلغته بتحملي كافة النفقات، حتى ينتهي من كتابة المُذكرات بأسرع وقت، حيث أنني أشعر باقتراب نهاية المُذكرات، وأعلم بأنني مريض بمرضٍ مُزمن، لا علاج له، وها انا أقف عاجزاً امام عقلي الذي اتخذ من الجنون سبيلاً للوصول الي الإله، ولهذا يجب الانتهاء من اعداد المُذكرات بأسرع وقت، حتى اتركها لولدي، فيطلع عليها في يومٍ من الأيام، فيعرف بأن أباه لم يكُن مجنوناً، وإنما كان يبحث عن الإله

سيقولون له بأنني كُنت مجنون، وسيقولون بان الجنون كان عقاباً لي من الله، على الرغم من ان هذا المرض لو أصاب شخص اخر، لقالوا إنه ابتلاء من الله، وكأنهم اطلعوا على اللوح المحفوظ، أو أن الله اشهدهم مصائر عبادة

أوقفت سيارة اجره، وكان السائق شاب مُلتحياً، فطلبت منه التوجه الي عنوان أحد البنوك، حيثُ قررت انشاء وديعة مالية كبيرة لصالح أبني، حتى تؤمن له مُستقبله، وتُغنيه عن التجارة بالدين مُستقبلاً، فأنا لم أتاجر بالدين، إلا بحثاً عن المال، ولهذا سأغلق هذا الباب في وجه ولدي، وسأحاول أن اغلق له ما استطعت من الأبواب

كُنت طلبت من السائق ان ينتظرني أمام البنك حتى انتهي، فأنا أجد صعوبة في وجود سيارات الأجرة، كما انني أصبحت لا أفضل قيادة السيارات، خاصتاً مع استخدام الدواء، وبعد أن خرجت من البنك وجدت السائق في انتظاري، فسألني عن وجهتي، فسكتُ قليلاً، ثُم طلبت منه السير في خارج اتجاه المدينة،

فتعجب الشاب، وسألني أي اتجاه خارج المدينة؟ فأجبته أي اتجاه بعيداً عن الناس، فأنطلق الشاب في حيرة من أمره بشأني، فهو ليس مُعتاد على تِلك النوعية من الرُكاب، كما انه بدأ يشعُر بالقلق، خاصتاً حينما فردت مقعد السيارة، وطلبت منه تشغيل مُكيف السيارة، وغلق الزُجاج، وعدم ازعاجي إلا حينما نخرج من تِلك المدينة

الأمل

انطلق السائق في اتجاه لا اعرفه، وبعد دقائق قام بتشغيل مِذياع السيارة، وكان الإذاعة المُسجلة هي إذاعة القُرآن الكريم، فطلبت منه أن يُغلق المذياع، فمد الشاب يده لغلقه، ولكن في نفس اللحظة طلبت منه التوقف، حيث كانت سورة (يس)

وكان قوله تعالي (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ؛ اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ؛ وَمَا لِي لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ؛ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِي الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلا يُنقِذُونِ؛ إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ؛

فرددت خلف الإذاعة قائلا: اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ؛ ثُم نظرت الي السائق، وتحدثت اليه قائلاً: هل تعرف الشيخ (فُلان)
السائق: نعم
أنا: يصلي بالناس في ليلة القدر بالجامع الشهير، في مُقابل سبعون ألف جُنيهاً، هل تعرف لماذا؟
السائق: لماذا؟
أنا: لأنه يمتلك القُدرة على إبكاء الناس من خلفة، والناس ترغب في البُكاء، في حين ان مائدة الافطار التي يتوجه اليها هذا الشيخ في اغلب أيام رمضان، تُشبه المائدة التي انزلها الله على عيسى

السائق: هل من المُمكن ان نتوقف هُنا قليلاً؟
أنا: لا مُشكلة، ولكن لماذا؟
السائق: هل تري هذا الرجل الجالس يبيع العسل أمام هذا المسجد؟
أنا: نعم

السائق: هل سمعت من قبل عن كتاب (إسم كتاب مشهور)
أنا: بالتأكيد، فلا توجد مكتبة تخلو من هذا الكتاب
السائق: إن بائع العسل هذا هو صاحب هذا الكتاب

أنا: ولماذا يبيع العسل؟
السائق: لأنه لا يرغب في التربح من الدعوة الي الله، حيثُ وهب مبيعات الكتاب لله، كما انه لا يدخُل الي المسجد إلا بعد ان تُرفع الصلاة، حتى لا يُقدمه الناس للإمامة بهم، كما يرفض الصعود الي المنبر، ويرفض الظهور في الفضائيات وغيرها من وسائل الإعلام، لأنه لا يبتغي الأجر إلا من الله، ويكتفي

برزقه من بيع العسل، وعلى الرغم من هذا فهو يتصدق من دخله على الفقراء، فهل وصلتك الإجابة؟
أنا: نعم، وصلتني الإجابة
السائق: سامحني على تطفُلي، ولكنك ركبت من امام مبني شركة تعمل في مجال الإعلام الديني، فهل تعمل بها؟
أنا: لا، ولكنني كُنت اعمل في شركات شبيها لها

السائق: أنتم من خلقتم أمثال المشايخ اللذين يتربحون من الدعوة، وأنتم من تنقدونهم الأن، ولكنكم لا تعرفون الصالحين، وذلك لأنكم لا تبحثون عنهم، وإنما تبحثون عن الفاسدين وتجار الدين لتنتقدوهم، ولا أعرف لماذا؟ فهل تحاولون انتقادهم حتى تنتقدوا التدين، فتبررون لأنفسكم خروجكم عنه، وتشبعون غرائزكم من دون تأنيب ضمير

أعدت مقعد السيارة الي وضع الجلوس، ونظرت الي الشاب مُتعجباً، ومُعجباً بكلماته، وبدأت انظر الي ملامح وجهه وكأنني أعرفه، أو اعرف من يشبهه، فحاولت استرجاع ملامحه من ذاكرتي ومُطابقتها حتى ظهرت لي نتيجة تطابق ملامحه مع الكيميائي الذي كان يعمل بمعامل شركات البطاطس، والذي كان يعمل على سيارة أجرة كما أخبرني للأنفاق علي والدته المريضة بالسرطان

السائق: سامحني لو كان كلامي جارحاً
أنا: بالعكس، فأنا سعيد بكلامك، ولكن ليس كُل من ينتقدون تجار الدين، يرغبون في إيجاد مُبررات للخروج عن الدين، وإنما يوجد هُنالك من ينتقدهم لأعاقتهم طريقه في الوصول الي الله
السائق: الوصول الي الله!
أنا: نعم

السائق وهل الوصول الي الله، يحتاج الي طريق؟
أنا: وهل لك رأي أخر؟
السائق: إن الوصول الي الله لا يحتاج الي طريق يا سيدي، فأنت الان تجلس بداخل السيارة، فهل ستحتاج طريق للتعرف على السيارة؟ أم أنك ستحتاج الي عين تنظر، وأذن تسمع، وعقل يعقل، وقلبٍ يري؟

انا: وهل انت راءيت الله؟
السائق: بالتأكيد، فهل تُحب أن تراه
أنا: بالتأكيد

توقف السائق مُجدداً أمام أحد الحدائق على الطريق، ونزل من السيارة ودعاني الي النزول، ثُم التقط وردة وقدمها لي، وقال لي: أنظر الي الله، فنظرت الي الوردة وكأنها المرة الأولي التي أري فيها وردة، فما هذا الجمال؟ كيف تدرجت الألوان هكذا؟ وكيف تشكلت الوردة بتِلك الدقة؟

أمسكت بالوردة وعُدت الي السيارة وانا أتأمل كلام هذا الشاب، وبداخل السيارة حافظت على صمتي، وتساءلت عن السبب وراء تعقيدنا للأمور؟ فإن الأمور قد تكون ابسط مما نتخيل، وإن الحقيقة قد تكون أمام أعيُننا ولكننا لا نراها، أو لا نرغب في رؤيتها

إننا لسنا قادرين على إدراك السبب الذي لا سبب له بعقولنا، ولكننا على الأقل قادرين على إدراك عظيم

صُنعه، وقادرين على إدراك أنفسنا، وعلى إدراك الكون من حولنا، فلماذا نَصر علي إدراك ما لا تقوي عقولنا على إدراكه، ونترُك ما تقوي عقولنا على إدراكه؟ فلو أراد الله لنا أن نراه هو، لكان وهبنا القُدرة على رؤيته، وقد نكون نراه ونحن لا نعرف انه هو، وقد يكون لا يرغب لنا في رؤيته، ولكنه يرغب لنا في رؤية عظيم قُدرته فقط؟ ولكن لماذا؟

السائق: هل لازلت ترغب في الخروج الي خارج المدينة؟
أنا: نعم
السائق: فما رائيك في أن أدعوك الي زيارة الله قبل الخروج من المدينة؟

أنا: ترغب في أن نزور مسجد؟
السائق: أقول لك زيارة الله، وليس مُصلي للناس

أنا: فما هو المكان الذي سنزور فيه الله؟
السائق: أترك لي الأمر، اتفقنا
أنا: اتفقنا

فتوقف امام أحد المباني تبدو علية علامات التهالك، وهو مبنى لاحد المستشفيات الحكومية والذي يقدم العلاج على نفقة الدولة بشكل مجاني للمواطنين، ثم دعاني بالنزول، فنزلت، فأغلق السيارة وتوجه في اتجاه المبنى وهو يتحدث لي قائلاً: ان الله ليس موجود بداخل دور العبادة كما يظن البعض، ولكنه موجود ها هُنا، ما بين المستضعفين والمساكين، ولكن أغلب الناس لا يعلمون، فتجدهم يُنفقون أموالهم على انشاء بيوتٍ للإله، ويتركوا الناس بلا مأوي، والله غني عن العالمين

تجد الأغنياء يدخلون الي الأحياء الفقيرة، فجدوا الناس مرضي، وبلا مأوي، فيأسسون لهم دور العبادة، حتى يذهب الناس فيها ويبتهلون الي إلههم، ويدعوه بان يشفيهم، وأن يُطعمهم، وأن يرزقهم، ولا أعرف كيف يتبعد الجائع؟ وكيف يتبعد الفقير؟ وكيف يتبعد المريض؟ وهل ستكون عبادتهم محبة؟ أم اضطرار؟

أنا: وهل تعتقد انت بان العبادة الخالصة ستكون في وقت الرفاهية؟ أم في وقت الاضطرار؟
السائق: سأجيبك عن سؤالك من كلام جواتاما أو(بوذا) عن الاستنارة

أنا: وماذا قال بوذا؟
السائق: أن الاستنارة تكون في (الطريق الوسط) ليس في الانغماس في الرفاهية، وكذلك ليس في تعذيب الذات، وفي جميع الأحوال فإن الحياة معاناة؛ والمعاناة تأتي من الرغبات؛ ولهذا فإن الخلاص من الرغبات يُساعد الإنسان على الخلاص من المُعاناة؛ والخلاص من المُعاناة يُعد مُعاناة جديدة في حد ذاتها؛ ولهذا فإن الخلاص من المُعاناة، لا يكون إلا بمُعاناة جديدة

توقفت مُعجباً، بهذا الشاب، فهو بارقة أمل بالنسبة لي، ودرس جديد من دروس الحياة، وفقرة مُهمة في مُذكراتي، وفور دخولنا الي المستشفى، نودي لصلاة العصر، فاستأذنني للصلاة، وتركني أتجول بداخل المُستشفى، وفي البدء سألت عن مكان التبرع بالدم، وتبرعت وبعد هذا بدأت أتجول مُنفرداً بداخل المُستشفى، من بعد ان تجولت بخارجها

بخارج المستشفى تجد من يبحث عن سيارة لنقل المريض الي منزلة من بعد شفائه، وعلى الناحية

الأخرى من الطريق تجد سيارة نقل موتى، تستعد للدخول الى المستشفى لنقل مريض لم يكتمل شفائه، ولكن اكتمل اجله، وسيارة أخرى وصلت مُحملة بالفرحة، وذلك لوصول مولود جديد إلي الحياة، وسيارة أخرى تقف بجانب سور المستشفى مستغلة حاله الهدوء، فيختلس الشاب من الفتاة قُبلة، وعلي الناحية الأخرى من الطريق المُزدحم يقف بعض العاملين بالمستشفى يبحثون عن وسيلة مواصلات لتُعيدهم الي منازلهم ليرتاحوا من بعد قضاء يومهم ما بين المرضي والموتى

وبداخل المستشفى وجدت اشخاص حررهم المرض من شهواتهم، حيث ان المرض يتسبب في إحداث الخلل بالطين، فينشغل الطين بمرضه، ويترك للروح حريتها، فيترك المريض رغباته في النِساء والطعام، وينشغل الطين في بمحاولات الشفاء، بينما الروح تأمل في الخلاص من هذا الطين، فتبدأ بالاستعداد في العودة الي بيتها القديم من جديد، ولكنها تنتظر مصير هذا الطين، فإن عاد، عادت، وإن لم يعُد، فإنها تسكُت عن الكلام، وتترك الدُنيا لأصحاب الطين والآثام

وبداخل المستشفى أيضا تجد الزوار ممن اتوا لعيادة المرضى، فمنهم من يُفكر في أن المرض ابتلاء، ومنهُم من يظنه عقاب، ومنهم من يدفعهم الحزن على الاعتراض على تصرف الإلَه، ومنهم من لم يقحم الإلَه في الامر، ومنهم من يخشى على المريض من الموت، ومنهم من يخشى على نفسه من موت المريض، فتتعالى الضحكات، وتمتزج بالبكاء والصرخات،

لست قادراً على البقاء أكثر من هذا بداخل تِلك المُستشفى، فانا لا اتحمل رؤية المرضي، ولهذا فأنا لستُ قادراً على مساعدتهم، ولا زيارتهم، فكيف اتحمل رؤية طفل مريض؟ وكيف اتحمل بُكاء رجل من الألم؟ وكيف أتحمل شكور امرأة لا تقوي على الحركة، من بعد ان وهبت قوتها لضمان استمرار الحياة، كما نني عاجز عن استنشاق رائحة البنج، ولهذا سأكتفي بقدرتي على التبرع بالمال، وسأخرج الي خارج هذا المكان، فأنا عاجز عن زيارة الله،

توجهت الي خزينة المُستشفى للتبرع بالمال، فوجدت السائق يقف مع المُحاسب ويقوم بدفع أكبر من إمكانيات سائق سيارة أجرة، فتعجبت وأظهرت له نفسي، وسألته فيما إن كان يربح من العمل كسائق ما يعينه علي دفع كُل هذا المبلغ، فقال لي ان تِلك الأموال ليست امواله، وإنما اخاه أرسلها له من أحد دول الخليج للتبرع بها الي المُستشفى، كنوع من أنواع سدادٍ لدينٍ قديم، حيثُ ان اخاه كان يعمل في احد المعامل بأحد الشركات هُنا، وكان يعمل كذلك كسائق علي سيارةً أجره، للأنفاق علي مرض والدتهما في احد المستشفيات الحكومية، ولكنها ماتت

أنا: وما الدين في هذا؟
السائق: قبل وفاتها قام شخص صالح بنقل والدتي الي أحد المستشفيات الخاصة، وتحمل كافة تكاليف العلاج، لدرجة ان والدتي ماتت وهي تدعي له، فشعر أخي بعظمة هذا الشخص، وقرر أن يتبرع هو الآخر بكُل ما يفيض عن حاجته الي المرضي، وها هو سفر للعمل في أحد دول الخليج، ومع أول راتب، أرسل لي هذا المبلغ للتبرع

أنا: شخص عظيم!
السائق: نعم، ألم أخبرك بان الدُنيا مليئة بالنماذج الجيدة ولكنك لا تراها

في السيارة، سكت قليلاً للتفكير في المرض، والحكمة منه، فهل أراد الله ان يتذكر الانسان ضعفه؟ ام ان الإله لا علاقة له بمرضنا، وإنما نحن نحاول الربط ما بين المرض والإله، حتى نهون علي انفُسنا آلام المرض، ونعُلق أمال شفاؤنا على الإله الرحيم، فندعوه لشفائنا، ولكن هل يُمرض الإله الناس حتى

يشفيهم؟ هل اسم (المُمرض) من أسماء الإله؟ لا

ولكن المرض ضرر، والإله هو (الضار) وهل يتدخل الإله لإلحاق الضرر بأحد مخلوقاته؟ وإذا كان يفعل هذا، فكيف يتدخل هو نفسه لرفع الضرر عنه؟ ولو كان الله هو من يُمرض، وهو من يشفي، فما الحاجة الي الطب إذن؟ ولماذا لا تقوم سيارات الإسعاف بنقل المرضي من المنازل الي بيوت العبادة، وتترك المريض هُنالك، ليشفيه الإله كما أمرضه؟ ولو كان اسم (الضار) من أسماء الله، وهو يعني المُبالغ في الضرر، فكيف تكون المُبالغة في الضرر عُبارة عن فيروس ضعيف مثلاً؟

وكيف يمرض الله الناس، ثم يأمرنا نحن بزيارتهم، ومساعدتهم؟ ثُم يعظم أجر من يُساعد المريض، ثُم يعطي المريض الأعذار الشرعية، فيرفع عنه الحرج، وييسر له طرق العبادة، وهل الأمراض التي تتسبب في وفاة الناس تأتي من عند الإله ايضاً؟ فيكون الإله هو من تسبب في إضرار الأذى بمُستقبل أسرة كاملة

السائق: فيم تُفكر؟
أنا: هل لا تعرف مكان أخر لزيارة الله غير المُستشفيات، فأنا لا أقوي على دخول تِلك الأماكن
السائق: إن الله موجود في كُل مكان، ولكنه دائماً ما يكون أقرب لعباده المُنكسرين
أنا: ومن كسرهم؟
السائق: المرض
أنا: ومن أمرضهُم؟

السائق: ليس صحيحاً ما تُفكر فيه، فالله لا يُمرض عباده، لأنه ليس بضار
أنا: وهل تُنكر إسم من اسمائه؟
السائق: لو كُنت مهتماً بالاطلاع عن الجانب المُضيء في الأديان، لكُنت اطلعت علي أحد الأبحاث المنشورة من أحد العُلماء المُنتمين الي أعرق المؤسسات الدينية، والذي أكد فيه بان اسم الله الضار، ليس من اسمائه، وليس من صفاته، فخالق ملايين المجرات لن يتدخل لإلحاق الضرر بمخلوقاته

أنا: لا يعتبر الكلب كلبا جيدا لأنه يُجيد النباح، والإنسان لا يُستدل على إنسانيته لأنه يجيد الكلام، وكذلك المُتدين، فهو لا يكون مُتدنياً، لمُجرد أدائه للشعائر، وإنما من أفعاله، ومن أفكاره، ومن أخلاقه، ومن سلوكه، ومن إنسانيته، ولهذا فإنني فخور بأنني التقيت بشاب مثلك، وأعدك بأنني سأحاول البحث عن الجوانب المُضيئة في الأديان، وسأسعي لتدوينها في مُذكراتي، وإن لم أجد فيكفيني لقائي بك، وستكون أنت بارقة الامل في مُذكراتي

الخطيئة الأولى

إن خطيئة البشرية الاولي لم تكُن في قتل الأخ لأخيه، وإنما كانت في تربية أدم وحواء لأبنائهُما، فكيف علمه الإله جميع الأسماء، أو جميع العلوم، من دون ان يتعلم طريقة تربية أبنائه؟ وكيف يكون اول حامل لرسالة التوحيد ولم يزرع الحب في قلب أبنائه؟ وهل ترك أدم الغيرة تدُب في قلب أبنائه؟ أم أن الغيرة تُخلق في قلب الإنسان بالفِطرة؟ وهل الغيرة فقط هي التي تُخلق في قلب الإنسان بالفطرة، أم ان الطمع كذلك يُخلق في قلوبنا؟ وهو ما دفع أدم وحواء للأكل من الشجرة، وهل الغيرة والطمع فقط، أم أن هُنالك عيوب اخري خُلقت في الإصدار الأول من البشرية

هل كان ادم وحواء يعرفون ما هي التربية أصلاً؟ أم انهم لم يتعلموها نتيجة وجودهم في الدُنيا بدون اب وأم؟ ولهذا فإنهم لم يتعلموا تربية الأبناء، وذلك لأنهم لم يحصلوا على التربية؟ فهل تم تربية ادم وحواء؟ أم أنهُم كانوا بدون تربية؟ وإن كانوا مروا بفترة تربية، فمن الذي رباهُم؟ لا أعتقد بأن الخالق هو من أدبهُما؟ وذلك لانهما لو كانا تأدبا علي يد الخالق، لما كانا أكلا من الشجرة؟ وما فشلا في تربية أبنائهُما، ولهذا فإن اغلب الظن بأنهم كانوا بدون تربية، وبدون معرفة بعلوم التربية

فهل كان ادم حقاُ هو اول الأنبياء؟ وهل كان يحمل رسالة الإسلام؟ هل اهتم بتعليم ابناءه لمبادئ الدين؟ لا اعتقد، وإلا ما كان الأخ يُقدم علي قتل أخيه؟ وماذا عن نوح؟ هل أخطأ كما أخطاء ادم في التربية؟ أم انه انشغل عن تربية ابناءه بالعمل في الدعوة وبناء السفينة؟

هل خُلقت المعرفة بداخل أدم؟ ام أنه اكتسبها من الحيوانات؟ كما تعلم الأخ دفن أخية من الغُراب، وهل تعلم البشر كُل شيء من الحيوانات؟ وهل تعلم الانسان القتل من الحيوانات؟ ام أن الحيوانات تعلمت القتل من الانسان؟ كما قتل الغُراب أخية؟ وكيف عرف الأخ المقتول بأن القاتل سيُلقي بالنار؟ لابد انه تعلمها من اباه، ولكن ماذا عن الأخ القاتل، هل لم يتعرف على تِلك المعلومة من اباه؟ أم انه تعرف عليها ولكنه لم يؤمن بها؟

هل كان المقتول يُحب القاتل؟ أم انه كان يكرهه فتركه يقتله ليُلقي في النار؟ وهل كان ادم عادل؟ فلماذا لم يُقيم العدالة ويقتل القاتل؟ فهل كان ادم مُدرك لما حدث؟ أم كان مُنشغل مع حواء في اعمار الأرض؟ أم انه كان غارقاً في الندم على ما اقترفه من ذنب في حق الرحمن، أم أنه كان يشعر بالضيق لترك الجنة؟ وهل كان أدم حقا هو اول الخلق؟ ام أنه اول طفرة حقيقية من هذا الخلق؟ وهل كانت حواء هي الأخرى احدى نتائج نفس الطفرة؟ فتم اختيارها لتعيش مع ادم؟ ام ان الله خلع ضلع من ضلوع أدم وهو نائم، وكسا مكانة اللحم، فأصبحت حواء؟ ولماذا لم يخلقها الله كما خلق أدم، وبنفس الطريقة؟

ان النص القرأنى راقبا الي ابعد الحدود ولم يذكر منافسة الأخ لأخيه على الزواج من اختهُما، ولم يذكر حتى أسماء أبناء أدم، حيث اننا تعرفنا علي اسم قابيل وهابيل من التوراة، وكذلك تحدثنا عن قصة الخلق من التوراة، وتحدثنا عن زواج الأخ من اخته من التوراة، حيثُ أن القرآن لم يذكر سوى غيرة الأخ من اخيه بسبب تقبل قُربان، ورفض للأخر، ولهذا فإن الغيرة لم تكُن بسبب الزواج، وإنما كانت غيرة على من هو الأقرب الى الله، ولكن هل كانت أول جريمة قتل على وجه الأرض، بدافع الرغبة في القُرب من الإله؟ فهل كان النص الديني يُساء فهمه مُنذ عهد أدم؟

ان النص القرأنى راقيا الى ابعد الحدود ولا أعرف سببا واحدا لتأويلة بمفهوم جنسي لمجرد ذكر هذا المفهوم في نص توراتي، ولا أعرف سبباً يجعلنا نرفض نظرية التطور إلا لتمسُكنا بما ورد في التوراة

التي لا نؤمن بها، والتي نؤمن بتحريفها، كما اننا نَحارب العلم لتمسُكنا بتأويلات اختلفت باختلاف الأحرف السبعة، وباختلاف التنقيط والتشكيل

إننا أنفُس تسير على الأرض، وجميع الأنفُس مخلوقة من نفسٍ واحدة، فما الذي يمنعنا من القول بأن النفس الأولي كانت ذرة الهيدروجين التي كان منها الانفجار الكبير، فما الذي يمنعنا من القول بهذا، أو علي أقل تقدير، نحترم تِلك النظرية ونُفكر فيها، حيثُ لا يوجد في النص القُرآني ما يتعارض معها، وإنما يوجد ما يؤكدها، حيثُ يقول تعالي (فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ) فما هي (النَّشْأَةَ الآخِرَةَ)؟ وما هي أطوار الخلق؟ هل هي أطوار (الأجنة)؟ أم اطوار (الخلق)؟ فماذا نتعنت في تأويل قولة تعالي (ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا)؟ وهل تشكيل الإنسان من الطين أصعب أم خلقه من خلال (التطور)؟ أسئلة كثيرة لا أجوبة، وأجوبة كثيرة بلا منطق، ومنطق موجود في عقل لا يستطيع ان ينطق، وإن نطق لقيل عنه يُهرطق

انني أتذكر ذاك اليوم الذي تحدثت فيه مع ولدي وسألني مثل باقي الأطفال عن كيفية تواجده في الحياة؟ فتعجبت من سؤاله، وذلك لأنني تعمدت تربية الكلاب في منزلنا، حتى يكتشف بنفسه فكرة الزواج والحمل والإنجاب، وتعمدت تواجده في يوم وضع الكلبة لصغارها، ولكن سؤاله كان أكبر من الاستفسار عن كيفية تواجد صغار الكلبة، وإنما عن كيفية تواجد اول كلبة في الكون

أنا: خلقها الله كما خلق أول انسان في الكون
الأبن: وكيف خلق الله أول انسان في الكون؟
أنا مازحاً: بنفس الطريقة التي خلق بها أول كلبة في الكون
الأبن: وكيف خلق الله أول كلبة في الكون؟

أنا: سأخبرك، ولكن أخبرني أولاً بتصورك عن كيفية خلق أول انسان في الكون
الأبن: جدتي قالت لي ان الله أرسل ملاك الى الأرض، فانتزع جزء منها، وصعد به الي الله، فقام الله بوضع الماء على هذا التراب، فتحول الي طين، ثم شكله كما أقوم انا بتشكيل الصلصال، ثم نفخ فيه من روحه فأصبح الرجل، ثم انتزع الله عظمة من هذا الرجل فشكل منها المرأة، ثم تزوجا، وأنجبا أطفال، ثم تزوج الأطفال من بعضهم البعض، وبدأت الحياة

أنا: لا اعرف ما أقول لك، ولكن ما دُمت تصدق بتِلك الرواية، ففي الغالب ان جميع المخلوقات تشكلت بنفس الطريقة
الأبن: شكل الله كُل تِلك المخلوقات بنفس الطريقة؟

انا: كما تقول جدتك، نعم
الأبن: وهل اتسخت يداه بعد كُل هذا الطين؟
أنا: اسمع يا صغيري، ما دام عقلك وصل الي مثل تِلك التخيُلات، فإنني سأشرح لك طريقة تواجد الكلب وجميع المخلوقات بطريقة اخري، ولكن هل تتذكر (دودة الأز) هل تتذكر كيف تحولت الي فراشة؟ هل تتذكر ذلك اليوم؟

الأبن: نعم

أنا: كَل ما في هذا الكون تواجد بنفس الطريقة تقريباً، حيث أوجد الله ما يُشبه بالشجرة، وفي كَل غصن من غصون تِلك الشجرة ظهرت مجموعة من المخلوقات، فتزاوج بعضها بالبعض في مرحلة دامت ملايين السنين، حتى انتهي الأمر بكُل ما تراه الأن من مخلوقات، وهو تبسيط لنظرية تُسمي (بالتطور)

الأبن: وما هو التطور؟
أنا: التطور نظرية تدعي بأننا تطورنا عبر ملايين السنين، حيثُ كُنا مخلوق واحد وانقسم الي مجموعة مخلوقات، ثُم تأثرت تِلك المخلوقات بالظروف المحيطة بها، فبدأت تتغير وتطور حتى تستطيع التأقلم مع طبيعة الحياة من حولها، واستمر الامر على هذا الحال، حتى وصل الي الشكل الحالي لجميع المخلوقات التي تراها اليوم

انتهي الحوار بيننا في هذا اليوم، ولكن بعد عدة أيام عاد ولدي لإستكمال الحديث مُجدداً، فسألني قائلاً: إذا كُنا تواجدنا بتلك الأشكال بسبب التطور، فلماذا توقف التطور؟
أنا: التطور لم يتوقف؟

الأبن: إذن سنتحول الي مخلوقات أخري؟
أنا: قد يحدث هذا، ولكن ان التطور يحتاج الي ملايين السنين، ويحتاج الي تغير الظروف البيئية من حولنا، او لبعض الأمور الأخرى، ولكن حاول ان تبحث عن الامر بنفسك، وحاول الوصول الي نتائج، وحينما تتوصل الي نتيجة او تواجه صعوبة في الحصول على معلومة، فستجدني بجانبك

أكاد أن أُجزم بمعرفتي بسؤاله التالي، فما دام وصل العقل الي تتبع أصل المخلوقات، فإنه بالتأكيد سيسأل عن أصل الخالق، وعن سبب وجود من أوجد الوجود، ولكن لا اعتقد بان عقله سيسمح له بتقبل حديثي عن السبب الذي لا سبب له، ولكني سأحاول أن ابسط له الامر، وسأحاول ان يبحث هو نفسه، حتى يصل الي ميراثه بنفسه، فأنا لن اترُك لولدي ميراث أجداده، ولن اترك له تركتي الشخصية، وإنما سأساعده على تعلم طرق البحث والتفكير، ليبحث بنفسه ويُفكر بنفسه ويختار بنفسه، لعله يصل الي ما عجزت أنا عن الوصول اليه

حدث ما توقعته بالفعل، وبدأت الأسئلة تتخذ مساراً أكثر عُمقاً، ومع كُل سؤال كُنت اناقش معه بحثه السابق، ثُم أعود لأطلب منه البحث عن إجابة سؤاله القديم، فيعود لسؤال والدته ومُعلمته، وجده وجدته وبعض الأقارب، بالإضافة الي بحث بسيط على الانترنت، حيثُ أنه لم يتجاوز السبع سنوات،

كان يعود لي مُحمل بمجموعة أفكار كثيرة، وكُنت اناقشه في كُل إجابة من الإجابات التي حصل عليها، واترك له حرية اتخاذ القرار، ولا أقدم له أي إجابة، حتى شعر باليأس من الحصول على إجابة مني فسألني قائلا: هل تعرف إجابات الأسئلة التي اطرحها عليك؟

أنا: اعرف إجابة بعضها، وابحث مثلك عن إجابة البعض الاخر
الأبن: ولماذا لا تُخبرني بالإجابات التي تعرفها، بدلاً من اذهب للبحث عنها
أنا: لأن فائدة السؤال تتركز في البحث عن الإجابة، وليس في الإجابة نفسها
الأبن: كيف يكون ذلك؟

أنا: أنظر الي السماء، واختار أي نجمة من النجوم التي تراها، ثُم أخبرني عن معلوماتك عن تِلك النجمة

الأبن: لا اعرف أي معلومات عن النجمة التي اخترتها
أنا: وماذا لو سألتني وأجبتك بان تِلك النجمة تُدعي (ماربيلا)
الأبن: سأكون وصلت الي الإجابة التي احتاج اليها

أنا: وماذا عن النجمة الأخرى التي تقع بجانب (ماربيلا) وماذا عن باقي النجوم؟ هل ستأتي لتسألني عن اسم كُل نجمة؟ وهل تعرف بأن النجمة (ماربيلا) ليست موجودة الان، وإنما كانت موجودة مُنذ ملايين السنين، ولكن نورها وصلك اليك الان، ولهذا فإنك تراها، في حين انها ليست موجودة، أي أنك تشعُر الان بأمر كان وانتهي مُنذ ملايين السنين
الأبن: ماربيلا التي نراها الأن، ليست موجودة

أنا: نعم، إن ماربيلا مُجرد وميض نجم انفجر في الفراغ، ولهذا فإن مُجرد حصولك على إجابة من شخص ما عن اسمها لن يُزيد من علمك شيء، وإنما البحث عن الإجابة هو الذي سيضيف الي معارفك معرفة جديدة، وسيضيف الي اسئلتك سؤال جديد، وبحث جديد، ومعرفة جديدة

الأبن: إذن فأنا لدي سؤال؟
انا: اسأل، ثُم أبحث عن الإجابة بنفسك، وانا سأساعدك
الأبن: متي سنذهب الي الملاهي سوياً كما وعدتني؟
أنا: غداً سنذهب الي الملاهي

عانقني ولف ذراعيه حول رقبتي، وقال لي: (أني أُحبك) فضممته الي صدري وحبست دموعي، فكم كُنت افتقد الي تِلك الضمة، من بعد ضمة والدي، ثم باعدته عني قليلاً، ووضعت يدي على كتفه، ونظرت في عينية وتحدثت اليه قائلاً: قَدْ يأتي يوماً ويقول الناس عني ما ليس بي، فسواء كان حديثهم بالمدح أو بالذم، فلا تهتم بما سيقولون، المهم ما هو ما تشعُر به انت، وإذا وجدت تضارب ما بين حديثهُم وما بين شعورك، فأدخل الي مكتبتي، واقراء ما فيها، وستجد خطوطاً أسفل بعض الأسطر، فدع تِلك الأسطر تحكم ما بيني وبينهُم، والان سأكتُب لك ورقة صغيرة حاول ان تحتفظ بها، لأنك لن تفهمها الأن، ولكنك ستعرف قيمتها في حياتك

الأبن: وماذا ستكتُب؟
أنا: لا تثق بالحصان إذا كُنت خلفه، ولا بالثور إذا كُنت امامه، ولا بالكاهن إيما كان.

أنا والكاتب

اتصل بي الكاتب وطلب مُقابلتي، فطلبت منه زيارتي في منزلي الخاص، حتى يري أماكن الأحداث بنفسه، فأتي في الموعد المُتفق، وجلسنا سوياً، وقدمت له بعض القهوة بمعنها القديم، وخلال جلستنا،

أبدي الكاتب أعجابه بكل ما هو مكتوب بالمُذكرات، وأبلغني بموافقته على العمل بها، ولكنه يمتلك بعض الأسئلة التي تؤرق باله، ويرغب في الإجابة عليها، فطلبت منه ان يطرحها بدون تردد

الكاتب: أن أخشى رد فعل المُجتمع من المُسلمين والمسيحيين؟
أنا: المُسلمين، وأتفهم ما تخشاه، ولكن لماذا تخشي ردود أفعال المُجتمع المسيحي المُسالم؟ أليسوا يطالبون بعلمانية الدولة؟ أليسوا مُنادين باحترام الرأي والرأي الأخر؟

الكاتب: ان الكثير من المسيحين الشرقيين، يُنادون بمدنية المُجتمع، وضرورة الإستماع الي الرأي والرأي الاخر، حتى تأتى رياح الآراء محملة برائحة نقد المسيحية، فينسلِخ أغلبهُم عن التسامُح والمحبة، ويتركون كل دعواتهم بالعلمانية، ويعلنون الحرب على طواحين الهواء التي تحركت بفعل الرياح المُحملة بالنقد، وأنا لا أرغ في أن أكون طاحونة هواء تُحركها رياحُك
أنا: اتفق معك، ولكني لست الرياح التي تُحركك؟

الكاتب: كيف وانت صاحب المُذكرات؟
أنا: أنا مُجرد شخصية في رواية تكتُبها أنت، من وحي خيالك، فإن وجدت بداخل تِلك الرواية ما لا يُرضيك، فأحذفه على الفور، فأنت الكاتب، ولك مُطلق الحُرية

الكاتب: وهل ستوافق على تعديل النص؟
أنا: أنا مُجرد شخصية مكتوبة بالحبر الأزرق بداخل روايتك، وليس لي الحق بالقبول أو الرفض، فأفعل بها ما تشاء، ولا تكتُب إلا ما ترضي عنه، وأنا أثق في قدراتك

الكاتب: وإن كانت لي حُرية التعديل في شخصيتك، وإن كُنت سأحذف الأحداث كما أشاء، فلم استدعيتني إذن؟
أنا: أنا لم أستدعيك، وإنما انت من استدعيتني، لأنني كما أخبرتُك مُجرد شخصية من شخصياتك

الكاتب: أشكرك على تفهُمك، وتقديرك، وأعدك بأنني سأسعى لخروج الرواية بالشكل الذي يُرضيك، وأعدك بأنني لن أحذف منها شيئاً، إلا ما يتعارض مع القانون، وإلا ما سيكشف عن أسماء الشخصيات
أنا: أفعل ما تشاء، ولكن دعنا نتناقش فيما تُفكر تعديله

الكاتب: أُفكر في تعديل أي مدلول على إصابتك بالمرض النفسي
أنا: وما هي وجهة نظرك للقيام بهذا؟

الكاتب: انا لست قادراً على تصورك بتِلك الصورة، كما انني لا أرغب في وصم الشخصية بالمرض النفسي، حتى لا يقول القُراء بأن المرض النفسي هو نهاية كُل صاحب سؤال، وكُل باحث عن الإله

أنا: وجهة نظرك تُحترم، ولك مُطلق الحُرية، فأفعل ما شئت، ولكن دعنا نتناقش بعيداً عن شخصيات روايتك، وأسمح لي أن أسألك عن نظرة المُجتمع العربي للمريض النفسي؟
الكاتب: المُجتمع يعتبر المريض النفسي، شخصٌ مُختل (مجنون)

أنا: ومن هو المُختل المجنون في وجهة نظرك؟
الكاتب: إن المجنون بالنسبة لي، هو ذاك الشخص المُصاب بمرض عقلي، يُفقده السيطرة والتحكُم في نفسه، بما يُمثل خطورة على نفسه وعلى المُجْتَمَع

أنا: وهل تعتقد بأن الأفكار التي طرحها بطل روايتك، لا تَمثل خطراً على نفسه وعلى المُجتمع؟
الكاتب: تُمثل خطورة على نفسه وعلى المُجتمع وعلي الكاتب أيضاً

أنا: وماذا لو كان الكلام صادرٍ عن مجنون مُختل؟
الكاتب: فهمتك، فأنت ترغبً في وصّم البطل بالمرض النفسي أو الجنون، حتى لا يهتم المُجتمع بأطروحته، كما لا يهتم بكلام المُختلين عقلياً

أنا: نعم، كما ان المُجتمع سيعتبر ما أصاب الشخصية، نوعٌ من أنواع العقاب الإلهي لها، وسيُشفي غليله، وسيتخذها نموذج لردع كُل من تسول له نفسه بالتفكير في مثل تِلك الموضوعات
الكاتب: ولكن هذا سيُقلل من شأن وجهات النظر المطروحة بالنسبة للمُهتمين

أنا: إننا لا يجب ان نهتم بوجهات النظر المطروحة، إننا لا نهتم بتقديم الإجابات، وإنما نهتم بطرح الأسئلة فقط، وفي النهاية، فإن عقل قارئ السؤال، سيُساعده على الوصول الي نفس الأجوبة التي تلقاها جميع من طرحوا نفس الأسئلة
الكاتب: كيف هذا؟

أنا: إن كُل فعل ينتُج عنه طاقة، صحيح؟
الكاتب: صحيح

أنا: وكذلك الأفكار، حيثُ ينتُج عن كُل فكرة موجات تُبث من العقل، وهي موجات تُشبه موجات الاثير، حيثُ يكون لها تردُد مُحدد، فتطلق في الفراغ، حتى تصل الي عقل اخر، في مكانٍ أخر، وقد يكون في زمان أخر، فالزمان والمكان غير لازمين لإستقبال موجات الأفكار
الكاتب: وما هو اللازم لإستقبال موجات الأفكار

أنا: التردُد، يجب أن يكون عقل المُستقبِل يمتلك نفس التردُد
الكاتب: وكيف يكون العقل علي نفس التردُد؟

أنا: يطرح نفس السؤال الذي طرحة صاحب موجات الأفكار، ثُم يحاول البحث عن الإجابة باستخدام عقله، ومن دون الإعتماد على أي مصادر خارجية، وفي تِلك الحالة، سيُساعده عقله على ضبط التردُد المناسب لإستقبال موجات الأفكار المُناسبة، وسيصل الي نفس النتائج التي توصل اليها صاحب السؤال الأول
الكاتب: هل ما تقوله مُجرد خيال، أم أنك تتحدث عن حقيقة؟

أنا: انه العقل البشرى المُعجز الذي لا نمتلك سوى ان نقف عاجزين امام قُدراته الخارقة، والتي تصل الى خلق مخلوقات كاملة متكاملة، نراها وترانا، نتحدث اليها، وتتحدث الينا، ونحاورها، فتحاورنا، لدرجة انها تستطيع ان تُقنعنا بأفكارها التي أردناها نحن، أنه العقل الذي تسبب في وصول الحضارات القديمة الي نفس الإجابات من دون ان يلتقوا، حيثُ ان جميع الحضارات القديمة صنعت آلهة وعبدتها، من دون وحي أو رسول، كما ان جميع آلهتهم تشابهت في جميع الصفات، ولكنها اختلفت من حيثُ اللقب، وذلك لإختلاف اللغة

إن الامر اشبه بِظاهرة (تخاطر الأفكار أو تواردها) حيث يتواصل العديد من البشر من دون سابق معرفة، ومن دون لقاء، وقد يتوصل شخصٍ ما الي نفس الفكرة التي دونها أبن خلدون في أحد أعماله التي تم

حرقها، وعلى الرغم من ان الأفكار المدونة تحولت الي رماد، إلا أن الموجات الكهرومغناطيسية للفكرة، ستظل مُنطلقة في الفراغ حتى تصل الي عقل السائل الباحث

الكاتب: ولم لا يكون خالق الأرض، هو نفسه من طرح تِلك الأفكار في الفراغ، حتى يصل اليها كُل من يبحث عنه من دون الحاجة الي كهنوت، ومن دون الحاجة الي وسطاء، ومن دون الإطلاع على مخطوطاتٍ ومدونات وأسّفار، تكبح جماح العقل، وتُفقده إمكانياته الغير محدودة، وتفقده مهارات التواصل مع الأفكار المبثوثة في الفراغ، والتي انطلقت مع انطلاق الكون من قلب ذرة الهيدروجين

أنا: أحسنت، ونحن الان على نفس التردد، أفعل ما شئت في الرواية، فكلانا على نفس التردد

فُرصة

قررت احترام وعدي لأبني، فتوجهت اليه في صباح اليوم التالي حتى نذهب سوياً الي الملاهي، فأنا أشعُر باقتراب نهاية المُذكرات، وقد يكون الاكتئاب هو الدافع لهذا الشعور، وقد يكون الشعور صادقاً، وأياً ما كان، فأنا يجب ان أترك بصمة جيده في حياة ابني، وحياة جميع المُحيطين بي، ولهذا قررت احترام وعدي له في تِلك المرة، وقررت القيادة بنفسي حتى نتحدث بُحريتنا، من دون ان يتداخل غريب في حديثنا، ولهذا طلبت من حارس العقار تجهيز السيارة، وبالفعل جهزها، وانتظر حتى ركبنا، وخلال حديثي معه، جاءت إبنته التي كانت في عُمر ابني تقريباً، أو أكبر قليلاً، فاستأذنت من والدها أن نصحبها معنا في رحلتنا الي الملاهي، فتردد الرجل قليلاً، ثم وافق أمام إلحاحي

إنها ليست المرة الاولي التي اصحبها معنا، ولكنها قد تكون الأخيرة، ولهذا سأكون حريصاً على إسعاد الجميع في هذا اليوم، فبدأت برنامج الرحلة بشراء بعض المُثلجات، ولعض الحلوى، وخلال الطريق استقبلت اتصالاً هاتفياً من رقم غير مُسجل عندي، فتجاهلته، ولكن إلحاح المُتصل دفعني للرد، فكانت المُتصلة هي (فُرصة)

إن فُرصة، هي عملي الصالح الوحيد الخالص لوجه الله في هذه الحياة، حيثُ بدأت علاقتي بها مُنذ طفولتها، حيثُ كانت تعيش في نفس الملجأ الذي كانت تذهب اليه أول فتاة تعرفت عليها في حياتي، وهي الفتاة التي غدرتُ بها، والتي كانت تبكي أمام تمثال العذراء، حيثُ كانت تواظب على زيارة أحد الملاجئ لتقديم الرعاية للأطفال الأيتام، وكانت تصحبني معها في تِلك الزيارات، وهُنالك تعرفت على فُرصة، وكانت طفلة صغيرة، وكانت اشبه بالملائكة في براءتها وجمالها، وكانت مُتكلمة وتمتلك حس فُكاهي مُميز، ولهذا تعلقت بها، وتعلقت بي، واعتبرتها فُرصتي للتكفير عن ذنبي في حق من اجرمت في حقها، ولهذا داومت علي زيارتها، حتي من بعد اختفاء من كانت السبب في لقائي بفُرصة

لم أستطيع زيارتها بلحيتي، وذلك لان الدار كانت تتبع أحد الجمعيات الخيرية المسيحية، ولكنني كُنت أرسل لها ما أستطيع ارساله من الأموال والهدايا، وذلك من الصدقات التي كُنت اجمعها لصالح فُقراء المُسلمين، ولكنني كنت اعتبرها من المؤلفة قلوبهُم، ولهذا كُنت أختصها بمبلغ شهري، ولكنني انقطعت عنها خلال فترة انقطاعي عن الحياة، وبعد ان عُدت حليقاً، فقد عُدت الي زيارتها، وأخبرتها بأن سبب انقطاعي عنها كان لسفري الي الخارج، وبعد عملي وتحسن دخلي، قررت أن اكفُل فُرصة، وازداد تعلقي بها من بعد خُسارة خليلتي، وكلما ازداد شعوري بالذنب، كُنت اعتبر (فُرصة)، فُرصتي للحاق بركب الإنسانية

كانت (فرصة) هي الفتاة المسيحية الوحيدة التي عرفتها ولم اتحدث معها بشأن الأديان، ولا أعرف لماذا؟ ولكن فيما يبدوا أنني لم أكن اتحدث عن الأديان مع النِساء إلا بدوافع جنسية، أو دوافع تتعلق بعلاقة الرجل بالمرأة، ولكن (فُرصة) كانت ولازالت إبنة قلبي، وطفلتي الجميلة

كانت مُديرة الدار تحترم ارتباطي بها، وارتباطها بي، وتُقدر زيارتي للدار، على الرغم من انني مُسلم، حيثُ أن دور الرعاية الإسلامية تجتذب المُسلمين، وبالتالي فإن دور الرعاية المسيحية تجتذب المسيحين، وكلاهُما يتنافس علي زيادة عدد الأطفال الأيتام، حتى يُعمد البعض، وينطق البعض الاخر بالشهادتين، وبالتالي فإن الأيتام يرثون ديانة من يرعاهم

إن رعاية الأيتام تُعد ركناً من اركان الإنسانية، وهي كذلك في الأديان، حيثُ قرر الإله ان يثيب كافلهُم بالجنة، وذلك من دون توضيح ديانة كافل اليتيم، أو ديانة اليتيم نفسه، فكلاهُما في الجنة، علي حسب ما أري، ويُفترض بان يكون هذا هو دور الأديان في الارتقاء بالجنس البشرى

أوشكت فُرصة على الإنتهاء من دراستها الجامعية، وخلال تِلك الأعوام تكفلت بها تماماً، وحافظت على التواصل معها، ولكنها في العام الأخير ابتعدت قليلاً، ولا أعرف دوافعها، ولكنني أحترم رغباتها، حيثُ لا أهتم إلا بسعادتها، فكفاها جريمة أهلها في حقها، وكفاها معاناتها من قسوة الحياة، وكفاها نظرة الجميع لها، ولهذا كُنت اترك لها مساحتها الكاملة، فخصصت لها وديعة في البنك، وكان ريعها يحوّل بشكلٍ مُنتظم الي حسابها في الدار، كما أنني تملكت وحدة سكنية لها، وعرضت عليها الانفصال عن الدار لتخطيها السن القانوني، ولكنها رفضت وفضلت البقاء بجانب اليتامى في نفس الدار، وأنا أُقدر شعورها، وها هي الان تتصل بي من رقم غير مُسجل عندي، فما السبب

تعرضت فُرصة لحادث سرقة لحقيبتها وهاتفها المحمول، فاتصلت بي، فتوجهت اليها على الفور، وتوقفنا أمام أحد شركات المحمول لاستبدال الشريحة، وشِراء هاتف جديد، ثُم دعوتها لإستكمال اليوم مع إبني، وكان اللقاء الأول بين أبني، وابنة قلبي، وخلال طريق تعمد أبني للفت انتباهي بأحد الأسئلة التي كانت تشغل باله، وفاجئني سائلاً: عما إن المسيحين (كفرة) وسيدخلون النار أم لا؟

هو يري الصليب مُعلق برقبة فُرصة، ويلي الصليب موشوم على معصم أبنة حارس العقار، وهو يعلم جيداً إجابة السؤال، ولكن غيرته على والده، وشعوره بالعطلة، دفعاه الي لفت انتباهي، بهذا السؤال الخبيث، وفيما يبدوا انه ورث الشر عن والده.

إن طبيعة السؤال تستلزم التدخُل المُباشر، وذلك لان سيصل في بحثه الي الإجابة التي لا أرغب له في الوصول اليها، كما انني ملزوم بالدفاع عن مشاعر ابنة حارس العقار، فلا ذنب لها من ان تسمع مثل هذا الكلام، ولهذا لن اطلب منه البحث عن اجابة هذا السؤال، وسأجيبه بشكل مُباشر، فتوقفت على جانب الطريق، حيثُ كانت الرمال تُغطي الجانبين، وطلبت منهم النزول من السيارة، ثُم توجهت برِفقتهُم الي الرمال، وحفرة حُفرة صغيرة بيدي، ووضعت بداخلها بعض الحلوى، ودفنتها بالرمال ثانية، فاختفت بداخل الرمال، ثم أخبرته باننا (كفرنا) الحلوى بالرمال الأن، وذلك لأن معني (الكُفر) تعني تغطية الشيء وإخفاءه

طلبت منهم بعد ذلك، العثور على الحلوى، ومِن دون مجهود أشار الجميع اليها، فهي (كفرت) أمامهُم، ثُم عُدنا الي السيارة، فتحركنا بِضعة أمتار، ثُم طلبت منهم العودة للبحث عن مكان الحلوى (الكافرة) فاختلفوا بشأن مكان (كُفرها) وكانت جميع اختياراتهم خاطئة، حتى أنا لم اتعرف على مكانها، وهُنا بدأت في التحدث اليهُم قائلاً:

أنا: إننا جميعاً نؤمن بوجود قطعة الحلوى، في مكانٍ ما هُنا، ولكننا جميعاً لسنا واثقين من مكان وجودها، ولهذا فقد اختار كلٍ منا البحث في طريق مُختلفٍ عن الأخر، فأصبحنا مُختلفين في طريقة البحث عن الحلوى، ولكننا مُجتمعين على الإيمان بوجودها، ونتشارك نفس الهدف بالوصول الي ما نؤمن بوجوده، ولهذا فإننا من المُمكن ان نتعاون في البحث، ومن المُمكن ان نتشاجر وننسي البحث عن الحلوى، وننسي ايماننا بوجودها، ونتذكر اختلافاتُنا فقط

فُرصة: وإن لم نجدها جميعاً؟
أنا: ليس الهدف من البحث يا فُرصة هو وجودها، وإلا ما كُنت (كفرتها) ولكن الهدف هو الايمان بها، والبحث عنها، والتعاون على وجودها، وفي تِلك اللحظة فقط، يفوز كُل منا بلقب إنسان

كانت علامات الاقتناع والرضا واضحة عليهم جميعاً، ولو كانوا عُملاء، لكُنت اقنعتهم في تِلك اللحظة بالدفع لشراء شاليه مُميز في كوكب بلوتو، ولكن لحُسن حظهم أنني لا أمتلك رسومات لموقع الشاليهات، فأدرنا ظهورنا للحوي الكافرة، وأعلنت طفولتهم انتصارها على كُل ما هو غير إنساني، وانطلقنا الي مدينة الملاهي للاستمتاع بالرحلة

شاركتهُم اللعب بداخل الملاهي، ثُم تركتهُم تحت رعاية سعادتهم، للتحدث الي فُرصة وسؤالها عما حدث لها اليوم، فبدأت تحكي لي الموقف ولكن برواية مُختلفة قليلاً عن روايتها في الهاتف، فبدأت في النظر الي وجها بنظرة مُختلفة للمرة الاولي، حيث لم اعتاد النظر الي وجهها للتأكد من صدقها، وذلك لأنني لم أتصور يوماً بأن تكون طفلتي كاذبة، فكررت عليها الأسئلة وراقبت علامات جسدها، وتأكدت كذبها، وتأكدت من اخفائها لشيء ما

أطلت النظر في عينها، من دون ان انطق بكلمة واحدة، فبدأت تشعُر بالتوتر، ومدت يدها في اتجاه شعرها الذي كان (كافراً) لرقبتها، فانكشفت رقبتها، فوجدت علامات أعرفها جيداً، أنها علامات الشوق، وقد تركها أحدهُم على رقبتها، فبدأت انظر الي جسدها فاكتشفت بأن الطفلة أصبحت فتاة بالغة، وها هي تواعد شاب، فيترك علامته على جسدها، وها انا أقف أمامها عاجزاً للمرة الاولي في حياتي، لا اعرف ما أقول لها، ولا اعرف إن كان مشاعر غضبي مُناسبة، أم انني يجب ان احترم حياتها الشخصية، فأنا لست مُعتاداً علي مشاعر الأبوة لفتاة بالغة

أنا: لا تقلقي بشأن هاتفك المسروق، فأنا سأتصل بأحد أصدقائي في وزارة الداخلية، وسنتتبع الهاتف، وسنصل الي اللص، وستتوجه حملة الي مكان السرقة، وستتحرى ملامح اللص من جميع أصحاب المحلات في هذا الشارع، وسنصل الي اللص بأسرع وقت
فُرصة مُتوترة: لا، لا داعي لهذا

امسكت بهاتفي وادعيت الاتصال بأحد الأرقام، وبدأت اطلب منه توجيه حملة الي مكان السرقة، وطلب تتبع الهاتف المسروق، وفي نفس الوقت كُنت اراقب ملامح وجهها وهي على وشك البُكاء، فأغلقت الهاتف وضممتها فبكت، فسألتها عما حدث فقررت أن تحكي لي نفس المشهد، بنفس التفاصيل، بنفس الوقائع، مع اختلاف بسيط في أسماء الشخصيات

فُرصة: تعرفت على زميلٌ لي في الدراسة، وتطورت مشاعرنا في فترة قصيرة، فاندفعت مشاعري تجاهه، وكأنني اعوض به حرماني من مشاعر الأب والأم والاخوة، فتطورت العلاقة بشكل أكبر
أنا: الي أي درجة؟

فرصة: الي درجة لقاؤنا في المنزل الذي اشتريته لي
أنا: والي أي مرحلة وصلت العلاقة بداخل المنزل؟
فُرصة: الي درجة الزواج

أنا: وما ديانته؟
فُرصة: مُسلم
أنا: ودعاكي بالطبع الي دخول الإسلام
فُرصة: نعم

أنا: ووعدك بالبحث عن فُرصة عمل في الخارج، وسفركُما سوياً
فُرصة: هل تعرفه؟
أنا: نعم، أعرفه جيداً، ولكنني لم أتوقع بأن يرد الصفعة لي بعد كُل هذا الوقت
فُرصة: أي صفعة؟ إنه من عٌمري

أنا: وانت ما رائيك في عرضه للزواج منك؟
فُرصة: أنا أحبه، ولكنني لا ارغب في ترك ديني، وهو يُصر على التحقير من شأن ديني، ومُناقشتي في مسائل تتعلق بعقيديتي، لدرجة انني بدأت اتحدث عن دينه، بنفس الطريقة التي يتحدث بها عن ديني، فثار اليوم، وأمسك هاتفي وحطمة من الغضب، لمُجرد أنني اضع ترنيمة كنغمة، ثم أمسك بتمثال العذراء ووضعه على الأرض وحطمة بقدمه، فقررت الاتصال بك، ولكنني لم أتمكن من أحكي لك ما حدث فكذبت عليك، ولكن (يعلم ربنا) أنني اتصلت بك لأحكي لك

أنا: هل اعترفتِ للآب؟
فُرصة: لم أستطيع، ولكنني اعترفت للعذراء، وهي أرشدتني بطلب العون من شخص حكيم كالحية، وطيب كالحمام، وأنا لا أعرف شخص بتلك المواصفات غيرك، فأنت الآب، بالنسبة لي، واليك أعترف، فاغفر لي خطيئتي

يا ليتني مِت قبل هذا وكُنت نسياً منسيا، يا ليتني أكون في حالة من حالات الهلوسة، فهل ينبش عقلي في الماضي؟ وكيف تتكرر الأحداث هكذا؟ نفس الخسة، ونفس الأفعال، ونفس الاقوال، فكيف يعيد التاريخ نفسه مُجدداً؟ وكيف تتشابه الوقائع الي تِلك الدرجة؟ وكأنها قصة المسيح التي تطابقت مع ميترا، أو كأنها قصة موسى التي تطابقت مع قصة سرجون الأكادي، او كتطابق طوفان نوح مع الاساطير السومرية، أو كغيرها من الأساطير التي تطابقت، ولكني لن اترك باقي الأحداث تتطابق، ولن اتخلى عن فُرصة التكفير عما فات

أنا: اسمعيني يا (فُرصة) لعلها تكون الفُرصة الأخيرة لي ولكي، وأنا لن اتخلى عنكي، ولكن قبل الحديث عن أي شيء يجب ان تعرفي بانك لازلتِ صغيرة جداً على اتخاذ قرار بشأن اختيار شريك حياتك، كما أن معارفك وعلومك بأمور دينك ودينه، لا تؤهلك لاتخاذك قرار بشأن عقيدتك،

أنت أخطئتِ، ولكننا لا زلنا قادرين على تدارك هذا الموقف، ولكن زواجك منه في هذا العمر، وبتلك الخبرات، سينتُج عنه أخطاء أكبر، ولن نستطيع تدارُكها، وذلك لأنها ستتعلق بحياة أشخاص غيرك وغيره، فهل ترغبين في إنجاب أطفال مشوهين عقائدياً؟

إن لك وديعة ماليه باسمك، وسيكفيكِ ريعُهَا، ولن تحتاجي الي أحد، حتى لو مِت أنا، فانت تمتلكين

المسكن والمال ودراستك، ولو كَنتي ترغبين في السفر الي الخارج ساعدتك على هذا، وحتى إن امتلكتِ الخبرات اللازمة لاتخاذ قرار بالزواج من هذا الشخص، فهل سيحترم عقيدتك؟ وهل ستحترمين انت عقيدته؟ وإن افترضنا هذا، فهل ستتركين أبنائك لدين أبيهُم؟ أم ستوحين إليهم بدينك؟ أم ستتركونهم ليختاروا ما يقتنعون به؟

فإن علاقتك به تُشبه حشرة (اليراعة) تِلك الحشرة التي تحتاج الي الظلام ليظهر نورها، فلا تقبلي أن تخوضي تجربة تجعلك كحشرة، تعيش مع خفافيش الظلام، إياك يا فُرصة أن تتركي عقيدتك من اجل علاقة، فالعقائد لا تُترك هكذا، ولا تُبني هكذا

<u>هي والكاتب</u>

إحسنت استغلال فُرصتي مع فُرصة، ولكن الكاتب قرر عدم ذكر جميع الاحداث التي وقعت ما بيني وبين فُرصة وما بين الشاب وعائلته، وما بين بعض الكهنة من الجانبين، ولهذا فإنني سأكتفي بادعاء حُسن استغلال الفُرصة، وذلك نزولاً على رغبة الكاتب الذي بدأت علاقتي تتوتر به، وبدأت أشعر بعدم الرضا عن تعديلاته وتدخلاته في مُذكراتي، ولكنه أوشك على الانتهاء منها، وأوشكت علاقتنا على الإنتهاء، ولهذا فإنني مُضطر لتحمل وجوده في حياتي حتى ننتهي

سافر ولدي الي الولايات المُتحدة الأمريكية مع والدته، وذلك لقضاء عُطلت مُنتصف العام، وإنهاء بعض الأوراق المُتعلقة بالحصول على الجنسية، وفي الغالب سيُكمل حياته في أرض الفُرص، وفي الغالب سأضطر للسفر اليه عما قريب، فأنا خططت للزواج من والدته من اجل هذا، وتحملت الحياة معها، من اجل أن اضمن له حياة أفضل من حياتي، ومُجتمع أفضل من مُجتمعي، وميراث أفضل من ميراثي

عُدت الي شُرب الخمر، وعاد الشعور (بالصداع) يفتك برأسي، وكُنت أتحمل، وأتغلب عليه بالمُسكنات، ولكني اليوم أصبحت عاجزاً عن تحمُل الألم، فقررت الذهاب الي زيارة صديقي الطبيب، فخرجت الي الشارع فوجدت الضباب يُهيمن علي المشهد، فقررت قيادة سيارتي بحرص شديد، حتي وصلت الي مكان المصحة، وخرجت من السيارة فلم اجد المصحة، واكتشفت بأنني توقفت في المكان الخاطئ، يبدوا أنني لا زلت تحت تأثير الخمر، وقد يكون الضباب هو السبب، فعُدت الي السيارة وقررت الاتصال به، ولكن هاتفه كان مُغلق علي غير عادته، فحاولت الاتصال به مُجدداً، ولكنني لم أتمكن بسبب استقبالي اتصال من رقم (غير معروف)، فظننت أنه ولدي يحاول الاتصال بي من الخارج

<u>أنا</u> : ألو
<u>المُتصل</u> : (سكوت)
<u>أنا</u> : ألو
<u>المُتصل</u> : وحشتني

إنها هي، نعم انه هيا، انه الصوت المُسجل بداخلي، أنه الصوت الذي لم انساه لحظه، أنه الصوت الذي استدعي جميع ذكرياتي معها، وجميع ذكرياتي من بعد رحيلها، إنها هي، إنها حبيبتي، إنها خليلتي

<u>أنا</u> : أين أنت؟ انا في أشد الحاجة اليكِ

هي : انا ايضاً في اشد الحاجة اليك، وعُدت خصيصاً من اجل لقاؤك
أنا : هل أنتِ هُنا؟
هي : نعم، وأنتظر رؤيتك بأسرع وقت

أختفي الشعور بالألم، وانطلقت في اتجاه العنوان الذي ابلغتني به، ولكن يجب اولاً التوجه الي منزلي، لجلب تمثال العذراء الذي أعدت تجميعه، وأصلحته واحتفظ به في خزينتي طوال تِلك السنين، كما انها ستكون فُرصة حتى أتزين، وأضع العطر الذي اهدته لي مُنذ سنوات، ولا زلت مُحتفظاً به هو الاخر، بداخل خزينتي

دخلت الي المنزل فوجدته أشبه ببقايا ساحة حرب، فالفوضى تُهيمن على المشهد، وكأنه تعرض للتفتيش والسرقة، فتوقفت وسط الحُطام، ووسط الأدراج الفارغة، وخزينة الملابس المُلقاه على الأرض، وبدأت أفكر فيمن تسبب في احداث تِلك الفوضى، وهل اتصل بالشرطة؟ لا، فالباب والنوافذ مُغلقين بإحكام، ولا توجد أي أثار لمحاولة كسر الباب، ولهذا فإن من أحدث تِلك الفوضى، يمتلك نُسخة من مفاتيح المنزل، فمن يكون؟ لا أعرف، ولكن زوجتي وابني خارج البلاد، ولا أحد يزورني في هذا المنزل، إلا الكاتب

الكاتب! هل يُعقل بان يكون هو من أوجد كُل تِلك الفوضى؟ إن سلوكه كان غريباً معي في الفترة الأخيرة، حيثُ تأثر بالمُذكرات لدرجة انه بدأ يذهب الي أماكن الأحداث ليحاول التأكد من صحة الأحداث، وبدأ يتصل ببعض الشخصيات القديمة ويسألهم عني، بل أن الامر وصل به الي مُراقبتي، بالتأكيد سيكون هو، وأنا يجب أن أضع حداً لكُل تصرفاته، ولكن الوقت غير مُناسب الان

انتهيت من الاستحمام، ومن حلاقة ذقني، ثُم خرجت لاختيار ملابسي، فلاحظت ان جميع الملابس مُلقاة على الأرض، إلا بدلة وقميص، ومعطف، وحذاء، وبعض الأشياء الصغيرة، حيث كانوا موضوعين باهتمام على الفراش، وكأنه أختارهم لي، وبصراحة كان ذوقه جيد، فقررت استخدامهم، ولي وقفه معه، ولكن ليس الان

انتهيت من ارتداء ملابسي، ووقفت امام المرآة، وشعرت بانه يراني الأن ويبتسم، فتوجهت الي الخزينة، واخرجت العطر واستخدمته حتى أخر قطرة فيه، ثُم امسكت بالتمثال، فوقعت طوابع مادة (ال أس دي) التي كُنت اشتريتها مع صديقتي المُخرجة، ولكن عددها أقل بكثير من العدد الذي كُنت أحتفظ به، فهل استخدمها هذا الكاتب، وهل هي سبب تصرفاته العجيبة في الفترة الأخيرة؟ ربما، ولكن ما دوافعه للقيام بهذا؟ ولماذا؟

انطلقت مُسرعاً في طريقي اليها، وسط شوارعاً شبه خاليه من السيارات، ويبدوا أن الطقس أجبر الناس على البقاء في منازلهم، وأنا الاخر سابقي في منزلها الليلة، ولليلتين بعدها، وليلة، وسأبقي حتى الخامسة، حتى أشفي من شوقي لها، وأتداوى بمن كانت هي الداءُ

فتحت لي البابِ وكأنها لم تغيب عنى لحظة، وبدون تفكير تعانقنا فانغمس كل من منا في الاخر، وبكينا من الاشواق، ثم حلت يداها من حول رقبتي، فحللت يدي من حول صدرها، فباعدت وجهي عن وجهها، حتى تُتيح للعينان الفُرصة باللقاء، وتتيح للقُبلات الحق في التعبير عن الأشواق، ثُم حملتها ومشيت بها في طريق مُستقيم كقضبان القطار، حتى توقف القطار بجانب محطة ركوب المُسافرين، وعندها كُنا على

الفراش

لم ننطق بكلمة مُنذ فُراقنا، وحتى الان، فمُنذ لقائي بها لم أنطق بكلمة وكذلك هي، فطال الوقت، فزدنا عليه وقتٍ أخر، حيثُ كانت أشواقنا في حاجة الي مزيد من الوقت، حتى تُروي ظمائها، فتنفك قيود الكلمات، وحتى تِلك اللحظة، فإننا في قلب الوقت، ولكننا بحاجة الي المزيد من الاوقاتِ

أعطيني وقتاً. كي أستقبل هذا الحب الآتي من غير استئذان
أعطيني وقتاً. كي أتذكر هذا الوجه الطالع من شجر النسيان
أعطيني وقتاً. كي أتجنب هذا الحب الواقف في نصف الشريان
يا امرأة. كانوا كتبوها في كتب السحر. من قبلك كان العالم نثراً. ثم أتيت فكان الشعر
أعطيني وقتاً. كي أستوعب هذا النهد الراكض نحوي مثل المهر.
كرويٌ نهدك مثل النقطة فوق السطر .
فانكسري فوق سرير الحب، انكسري مثل دواة الحبر.
وانتشري. كالعطر الهندي فإني اللحم. وأنت الظفر .
أعطيني الفرصة. كي أكتشف الحد الفاصل بين يقين الحب. وبين الكفر .
أعطيني الفرصة. حتى أقنع أني قَدْ شاهدت النجم. وكلمني سيدنا الخضر.

بعد أن أحسنا استغلال الوقت من غير حديث، ومن بعد أن تحدثنا من دون كلام، انفكت قيود الكلمات، وعبرنا عن اشواقنا، وكُل المشاعر التي اخفيناها في صدورنا، طوال تِلك السنوات، ثم عُدنا الي السُكات، فأعدنا استغلال الأوقات، فحلقنا في اتجاه السنوات، ولكننا لم نصل الي السابعة، واكتفينا بالسماء الرابعة، وقبل الوصول الي الخامسة، استسلمنا للنوم في ثُبات

شعرت بالدفء يبتعد عندي، فاستيقظت فوجدتها تتوجه الي الاستحمام، فسترت عورتي وتحركت الي الخارج بهدف التدخين، فلفت انتباهي تصميم المنزل على الطراز الفرعوني، وكأنني بداخل معبد من معابد المصريين القُدماء، فأشعلت سيجارتي، وجلست على أحد الكراسي المُحلي بالنقوش الفرعونية، وفتشت من حولي عن شيء لأطفئ فيه سيجارتي، فوجدت كتاب الخروج الي النهار، فأمسكت به، فخرجت ترتدي ملابس فرعونية أسخن من أي ملابس قد ترتديها امرأة قط، وجاءت وجلست بجانب قدمي

أنا : رائعة، وكأنك كنت تتحركي بسرعة الضوء، فتوقف الزمان، فما استطاعت السنين أن تترك بصمتها على وجهك أو جسدك، كما فعلت بي
هي : أنت كما أنت، أنت لست وجه وجسد، أنت حبيبي، والزمان سيبقي عاجزاً علي ترك بصمته على الحُب، وخاصتاً حبي لك، فهو لن ينقُص، ولن يزيد، لأن الكون لن يستوعب زيادة حبي لك

أنا : لماذا رحلتي إذن؟
هي : لم اقبل اهانتك، لم أرغب في رحيل مشاعري عنك، فقررت الرحيل بجسدي، ولكن مشاعري لم ترحل عنك لحظة، حتى بعد زواجك، وحتى بعد ان أخلفت وعودك لي، وحتى بعد ان أخلفت وعدي لك، فأنا لم انساك، وأعرف بانك لم تنساني

توقفت وتوجهت الي حقيبتي، فأخرجت لها تمثال مريم، فتجمدت امامه قليلاً، ثُم بكت، ثُم اندفعت في اتجاهي وضمنتي بذراعيها، وقالت لي، أنت الحكيم كالحية، والطيب كالحمام، أنت أسطورتي، وعقيدتي،

وانت ايماني وكَفري، وانت حقيقتي ووهمي، أنت الكذبة وأنت الحقيقة، ثم أمسكت بالتمثال ووضعته بداخل غُرفتها، ثُم أحضرت زُجاجة من الكريستال، وبها خمرٌ لا اعرف نوعه، كما أحضرت أكواب بتوسطها كأس من المعدن المُحلي بالرموز الهيروغليفية

أنا : متي أسستِ كُل تِلك الديكورات؟ ومنذ متي وانت مُهتمة بحياة المصرين القُدماء؟
هي : أنه منزل والدي، وقد كشف لي عن عمله في تجارة الأثار قبل وفاته

أنا : ومتي توفي؟
هي : بعد شهر واحد من زواجك

أنا : وهل رائيتيه قبل وفاته؟
هي : حضرت في يوم فرحك، وتعمدت رؤيتك، وبعد فرحك تحدثت مع والدك، وكان رجلاً جميلاً، وكان يرغب في الحصول على رقم هاتفي، فعلمت مصدر شغفك بالنِساء، وبعدها قررت قضاء عُطلتي مع والدي، وكان يشعُر باقتراب اجله، وأطلعني على جميع اسراراه، وأبلغني بشعوره بالذنب تجاه والدتي، وتجاهي، ولكن بعد فوات الأوان، وقبل وفاته بأيام، اختصني بهذا المنزل، واختصني بهذا الكأس الفرعوني، وهو كأس (خونسو إم حب)

أنا : ومن هو (خونسو إم حب)
هي : صانع الخمر الأول في عهد الدولة الرعمسية

أنا : وتحتفظين به طوال السنين الماضية؟
هي : اتخذت قرار في لحظة امتلاكي للكأس بان لا يستخدمه مخلوق قبلك، ثُم سافرت بعد وفاة والدي بفترة قليلة، وقررت عدم العودة، ولكنني عُدت من أجلك، حيث كُنت اعلم بحاجتك لي، وحاجتي لك، وسفر زوجتك وأبنك

أنا : وكيف علمتي بسفرهم؟
هي : من يسأل، يصل الي الإجابة

أنا : والي أي حد وصلت أسئلتك، وما هي الأجوبة التي أتيحت لك عني
هي : كمن مُهتمة بعملك، ورشحتك للعمل في شركة الدعاية والإعلان التي تركتها بسبب كيس بطاطس، واعرف عن القناة التي عملت بها، وعلمت مؤخراً بشأن مرضك، والرقيب وماربيلا، وعلاقتك بصديقك الطبيب، والكاتب، وفُرصة

أنا : من نقل لك كُل تِلك المعلومات، الكاتب؟ لا يوجد غيره يعلم كُل هذا، وكيف وصل لك؟
هي : ليس هو، وسأخبرك، ولكن دعنا نشرب أولاً، وسأحكي لك عن كُل شيء

أمسكت بكأس الخمر، وانا أُفكر في كلامها، وبدأت أشاهد انعكاس الضوء على حروفه الهيروغليفية البارزة، فسألتها عما هو مكتوب على الكأس، فأجابتني قائلة بأن المكتوب هو تحذير للصوص المقابر، بعدم الشُرب من هذا الكأس، فلن يقوى مخلوق على الشرب من هذا الكأس غير خونسو

خونسو! أعتقد بان هذا الاسم ليس غريباً عني، ولكني لا أتذكر علاقتي به، قد أكون اطلعت على هذا

الاسم بداخل أحد الكَتب، أو قد يكون! لحظة!! إنه نفس الاسم الذي شكلته ألوان الطيف في اليوم الأول لي في بلاد الإسلام من غير مُسلمين، نعم، إنه نفس الاسم، وقد دونته في المُذكرات، ولكن ما تِلك الصُدفة الغريبة، كيف يحدث هذا؟ اللعنة عن تِلك المُذكرات

هي : فيم تُفكر؟
أنا : أفكر فيكي، وفي حياتي، وفي لقاؤنا، وفراقُنا، ولقاؤنا ثانيةً، ولا أعلم ما تُخفيه لنا الأيام

هي : لن اتركك مهما حدث، فأنا اتخذت قرار بالموت ما بين يديك
أنا : ومن يعلم من سيموت ما بين يد الأخر

هي : أنا أعاهدك بأنني لن أعيش لحظة من بعدك، فهل تُعاهدني على ذلك
أنا : ومن منا يمتلك الحق في انهاء حياته

هي : أنا
أنا : أولا تخشين فُقدان لقاء ابن الرب في الامجاد السماوية، في الملكوت الأعلى

هي : لقد كفرتُ بدين الله، والكُفر عن المُسلمين حرام
أنا : عند المُسلمين أم عند النصارى؟

هي : لقد تركت الأديان كلها بسببك
أنا : بسببي؟

هي : نعم، فأنا لم أكن مؤمنة بالإسلام، وكان لك الفضل في تركي للمسيحية، بنقدك لها، فأصبحت بلا دين، ولكنني لازلت مؤمنة بوجود السبب الذي لا سبب له، الخالق لكُل شيء، ولكن الأديان فقد تم اختراعها حينما ألتقي اول مُخادع بأول غبي، وفي هذا الوقت، تسبب الجهل بخلف إله الفجوات، وهو إله غير الإله الذي اعبده أنا، إله يملأ الفراغات التي عجز العلم عن ملئها، ولكن بعد ان تطورت العلوم، بدأت الإجابات تُضيق الخناق لي الههم، فبدأ يتقلص، حتي اوشك علي الاختفاء، ولكن الهي الذي اعبده، فهو لم ولن يتقلص، وسيظل هو السبب الذي لا سبب له، والذي خلقنا في تِلك الحياة لنتعلم كل شيء، ثم نموت، ثم نعود للاختبار من بعد أن تعلمنا في حياتنا الأولى، ومن بعد أن شهدنا على وجوده، ووافقنا على وجودنا، وتمسكنا به
أنا: وهل انت في الحياة الاولي الان، أم الثانية؟

هي : لا اعرف، وأيا ما كانت حياتي الأولى أو الثانية، فأنا أرغب في ان تكون معك

النهاية الثانية

شربنا حتى الثُمالة، وتحدثنا فيما لا أجرؤ على البوح به، ولكننا عُدنا الي السماوات، واخترقنا السماء الخامسة، والسادسة، وحتى السابعة، ولكنني لم أقوي على الوصول الي ما بعدها، وكذلك هي، حيثُ كادت تتركني في الخامسة، ولكنني حملتها في السادسة، وتحملت الألم في السابعة، فعُدنا الي النوم مُجدداً، ولكنني استيقظت بعد قليل، أو بعد كثير، لا اعرف

استيقظت من النوم بعد ثبات عميق، فرأسي على وشك الانفجار من شدة الألم، فنظرت اليها لأطلب منها أي مُسكن للألم، فوجدتها غارقة في النوم، فقررت البحث بنفسي، فوقفت وتوجهت الي وحدة الادراج بأسفل المرآة، فنظرت اليها، فوجدت جسدي النحيل، فتذكرت جسدي حينما كنت استعد للجهاد في سبيل الله، وتذكرت أيام استعدادي لتحرير القدس، وتذكرت احباطات حرب العراق، وبداية النهاية للامة العربية، وبداية الشعور بالإحباط، والسؤال عما دفع الله لنصر اعدائه علينا، ثم أعدت النظر الي رقبتي، فوجدتها مُلئت بعلامات الحُب، من اثار التقبيل، فتذكرت تِلك العلامة التي كانت تعلو رأسي، من اثار السجود

صرفت النظر عن المرآه واكملت رحلتي للبحث عن مُسكن للألم، حتى وصلت الى جانب زجاجات الخمر، فاكتشفت بأننا شربنا كميات كبيرة من الخمر، وفي الغالب هذا هو سبب الألم، فقررت التداوي بما كان هو الداء، ولكنني قررت الشُرب في كأس (خونسو) ولم التفت لتحذيراته المكتوبة على الكأس، وبدأت في الشُرب، وعُدت الي التفكير في حديثها عن الحياة الإولي، والحياة الثانية، وتذكرت قوله تعالي (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)

فيم أفكر، وانا اشرب الخمر في كأس (خونسو) صانع الخمر في عصر الدولة الرعمسية، وإن صحة التوراة لكان خونسو هذا هو صانع الخمر لفرعون الخروج، والذي ثمُل حتى قال: انا ربكم الأعلى

استرجعت حواري معها، وعن المعلومات التي جمعتها عني، فمن أين لها بتِلك المعلومات؟ هل وصلت الي الكاتب؟ ولكن كيف واصلت معه، أو كيف وصل هو اليها؟ فانا نفسي لم أتمكن من الوصول اليها، إذن فمن أين وصلت لتِلك المعلومات؟

رأسي ستنفطر من شدة الألم، إنها المرة الاولي التي اشعُر فيها بمثل هذا الألم، يبدوا انها القاضية، فانا أشعر بألم في نصف جسدي الايسر، وكأنه سيتعد للانفصال عني، لدرجة انني لست قادراً عن النُطق أو التألم، إنها النهاية، إنها النهاية

انقطع النور عن المكان فجأة، وأصبحت عاجزاً عن الرؤية، ومن الخارج أستمع الي صوت المطر يمتزج بصوت الأذان، وصت أجراس الكنائس، ومن الخارج يأتي بصيصٌ من الضوء لا أعرف مصدره، ولكنه يسير امام عيني، وينعكس على زجاجة الخمر البلورية، فتحلل، وانقسم الي مجموعة من الألوان، تتصارع فيما بينها، وذلك من بعد ان كانت مُتحدة بداخل النور

هل هي سكرات الموت؟ أم هو تأثير الخمر؟ أم انها هلاوس عقلية؟ أم هو حلمٌ في منام، ويجب الاستيقاظ منه؟ أم هي حقيقة؟ أم ماذا؟ فأن نصفي الأيسر يحاول الانفصال عني، ولا أقوى على منعه او مقاومته، أنني اتألم، أنه العذاب، أنني عاجز عن الصراخ، عاجز عن التعبير عما أشعر به

أياً ما كُنت، لو كُنت ملاك الموت أو كنت شيطان، أو مها كُنت، فتوقف، فأنا لست قادراً علي تحمُل الألم

أكثر من هذا، هل تسمعني؟ انا امرك بهذا، أنا خليفة الإله في الأرض، وأنا من خلق الله لأجلي كَل هذا الكون، فتوقف.

أنفجر ضوء من داخل نصفي الأيسر، وتوجه الى الألوان المُتنازعة، فاندمج مع بعضها، وتجسد على شاكلة رجلا يشبهني كثيراً، ولكن ملامحه حادة ومُخيفة، وفي نفس اللحظة شعُرت بوخزة في نصفي الأيمن، فأندفع نورٍ من داخلها، وتوجهت في اتجاه الألوان الأخرى من الضوء، فاتحدت معها، وشكلت رجلاً يُشبهني ايضاً، ولكن ملامحه أهدي من ملامحي، فناديت فيهما بالابتعاد عني، وأمرتهُما بالرحيل

النصف الأيسر : ومن تكون لتأمرنني؟ ومن تكون لأطيعك؟
النصف الأيمن : انت مأمور بطاعته

النصف الأيسر : ومن يكون لأطيعه؟ انظر الى هذا الطين اللزج المشكل أمامنا، انظر اليه وانت تعرف انه لا يستحق ولم يكن يستحق، ثُم اعد النظر مرةٌ اخري، لتعرف بأنني كُنت أمتلك ألف عُذرٍ وعُذر، حينما رفضت السجود له، فأنا لم اقترف من الذنوب ما يستحق ان تُسجن ناري بهذا الجسد، وتتَّحد النار مع الطين الي يوم الدين، وهو اليوم الذي انتظره بفارغ الصبر، حتى افارق هذا الطين، واعود من حيث أتيت، أعود الى النار مُجدداً، أعود الي وطني، من بعد عقاب الاتحاد مع الطين لكُل تِلك السنين

النصف الأيمن : اخرص أيها اللعين، فمُنذ ملايين السنين، وانت تردد نفس كلامك القديم، وتشتكي من عقاب الإله الرحيم، وتُعلن حنينك بالعودة الي الجحيم، وكأنك كُنت من الاعليين، أ من الملائكة المُقربين، وتُنكر عصيانك لأوامر الإله العظيم

النصف الأيسر : ومن أخبرك بأني عصيت للرحمن امراً؟ ها؟ من اخبرك؟ ومن يستطيع ان يعصى للإله امرا؟ انما انا انفذ ما خلقت من آجله، ولكنني اعترضت على تنفيذه طوعاً، وها أنا أنفذه جبرا، فدع عنك لومي، فإن اللوم إغراء، ودعني أشفي غليلي، فيمن كان هو الداء، وتذكر معي اليوم الذي خُلق فيه هذا البلاء، فهل تتذكر يا صديقي؟ ها؟ هل تذكر هذا المخلوق الذي كان مُجرد ذرة فانفجرت، فتشكلت، وتطورت حتى خرجت منها الديدان والحشرات والامراض والبكتريا، فتحورت وبدأت تتغذى على الطين، حتى أصبح جزء من تكوينها، وظلت تتطور وتتحور، ونحن نسأل أنفسنا قائلين: ماذا أراد الله بهذا؟

هل تتذكر هذا المخلوق من قبل ان يستقيم ظهره؟ هل تذكر كثافة الشعر على جسده؟ هل تتذكره وهو يخاف من كل شيء؟ هل تتذكره وهو يحاول التهام كل شيء؟ كل شيء، حتى من كانوا على شاكلته، لم يسلموا من شره واذاه، والعجيب في الامر بأن الإله عرض عليه الأمانة، فقبلها، لأنه ظلوما جهولا، فهل تتذكر حينما قرر الإلَه فجأة ان يجعل له على الأرض خليفة، هل تتذكر تعجب الملائكة، وسؤالهم عما إن كان الإله سيختار خليفة من المُفسدين وسافكِ الدماء؟ فقال لهم: انى أعلم ما لا تعلمون

وقتها كنت على يقين بأنه سيختار خليفته من معشر الجن، فشعرتُ بالفخر والتكريم، فانا كبير الجن، وبالتالي سأكون كبير خلفاء الإلَه الأعظم على الأرض، ومن كان يستحقها غيرى؟ من؟ ولهذا فقد عقدت الاجتماعات مع قادة قبائل الجن، وابلغتهم بان الله سيجعلنا خلفائه في الأرض، وطلبت منهم وضع الخطط التي ستساعدنا على ان نرتقي بأنفسنا على سائر المخلوقات، ومنها ذلك المخلوق اللازق،

وبشرتهُم بان النار ستحكم عالم الطين، وإننا يجب أن نُطيع الإلَه، ويجب أن نكون خير خلفاء على تِلك الأرض، وإننا سُنعمِرُها، وبالفعل بدئنا في العمل، حتى استقبلت الدعوة بحضور يوم التكليف، ذاك اليوم الذي كنت اظنه يوم تكليفي بخلافة الأرض،

وبدأت المراسم، ونظرت حولي فوجدت أحد تِلك المخلوقات الطينية حاضراً في تِلك المراسم، فتعجبت في نفسي! فتسألت عن سبب وجوده في هذا المكان؟ ولكن لا مانع من وجود حامل الأمانة، ليشهد تكليف الجن بخلافة الإله في الأرض، وانتظرت حتى أتى امر الإله

النصف الأيمن : فتكبرت، وعصيت الامر، ورفضت السجود، فأصبحت من العاصين الفاسقين المُتكبرين، المُنذرين الي يوم الدين

النصف الأيسر : اتفق معك بأنني من العاصين المُتكبرين الفاسقين، ولكنهم كذلك يعصون ويتكبرون ويفقسون، فلماذا يتوب عليهم، ويلعنني أنا؟ فأنا لم أقتُل، وهم يقتلون، وأنا لم أسرق، وهُم يكذبون، وأنا لم أزني، وهُم يزنون، وانا لم أكذب، وهُم يكذبون، ولم أُنافق، وجميعهُم مُنافقون، فلماذا أُلعن أنا، وهُم يرحمُون؟

النصف الأيمن : وما ربُك بظلام للعبيد، فأنت حصلت على ما تستحقه، وهُم حصلوا على ما يستحقون، وفي الاخرة سيحكم الله بينهُم، والله لا يهدي القوم الظالمين
النصف الأيسر : نعم، كُل حصل على ما يستحقه، وأنا حصلت على التكريم والتشريف، مُنذ تكليف ادم، وحتى يوم الدين، فأي تشريف هذا حينما تكون عدو الإله الذي خلق كُل هذا الكون، والذي ترك لي الأرض لأحكُمها، ووهبني البشر لأحكتنهُم أجمعين، حيثُ أصبحت أنا حاكم الأرض، وخليفة الإله عليها، وجميع البشر يحتكمون لأمري، ويحكمون بشرعي، ويمتثلون لأوامري، فأنظر مثلاً الي القرن العشرين، وأحكم من هو حاكم الأرض الفعلي، هل انا، أم خليفته؟

النصف الأيمن : الا تمل يا عدو الله؟ كل يوم تردد نفس الكلام! وتوهم نفسك بنفس الأوهام

النصف الأيسر : أنا لست عدو الله، وإنما انا دفة الميزان، فالحياة بدوني، لن تُصبح حياة، والبشر من غيري، لن يكونوا بشر، ولهذا خُلقت، وأنا أول الموحدين

اعوذ بالله بالشيطان الرجيم، اعوذ بالله من الشيطان الرجيم، اعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ظللت اكرر تِلك الجملة حتى استيقظت من نومي وانا اصرخ بترديدها، فوجدت نفسي مُلقي على المقعد الذي كُنت أجلس عليه، وبيدي كأس خونسو، ولكني أشعُر بتحسن، ولازال الظلام يُهيمن على المشهد، حتى وجدت من يُشعل عود كبريت، فأشتعل، وظهر النور ليُظهر وجه الكاتب امامي، وهو يُشعل سيجارته

أنا : ماذا تفعل هُنا؟ وكيف دخلت؟ وكيف تجرئت على اقتحام منزلي؟

الكاتب : أنا كاتب الرواية، وهذا المنزل أو منزلك، لا يزيدوا عن كونهم، مُجرد أماكن لحدوث بعض وقائع الرواية، وكذلك أنت وهي انت وكُل ما في الرواية، لا يزيد عن مُجرد كلمات كتبتها أنا، فأوجدتكم وأوجدت كُل ما حولكم، فكيف تسأل عن وجودي، وانا من اوجدت كُل شيء؟

أنا : يبدوا أنك تقمصت الشخصية أكثر من اللازم، ويبدوا أنك تُعاني من مرض التقمص

الكاتب : مرض التقمُص! ومن اين حصلت على معلومتك بوجود مرض يُدعي التقمُص؟ من أين لك بتِلك الكلمات؟ هل كتبها لك الكاتب؟ أم أخبرك بهذا صديقك الطبيب؟ ها؟

أنا : كيف تتحدث معي بهذا الأسلوب؟ وكيف تحاول التدخل في حياتي بتِلك الطريقة؟ أنا من اوجدتك في مُذكراتي، ولكنني أصبحت لار اغب في وجودك بها

الكاتب : أنت من أوجدتني!! وهل تستطيع أن توجد بعوضة؟ فكيف تقدر الكلمات على ايجاد كاتبها؟ أنت مُجرد كلمات كتبتها أنا، فأنا من أوجدتك، والأن لا ترغب في وجودي! كيف؟ هل صدقتك أنك حقيقة؟ هل تستطيع أن تُخرجني من حياتُك، وأنا من صنعتك، وأنا من اتحكم في مصيرك، فكيف ستستمر بدوني؟ من سيكتُب لك مصيرك؟ من سيتحكم في حياتك؟

أنا : لا يوجد من يتحكم في مصير أحد

الكاتب : أنا اتحكم في مصيرك، أنا الكاتب، أنا من أوجدت الكلمات، ولكن الكلمات بحثت عني ما بين الأسطر، فلم تجدني، فظنت بأنني غير موجود، وكيف اتواجد ما بين السطور وانا من اوجدتها؟ وكيف يتواجد الواجد فيما أوجده؟ إن الكلمات تبحث عن كاتبها في المكان الخاطئ

انا : وأين تبحث الكلمات عن كاتبها؟

الكاتب : لو عرفت الكلمات كاتبها، لما كان هو، ولو جهل الكاتبِ الكلمات، لما كانت هي، فالكلماتِ مُرتبطة بالكاتب، ولكن الكاتِب غير مُرتبط بالكلمات، والدائرة مطلقةً، مرتبطةٌ بالنقطة؛ النقطة مطلقةً، ليست مرتبطة بالدائرة؛ نقطةُ الدائرة، مرتبطةٌ بالدائرة.

أنا : انت خيال، أنت مُجرد هلاوس، مُجرد حلم وسأستيقظ منه

الكاتب : وماذا بعد أن تستيقظ؟ ماذا سيحدُث؟ هل تعرف؟ بالطبع لا، وذلك لأن الكاتب لم يُطلعك عن الجُزء الباقي في مُذكراتك، وذلك لأنك لا تزيد عن الجُزء المكتوب، واما باقِي الرواية، فلا يعلمها إلا الكاتب، وحتي الكاتب، كثيراً ما يرتجل في الأحداث، ثُم يكتشف بأنه أخطأ، ثُم يعود فيُصحح خطأة، ثم يقرر تغير مجري الأحداث، وهكذا، حتي تنتهي الرواية، فالكاتب يعرف بداية الأحداث، ويسعي للوصول الي نهايتها، ويضع الخطوط العريضة للشخصيات والاحداث والزمان والمكان، واما الأحداث والتفاصيل فإن الشخصيات المكتوبة، ستسير بداخل الطريق التي كتبها الكاتب، وستصل الي نفس النهاية التي أرادها هو، حتي وإن اختارت الشخصيات الخروج عن طريق الكتاب، فإنها في النهاية ستصل الي نفس المكان الذي أرادها أن تتواجد فيه

أنا : إذن فأنا مُجرد كلمات تسطُرها انت، وتتحكم في بِدايتها ونهايتها، وتُشكل شخصيتها وتهبها من معارفك، وتضعها بداخل البيئة التي صنعتها أنت ايضاً، ثُم تتركها تتحرك بحرية حت تُشكل لك الأحداث، وفي النهاية، تصل الي نفس النهاية التي اردتها لها

الكاتب: صحيح

أنا : إذن فأنت تعرف النهاية، وتعرف الحقيقة

الكاتب : نعم، فهل ترغب في أن أُطلعك على نهايتك

أنا : لا، لا ارغب، ولكني ارغب في معرفة الحقيقة والخيال

الكاتب : لا يوجد خيال في تِلك الرواية إلا شخصيتين فقط

أنا : ماربيلا والرقيب

الكاتب: لا، ماربيلا حقيقية، وأنت التقيت بها مراتٍ عديدة، ولكنك حذفتها من ذاكرتك، حتى تَبرر وجود الطبيب في حياتك، الطبيب الذي خلقه عقلك ليُقنعك بان صديق عُمرك لازال حي، ولم يمت بسبب تعاطي المُخدرات بسببك، فهل تتذكر صديقك الطبيب الذي مات قبل ان يُمارس مهنة الطب، وقبل ان يستلم العمل في مصحة والده؟

هل تتذكر المصحة التي أغلقت أبوابها، بسبب حُزن الأب علي ابنه؟ هل تتذكر عنوانها؟ هل تتذكر زيارتك لها وعدم وجودها، وتبريرك بأنك أخطأت العنوان، هل تتذكر حينما طلبت منه نشر مُذكراتك؟ في حين أنك أنت من فرغت تسجيلاتك التي سجلتها بصوتك، وكأنها جلسات علاج نفسي؟ فهل تتذكر؟

أنا: نعم، أتذكر

الكاتب: سامحني على قسوتي معك، ولكن الحقيقة دائما ما تكون بتلك القسوة

أنا: والوهم الثاني هو الرقيب

الكاتب: لا، الرقيب ايضاً موجود، ولكنك لم تلتقي به، وإنما تمتلكون نفس التردد، تتوارد خواطركم، ولهذا أقنعت نفسك بأنه وهم وانه خيال، حتى تُبرر لوجود الطبيب ايضاً

أنا: ومن يكون الوهم الثاني إذن؟

الكاتب: دع تِلك المعلومة حتى أخر الرواية

أنا: شككتني في حقيقة كُل من حولي، وتقول لي انتظر الي اخر الرواية

الكاتب: صدقني، احياناً يكون الشك اهون علينا من الحقيقة

أنا : ولكني أرغب في معرفة الحقيقة، مهما كان الثمن

الكاتب : أنظر في وجهي وانت تستشف جُزء منها

أنا : إنك انا، وانا انت، اننا متطابقان، فمن انا فينا؟ ومن الكاتب

الكاتب : انت نفسك، وانت الكاتب، ولكنك لا تكتُب رواية لأحداث تختلقها من وحي خيالك، وإنما تكتب مُذكرات لحياتك، ولهذا فإنك تكتُب، وفي نفس الوقت يُملا عليك، والان حان الوقت لتكمل مُذكراتك وتواجه الحقيقة، وهذا هو الوقت الذي يجب ان تتوقف فيه عن كتابة المُذكرات، وتحتفظ بالحقيقة لنفسك

أنا : لماذا؟

الكاتب : لأن الناس لن ترضي بالحقيقة

استيقظت من نومي مفزوعاً، فتلفت حولي فوجدتها نائمة بجاني، فانتفضت هي الأخرى، من صوت صُراخي، فمدت يدها على كتفي لتُطمئنني، فانتفض جسدي حتى سقطت من على الفراش، وطُرحت ارضا، فقمت بثني ساقي وضمها الى صدري، وعنقتها بذراعى، ولاصقت رأسي بركبتي، وكأنني عدت الى وضع الجنين، وانفجرت في البكاء، وأدركت بأنني تناولت لاصقات (ال اس دي) وأصبحت عاجز عن التفرقة ما بين الحقيقة وما بين الخيال، وأصبحت عاجزاً عن العودة الي ما كُنت فيه، فانا لا اعرف إن كُنت الان في حقيقة ام في خيال

واصلت بُكائي، وهي الأخرى انهارت من البكاء، بسبب ما أصابني، ثم تمالكت اعصابها وحاولت ان تهدئ من روعي، فانتفضت ثانيةً، ولكن انتفاضتي كانت في اتجاهها، فقبضت يدي اليسرى على حنجرتها، فكتمت أنفاسها، وكدت اقتُلها من دون ان اشعُر، ولكن لحُسن حظها أنني لا اقوى على قتل أحد، حتى لو كان الشيطان نفسه، فتركتها، فسقطت على الأرض، وهي تحاول التقاط أنفاسها بشده، وتحاول التمسُك بغريزة البقاء في الحياة، وفي تِلك اللحظة جذبتُها من شعرها، وسحبتها علي الأرض، ونحن عاريان تماماً، وسحبتها الى خارج الغرفة، حتى وصلنا الى نفس المكان الذي كنت اجلس به بجانب كأس خونسو، فوجدت زُجاجات الخمر فارغة بالفعل، ووجدت الكأس مُلقي علي نفس المقعد الذي تجسدت جميع الأحداث عليه

هي **: لم تفعل بي هذا؟**

أنا **: من انتِ؟ وكيف تعرفين ادق تفاصيل حياتي؟**

هي **: انا الروح التي كانت تلتقي بروحك في الملكوت من قبل ان تلتقي اجسادنا، فانا انت وانت انا**

أنا **: أنت الشيطان الذي تجسد لي، فألقي بي في هلاك الشك**

هي **: انت سكران، كيف تصدق ما تقول؟ وكيف تظُن بأني شيطانة؟ وإن كُنت انا شيطانة، فماذا عنك؟ وإن كُنت ألقيت بك في هلاك الشك، فماذا عن حياتك من قبل ان تلقاني؟ فأنا التقيت بك وانت على وشك الحصول على رتبة رفيعة المستوي في عالم الشياطين، هل تتذكر؟ هل تتذكر الفتاة التي خدعتها تحت شعار الحب، وفعلت فعلتك معها، وتنصلت في النهاية من مسؤوليتك تجاهها، اكانت شيطانة هي الأخرى؟ ام كنت انت؟**

هل تتذكر الأخرى التي كانت تتعبد خلفك في المحراب، ووثق أهلها فيك، واعتبروك ابنهم، فماذا فعلت بها؟ هل تتذكر حينما جامعتها في شهر رمضان، وكأنك تنتقم من أهلها لرفضهم لك، هل كانت هي الشيطانة؟ ام كنت انت؟ هل أذكرك بباقي النِساء اللاتي عاشرتهُن؟ أم نكتفي بالنِساء وننتقل الي عالم المُخدرات؟ هل تتذكر الكوكايين الذي امنته، وعلمت صديقك وتركته حتى مات؟ فهل كان هو الشيطان؟ ام كنت انت؟

هل تريد ان تستمع الى المزيد عن حياتك أيها الملاك، الذي تجسد في صورة بشر سوي، هل تريد أن تسمع المزيد، يامن تتهمني بأني شيطانة؟ انا لم المس رجل في حياتي غير زوجي وغيرك، اما انت فلم تترك مناسبة الا ولامست فيها النساء، فمن فينا الشيطان؟ هل انا ام انت؟

انت تدعى بان الحقيقة نسبية وانه لا يوجد شخص يعرف الحقيقة، فعما تبحث اذن؟ وهل تنتظر ان يرسل الإلَه لك ملك من السماء ليصطفيك عن الخلق ويخبرك بالحقيقة؟ هل تتذكر دينك، الذي أوقفت العمل به، تحت شعار بحثك عن الحقيقة؟ وانت لا تبحث عن الحقيقة، وإنما تبحث عن اعذار لتُبرر لنفسك افعالك وغرائزك، كما قال لك سائق سيارة الأجرة

أنا **: من اين لكي بكل تِلكَ المعلومات، الا إذا كنتي شيطان يتحكم في حياتي؟**

هي **: من خِلال بريدك الإلكتروني، كنت ادخل علية واقراء كل شيء تدونه**

أنا : وكيف كنتي تتمكنين من تصفح بريدي الإلكتروني؟

هي : جربت كلمة السر الخاصة المشتركة بيننا وكنت اعرف إنك لن تجد كلمة سر غير تاريخ سفرنا سويا وهو نفس كلمة السر التي استخدمها لبريدي الإلكتروني

تركتها وسقطت على الأرض مغشيا على، وذلك من بعد ان عجزت قدماي عن أن تحملني، وعجز عقلي عن التفكير، حيثُ كانت مُحقة في كل كلمة نطقت بها، وفيما يبدوا انني سنفترق بأسرع مما كُنت أتصور

الثورة

ان جسدي ينتفضٍ، ان روحي قررت ترك جسدي، وها هو والدي قد اتى ليصحبني الى حيث ذهب، ولكنني عدت طفلاً، وهو لازال شابا، وكلانا في منزلنا القديم، وانا ارقد على فراشي الصغير، واضع الغطاء على رأسي كما اعتدت، وها هو والدي يرفع الغطاء عن رأسي، لأنني انتفض أسفل منه، فوضع يده على رأسي المشتعلة من ارتفاع حرارة جسدي، فنادى على والدتي التي أتت مفزوعة، وهرولت لإحضار كمادات الماء والثلج، وخرج والدي لشراء الدواء لي

احتضنتني أُمي، وبدأت تُتمتم بالرُقية، ثُم ضمت راحتي يدها، ونفثت بداخلهُما بأية الكرسي، وفاتحة الكتاب، وآيات من سورة البقرة، ويرتفع صوتها مع ارتفاع نفسها (كل امن بالله وملائكته ورسلة لا نُفرق بين أحد من رسلة وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير، لا يكلف الله نفسا الا وسعها) ثُم عاد الصوت بالاختفاء، ثم أرتفع بسورة الإخلاص والمعوذتين، ثُم امتزجت أنفاسها بصوت بُكائها، وهي تُردد (ومن غاسق إذا وقب)

دخل والدي برفقة صديقة الذي زارنا من قبل، فسألني قائلاً: هل عرفت الان معنى (غاسق إذا وقب)؟ فسألته لم سألتني؟ لماذا لم تتركني على جهلي؟ فأنا كنت راضيا به، وكان حالي وانا أجهل، أفضل من

حالي وانا أعلم، فلم دعوتني للمعرفة؟ لم دعوتني للتفكير؟ لم دعوتني للبحث عنه؟ وانت تعرف بأنني لن اجده، ولن اعرفه

فأجابني قائلاً: كنت أدعوك لتفهم كلام إلهك، كنت أدعوك للقرب منه، كنت أدعوك للتعرف على الوحي الذي خلقة الإله لك، كنت أدعوك للتعرف على عقلك، كنت أدعوك لاستخدام الأمانة، كُنت أدعوك للكُفر بأي وسيط ما بينك وبين ربك، كُنت أدعوك للبحث عنه، حتى وانا أعلم بانك لن تجده، لكن محاولة معرفته، أفضل بكثير من الجهل به

ثم أمسك بيدي، وسار بجانبي حتى وصلنا الي أحد النوافذ، ثُم دعاني للنظر منها قائلاً: انظر الى من كنت تتخذهم وسطاء بينك وبين ربك، فنظرت الى الشارع فوجدت زحام شديد، وكأني الوحيد الذي يجلس في بيته، حيث كُل من اعرفهم تقريباً يسيرون مُجتمعين في الشارع، والجميع مُتحدين، مُسلمين ومسيحين، وها هُم يهتفون ويطالبون بعودة حقهم الذي سلبه منهم (الفتوات) وعلى الناحية الأخرى من الشارع، كان (الفتوات)يتحصنون بداخل أبنية مرتفعة، ويحملون أسلحة نارية وزجاجات، تقذف باللهب، وقد اصابت الكثير، وقتلت الكثير ، ولكن الإصابات لم توقف الجموع التي تقدمت بصدرٍ مفتوح في اتجاه الفتوات

وبعد ان تقدموا، تراجع (الفتوات) وفي تِلك اللحظة انضم الي الجموع، جماعة من المُلتحي، وبدوءا في ترديد نفس الهتافات التي كان يرددها (الجموع) ولكن بعد قليل أضافوا اليها صيحات التكبير، وفجأة، ظهرت جماعات مُسلحة من الناس، وحاول الاشتباك مع (الجموع) فقررت الجموع حماية نفسها، وبدأ الاشتباك، وبدأت الإصابات في الظهور، وبدأت الضحايا في الوقوع، واحتد الاشتباك، فتقدمت (الجموع) وتراجع قادة (جماعة) المُلتحين، واتخذوا من الناس دروعاً بشرية، وبدؤا يُنادون، حي على الجهاد، فيتقدم الشباب، بينما هم يحتمون بالحصون، ولا يتحركون، كأنهم اموات

تقهقرت الجماعات المُسلحة، وأصبح الشارع ملك (للجموع) ولكن الجثث كانت تملء المكان، وخرج قادة (الجماعة) يُنادون على شباب الجماعة، بأن يضعوا الجثث فوق بعضها البعض، حتى تكون شكل هرمي، فتسلق قادة (الجماعة) عليه، ولكن عدد الجُثث لم يكُن كاف للوصول الي أهدافهم، فنادوا على شبابهم وطالبوهم بالمزيد من الجثث، حتى يتمكنوا من العودة الي (الخلافة)

فناديت من نافذتي وصرخت فيهم وطالبتهم بأن لا يسمعوا وان لا يُطيعوا، ولكن لا حياة لمن تُنادي، وازدادت الجُثث، وارتفع البُنيان، وبأعلاه جلس كبيرهم، ثم امسك بعلم الدولة وحرقة، وذلك مع العلم بانه كان نفس العلم الذي يُقبله وسط (الجموع) ثُم رفع كبيرهم علم اسود مكتوب عليه شعار التوحيد بالأبيض، وها هو التاجر الملتحي الذي أنهيت بطمعه المُقاطعة، وها هو يُنفق الأموال لشراء الأسلحة، ليقتل بها كل من يعترضون على وقوف قادة (الجماعة) على جثث الناس

ثُم ظهر الرجل الذي كان يعمل بتسهيل خدمات الدعارة، وقبل يد قادة الجماعة، وطالبهم بتيسير إجراءات الزواج، بحيث يصبح متاح للفتاة من عمر التسعة أعوام، وها هو كبيرهم يصرخ فيه قائلاً: كيف يكون من سن تسع سنوات؟ اتقى الله يا أخي! لا يصح الزواج من الفتاه قبل سن الحادية عشر

نظرت الي الجثث، فوجدت جُثة الامل، جُثة الشاب المُلتحي سائق سيارة الأجرة، فبكيت على فُقدان الأمل، وبكيت على جميع القتلى، حتى ابتلت لحيتي من البُكاء، فسقطت عني، وأخرج قادة الجماعة

الكتب المدفونة، وقرروا العمل بها، وتطبيق احكامها على الجميع، فتعالت الأصوات بالاعتراض، فكان الرد عليهم بالطلقات، ومات من مات، فقررت (الجموع) التحدي، واستمرت في الاعتراض، ولكن (الفتوات) كانوا أحن قلباً من (الجماعة)

رائي اقواماً لا يفقهون لله قولاً، وما كانوا على دراية بكل ما دار من احداث، ولكنهم ظهروا فجأة وهُم مُمسكين بزجاجات من الزيت، واكياس من السكر والأرز، ويرددون صيحات التكبير، ويطالبون (الجماعة) بتطهير المُجْتَمَع، من كل المُعارضين، حتى لو كلف الامر قتل الملايين، وحرق الدولة

وهنا تحدث لي صديق والدي قائلاً: هل فهمت الان لم كان يجب عليك ان تفهم؟

اجبته: بلى، ثُم عاد بي الى فراشي، وازداد ارتفاع درجة حرارة جسدي، وها هو والدي، يُعطيني الدواء، فسقطت منه بعض القطرات على ملابس، فحاولت تنظيفها، فوجدت الدماء تسيل مني، ففيما يبدو أنني اصبت بطلقات خرطوش من اثار القتال، فهرول والدي الي الشارع للبحث عن سيارة مُجهزة لنقلي الي المستشفى، ولكنه لم يجد، فعدد المُصابين كان أكبر بكثير من عدد سيارات الإسعاف، فقرر والدي البحث عن سيارة اجرة، ولكن حظر التجول أجبر الجميع علي عدم التجول في الشوارع والطرقات، ولكن الشاب الكيميائي الذي ساعدت والدته، جاء بسيارة أخيه، وقرر المُغامرة من اجلي

حملني مع والدي، وخلال الطريق أخرج زهرة من دُرج السيارة، وقال لي بانِ اخاه قد تركها لي، فأمسكت بالزهرة، وأعدت التأمل في جمالها، وفي ألوانها، وفي صنعة صانعها، ثُم ابتسم وقال لي: لا تخف، سيكون بجانبك في المُستشفى، ولن يتركك، ولن يكلفك بما لا طاقة لك به، ثُم شعرت بدوار فأعدت رأسي الي الخلف، فوضعت على قدم أمه المريضة بالسرطان، ولكنها كانت بصحة جيدة، فوضعت يدها على رأسي وقالت لي: (لن يتركك، كما لم تتركني) فتدفقت الدموع من عيني

كان هُنالك اشخاص يحاولون اغلاق الطريق أمام المارة، فتوقفت السيارة، ولكن الكلب الذي اطعمته جاء هو وشريكته، ونبحوا على هؤلاء الأشخاص، حتى فتحوا الطريق، فتحركت السيارة، وركضوا خلفها، حتى وصلنا الي جانب المُستشفى، فنظرت الي سيارة الشاب الذي كان يستغل الهدوء ويختلس القبلات، فإذ بها لازالت على وضعها، ولازال الشاب يحاول اختلاس القُبلات، ولازالت السيارات المُحملة بالأفراح تأتي، ولازالت السيارات المُحملة بالموتى تُغادر، ولازال التُجار يتاجرون بكل شئ

بداخل المستشفى لم أجد مكاناً من كثرة المصابين، والمرضي، ولهذا أجلسوني في حديقة المستشفى والتي كانت تخلو من الزرع ولكنها مليئة بالطين، وهو ما كان يحتاج اليه الطين، لسد جروح الطين، فجلست وبجانبي الكلب يلعق بلسانه اثار الدماء، حتى اتى أحد الأطباء فنادى على حاجتي لنقل الدماء على الفور، والا سأموت،

فضحكت قائلاً: أنا لا أجد مكانا للجلوس بداخل المستشفى، فهل ساجد دماء بها؟ فاستسلمت لحالة فُقدان الوعي، حتى شعرت بشكة، فنظرت الي ذراعي فوجدت أحد الأجهزة الطبية مُعلق بها، ويمتد الى ذراع (فُرصة) لتكون فُرصتي لاستكمال الحياة، فشعرت بالسعادة بتدفق الدماء من ذِراع موشوم بوشم الصليب، لتدفق الي ذراع يرتفع بالتكبير في الصلاة، ولكن فصيلة الدماء لا تعرف تِلكَ التصنيفاتً

وهبتني (فُرصة) أكثر مما يجب من دمائها، فتدخل الطبيب واوقف عملية نقل الدماء رغماً عنها، ولكنى لازلت بحاجة الى المزيد، وفى تِلكَ اللحظة وجدت (ماربيلا)، وقَدْ أمسكت بالطرف الأخر من الجهاز،

ووضعته بذراعها واستكملت عملية نقل الدماء، لتعود الى الحياة التي كدت أفقدها بسبب تجار الدين، والحمد لله على ان الدم، لا دين له

استسلمت للغيبوبة ثانيةً، ولكنني أفقت على يد أمي، وهي تكمل رقيتها، ولكن على كوب من الماء، فتقرأ عليه، وتنثر منه القطرات على وجهي، فتتساقط القطرات حتى تصل الي داخل فمي، فأتذوق طعم المياه المالحة، وتنثر المياه ثانيةً، فتتساقط علي وجهي حتي تصل الي أذني، فاستمعت الي أمي وهو تُردد علي الماء قوله تعالي (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ، فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ، وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ)

عدت الى غيبوبتي، ولكنى شاهدت نفسى فجاه غريق في بئر مياه عميق، ولا استطيع ان اتنفس، حتى دُفعت من داخلة دفعاً، فأخرجت رأسي الى الهواء، فدفع فمي كل ما كان به من ماء، واستنشقت الهواء بشهيق مرتفع، أعادني الي الحياة، فخرجت من البئر الذى كان يقع بداخل احد المعابد المصرية القديمة، فوجدت شخص غريب بملابس غريبة، يجلس أمام أناشيد اخناتون، ويكتبها في احد الكُتب، ولكنه يكتبها تحت اسم، المزامير، ثم استبدل كلمة (اتون) بكلمة (إيل) فأكملت جولتي في المعبد فوجدت أغراب يكررون نفس فعلته، ولكن بأسماء مُختلفة، فخرجت الي خارج المعبد، فوجدت الناس ينادون (رع) ويسجدون، ثم ينادون (أمون) فيسجدون، ثُم ينادون (اتون) فيسجدون، حتي وصل الأمر الي (ايل) فسجدوا، واستمر التغير، واستمر السجود، حتي بدأ الأسماء تختلف، وبدأ الساجدين يختلفون، وبدؤا يتقاتلون، فهربت من اقتتالهم في اتجاه الصحراء، وركضت، حتي سقطت مُتأثراً من حرارة الشمس الحارقة

أفقت مُجدداً على فراشي بجانب أمي، التي لازالت تحاول رقيتي، وتنفس على الماء المالح، وتردد آيات فيعلو صوتها (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ، وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ، فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ،)

صوت الريح يعلو خارج المنزل ويزداد، فانفتحت نافذة المنزل، ودخل الهواء المُحمل بالأتربة والرمال، فنهضت لإغلاق النافذة، فتعثرت قدمي على الأرض المليئة بالرمال، وكأنني سقطت في الصحراء، فحاولت النهوض، فوجدتني بالفعل مُلقي داخل صحراء بدولة العراق، ووجدت سوق لبيع الجواري، فحدثتني نفسي بأنني في العصور الوسطي، ولكنني إكتشفت بأنهم يرتدون ملابس تشبه ملابسي، وحتى النساء يرتدين ملابس عصرنا، وحتى ان التاجر يستخدم الهاتف المحمول،

تعجبت، وبدأت في النظر الى الجواري المعروضات للبيع، إذ بي أجد الفتاة المسيحية التي كنت ارغب في الزواج منها في بداية بلوغي، والتي انتهت علاقتي بها بسبب اعترافها للقس، واختفائها، ولكنها الان تقف أمامي معروضة للبيع مع اختها، في سوق الجواري، فتوجهت اليهما، فاستنجدت بي، وطلبت منى ان احررها منهم، فأخبرتها بأنني لن أتخلى عنها، وسأحررها من هذا المكان، فناديت علي التاجر، واخبرته بأنني أرغب في شرائهما، فأخبرني بالسعر، وكان زاهداً فيهم، حيث كان الثمن بدراهم معدودة، ولكنني لا أمتلك المال

انها فرصتي للتكفير عن الذنب الذي اقترفته معها في الماضي، ولكنني لا امتلك المال، فسالت التاجر عن طريقة كسب الأموال هُنا، فنصحني بالانضمام الي التنظيم، والمُشاركة في أحد العمليات، والحصول على مقابل مادي يكفيني لشراء (برتني سبيرز) نفسها،

وافقت من دون تفكير واستلمت سلاحي وركبت فوق أحد سيارات الدفع الرباعي، رافعين الرايات السود، ومكبرين بصيحات التكبير، حتى اقتربنا من أحد القرى، فتوقفت السيارات حتى تنتهي طائرات التحالف من قصف المدنيين عن طريق الخطأ، وبالفعل انتهت الطائرات من القدف، فانطلقت السيارات في اتجاه القرية، فوجدنا قتلي ومصابين، ومُحاربين مُدافعين عن قريتهم، فبادر افراد لتنظيم، بقتل المُحاربين، والمُصابين، بلا رحمة

كدت اتعرض للإصابة خلال تبادل إطلاق النيران، فتوجهت الى أحد المنازل، لأستتر به، فوجدت شابا مصاب وغارقا في دمائه، فتوجهت اليه مُسرعا محاول إنقاذه، فنظرت في وجهه، فإذ به صديقي الطبيب، صديقي الذي مات بسببي، ولكنه لازال على قيد الحياة، ويستنجد بي، فحاولت اسعافه بوقف النزيف اولاً، ثُم طلب مني جُرعة من الماء، فبحثت بداخل المنزل فلم أجد، فخرجت للبحث عن الماء في الخارج، حتى وجدته واحضرته له، فوجدت أحد أفراد التنظيم، يمسك بسلاحه ويقف بداخل المنزل في وضع الاستعداد لقتل صديقي المُصاب

ليس أمامي خيارات لإنقاذ صديقي سوى قتل هذا الرجل، ولكن هل انا قادر على قتل انسان؟ يا رب لقد تسببت في قتل إنسان من قبل، وها هي الفُرصة سانحة امامي للتكفير عن الذنب، ولكن هل سأكفر عن تسببي في قتل نفس، بقتل نفس جديدة؟ حتى لو كنت سأقتل قاتل، فأنا لا أقوي على القيام بذلك، يا رب ساعدني، يا مغيث اغثني

قبل ان اضغط على زناد سلاحي لأقتل من يحاول قتل صديقي، وجدت القاتل يُنزل سلاحه، وكأنه مُنع عن قتله منعا، فتوجهت اليه وصرخت فيه قائلا: لماذا لم تقتله يا أخي؟ فأجابني بأن خزينة سلاحه قَدْ نفذت، فطلبت منه ان يلحق بالمجموعة، ويترك لي امره، فتركنا، وخرج ليلحق بالعِصابة

أعطيت صديقي الماء، وهو يبتسم، ويضحك على ما فعلته، وكأننا عدنا الى ما كنا عليه قبل وفاته، وكلما ازداد ضحكه، التأمت جروحه، فاكتشف بأن الضحك شِفاء، فذكرته بجميع قصصنا، وقصص اصدقاؤنا، وجميع المواقف التي كنا نضحك عليها، ثم اطمأننت عليه، وطلبت منه الصمود، حتى أكمل مهمتي واستكمل مسيرتي للتكفير عن الذنوب، وأفك أسر الفتاة وأختها

انطلقت الى خارج المنزل، فوجدت العِصابة متجهة الى أحد البنايات، فلحقت بهم، وإذا بنا ندخل الى أحد المتاحف، فقاموا بتحطيم كل ما فيها، فسألت أحدهم عن السبب لتحطيم الاثار؟ فأجابني قائلاً: بأنها اثار حضارة بابل التي اعتمدت على سحر الملكين (هاروت وماروت) فنظرت الى أحد التماثيل فإذ به يحدثني قائلاً: ومن الذي أرسل الملكين ليعلمانا السحر؟ ولماذا ارسلهم؟ وما حكمته من تعليم الناس ما يفرق بين المرء وزوجه؟ ثُم تحطمت رأسه، ولكن سؤاله لازال يُطارني

إن السحر تطور، وأصبح لا يُفرق ما بين المرء وزوجة، بل أصبح يُفرق ما بين المرء وعقلة، وما بين الفرد وقلبه، وما بين الإنسان وإنسانيته، وما بين المواطن وبلده

انهيت مهمتي وانقذت الفتاة واختها، ولكنى ذنوبي لم تنتهي بعد، ولن تنتهي أبداً، وبعد ان عدت بهما الى بيتهما، اكتشف بأنني لا زلت أنزف، حتى أصبحت غير قادر على الوقوف، فسقطت على الأرض، وقبل ان أفقد الوعي مجددا سألتها: هل سامحتني الان؟ فقالت سامحتك، ثم اقتربت منى حتى تنفست رائحة عطرها الذي اعرفه، ولكنه لم يكن عطر الفتاة التي انقذتها، بل كان عطر حبيبتي التي أهنتها، وتهمتها بأنها شيطان، فواجهتني بحقيقتي، وذكرتني بجرائمي، وها هي تقف بجانبي وتحتضنني وتحاول اخراجي من حالة الهلاوس التي تعرضت لها بسبب لعنة خونسو، أو بسبب مرضي، أو بسبب الخمر، أو بسبب لصقات ال (ال اس دي) لا اعرف ولكنني أعرف الان بأن الحُب هو أجمل مُكتسبات البشرية، فتعبدوا به

النهاية

أننى الأن بداخل أحد المستشفيات الخاصة، وتحديداً في غُرفة الرعاية المُركزة، ويبدوا لي بأنها النهاية، ويبدوا انني في طريقي للانتهاء من المُذكرات، وسأقوم بحذف جميع الحقائق التي توصلت لها، بُناء على نصيحة الكاتب، وذلك لان الناس لن تقبلها، حيثُ ان الحقائق دائماً وأبداً ما تكون صادمة، ومؤلمة

لن اذكر الشخصية الوهمية الثانية في مُذكراتي مع الإله، فالكاتب لم يُخبرني بها، ولكنني اعرفها، ومع ذلك فإنني لن ابوح بها، لأنها تندرج تحت أمر الحقائق، وانا أختتم حياتي، ولا ارغب بختامها في صدام، ولا بتفكير، فكُل ما ارغب فيه حالياً هو السّلام، ولو تخطيت تِلك الأزمة، سأسافر مع خليلتي الي أحد الجزُر، ونعيش سوياً في سلام

أنا **: يبدو انى افارق الحياة، يبدو انها النهاية، لا أرى سوى الظلام، ولكن يوجد بصيصاً من النور يتحرك في اتجاهي، كما أنني أشعر بوجود أخريين معي في هذا الظلام**

هي **: نعم، أنا بجانبك، ولن أتخلى عنك، ولم اغضب من كلامك، فأنا مُقدرة لكل ما تعرضت له في حياتك، فأبقي معي، فنحن روحان التقينا في الملكوت منذ سنين، فتعارفنا وتقاربنا، وحينما التقت أجسادُنا على الأرض، افترقنا مرة، ولكننا عُدنا، وتعاهدنا على عدم الفُراق مُجدداً، فان شئت الرحيل، فارحل، فإني معك راحلة، وان شئت البقاء، فأبقى فإني معك باقية**

الرقيب **: أنا أيضاً معك يا صديقي الكاتب، تواصلت معك، ولا زلت اتواصل معك بأفكارنا، وحتى إن فارقت الحياة، ستظل افكارك تسير في الفراغ، فالأفكار لا تعرف حدود الزمان والمكان، ولا تتأثر بوجود الأشخاص، فتساؤلاتك انطلقت، وسيستقبلها اشخاص ما، في مكان ما، في زمان ما، وكما وصلت اليك، ستصل الى غيرك، لا تقلق**

الكاتب **: تموت أو تحيا لن يغير من الرواية شيء، فأنت لا تزيد عن كونك شخصيه في رواية، فإن رحلت، فإن الرواية باقية، وستخرج ملايين الشخصيات وتطرح نفس الأسئلة، وأما إن عشت فستكون الشخص المناسب لاستكمال المذكرات، حتى وإن قررت التوقف عن التفكير، فأمثالك لن يتوقفوا عن التفكير ابداً**

الابن **: ابى لازلت احتاج اليك، لازالت لا اعرف أسماء النجوم التي بجانب ماربيلا، لازلت لا اعرف الطريق التي قطعة الحلوى، لازلت احتاج الى حضنك يا ابى**

أنا : **في وسط الظلام الدامس، أحدهم أشعل النار، ولا اعرف ان كانت هي علامة على بدء الحساب؟ ام هي إشارة الى المكان الذي سأصل اليه؟ ام انها اشتعلت حتى تُضئ لي النور،**

على كل حال وما دمت قادر التفكير فسوف أكمل تفكيري فامكثوا هُنا

امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أو أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى

البداية